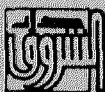
الوعي والثورة

دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسّام

١٨٢٨- ١٩٣٥م

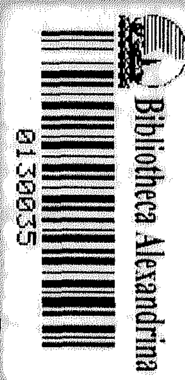


ميح حمودة



دار الشروق للنشر والتوزيع

ص.ب ٩٢٦٤٦٣ - عمان - الأردن



الوعي والثورة

دراسة في حياة وجهاد الشهيد عز الدين القسام

١٨٨٢م ـ ١٩٣٥م

سميح حمودة

الوعي والثورة

دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسّام ١٨٢٨- ١٩٣٥م


دار الشروق للنشر والتوزيع
ص.ب ٩٢٦٤٦٣ - عمان - الأردن

* سميح حموده: الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام.

* الطبعة الثانية، ١٩٨٦ (الطبعة الأولى، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٥).

* الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع.
ص. ب ٩٢٦٤٦٣، عمان الأردن
هاتف ٢٤٣٢١



الشهيد عز الدين القسام

الاهـــداء

الى امـي وابـي وزوجـتـي ، عسى ان ارد بـعـضـا مـن فـضلهم علي . والى الفارس الذي علمني امتطاء صهوة التاريخ .

شكر وتقدير

هناك قائمة طويلة من الذين يستحقون الشكر لمساعدتهم القيمة في اخراج هذا الكتاب ، واخص منهم الآنسة احسان عطية من جمعية الدراسات العربية ، التي شجعت اصدار هذه الدراسة ودفعت باتجاه نشرها .

والاخ سليم البسط أمين المكتبة في الجمعية والذي كان لمساعدته عظيم الاثر في الحصول على مراجع قيمة حول الموضوع .

كما اقدم شكري الخاص للاخوة الذين قرأوا المسودة الاولى للكتاب وابدوا ملاحظاتهم المفيدة حوله .

وشكر جزيل للسيد مصطفى ابو اميدى والسيد عبد الله جابر اللذان اخذا على عاتقهما ترجمة المراجع العبرية .

ولا انسى فضل الاخوة سميح لطفي ورضا توفيق ومحمد جرادات من قرى يعبد وسيلة الحارثية الذين ساعدوني اثناء المقابلات الشخصية التي اجريت مع شيوخ قراهم فجزاهم الله كل خير .

المؤلـــف

مقدمة الطبعة الاولى

يسـر جمعية الدراسات العربية في القدس ان تنشر هذا الكتاب "الوعي والثورة ــ دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام ١٨٨٢ ــ ١٩٣٥" وهو الاول الذى يصدر عن الجمعية ضمن سلسلة كتب التراجم التي تتناول سير وحياة الاشخاص الذين لعبوا ادوارا هامة في تاريخ الشعب العربي الفلسطيني وكانوا دوما مصدر عطاء لا ينضب لهذا الشعب ومشاعل مضيئة على طريق نضاله المستمر والمتواصل من اجل الحريـة .

+ + + + +

ان هذا الكتاب يحكي ويروى ويتناول بالعرض والتحليل حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام هذا الفارس الشامي المولود في عام ١٨٨٢ في قرية جبلة قرب مدينة اللاذقية على الساحل الشمالي لسوريا، والذى تعلم في الازهر الشريف وعايش نضال الشعب العربي في مصر ضد الاحتلال البريطاني واشترك في اشعال ثورة الشعب العربي في سوريا ضد الاحتلال الفرنسي الى ان حكم عليه بالاعدام ، فانتقل في عام ١٩٢٠ الى سوريا الجنوبية "فلسطين" كما كان يطلق عليها وقتذاك ليواصل النضال مع اخوته ابناء الشعب العربي الفلسطيني ضد الاحتلال البريطاني قبل ان يسقط شهيدا في احراش بلدة يعبد في عام ١٩٣٥ .... كان القسام يدرك بالوعي ان نضاله على ارض فلسطين انما هو استمرار لنضاله على ارض سوريا ذلك ان النضال الشعبي في سوريا وفلسطين كان يتجه حينذاك لمحاربة عدو واحد وان اختلف في الاسم والشكل والاسلوب، كما ان النضال الشعبي كان يتجه الى تحقيق هدف واحد هو الحرية والاستقلال . من هنا فلم يكن غريبا ولم يكن محض صدفة ان تحتضن ثرى فلسطين ابنا من ابناء سوريا الذى حارب الاحتلال البريطاني تماما كما حارب الاحتلال الفرنسي سعيا من اجل حرية سوريا وفلسطين .

+ + + + +

ان مؤلف هذا الكتاب اعتمد الدراسة العلمية الموضوعية مدعما دراسته بالعديد من الوثائق التي تتعرض لحياة وجهاد القسام ودوره في فلسطين في الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٥ مع مدخل موجز لحياته ونضاله في سوريا في الفترة ما بين عامي ١٩٠٦ و ١٩٢٠ وهي الفترة منذ عودته من مصر وحتى صدور الحكم عليه بالاعدام من قبل الفرنسيين .

+ + + + +

ان جمعية الدراسات العربية اذ تقدم هذا الكتاب الى قراء العربية فانها تأمل ان تتبعه بالعديد من كتب التراجم التي تتناول بالعرض والتحليل وبالدراسة.

العلمية للكثير من ابناء فلسطين الذين اعطوا لوطنهم وشعبهم كانبل ما يكون العطاء ومضوا في صمت تاركين بصماتهم على امتداد التاريخ العربي المعاصر .

جمعية الدراسات العربية

ـ القدس ـ

آب ـ ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــــل

كانت السيارة قد تجاوزت مدينة جنين ... مرت الدقائق ... رفع صديقي يده باتجاه محدد وقال : هذه قرية يعبد ... الاحراش هناك خلف القرية ... انها غابة ضخمة . أحسست بقشعريرة تهزني ... نشوة تتملكني ... حاولت ان اغالب دمعي دون جدوى اذن انت يعبد ... قرأت الاسم على اللافتة الخضراء «يعبد» لم يخطر ببالي اسم لقرية اجمل من هذا الاسم . اذن هنا كان محط رحاله ومهراق دمه ... مولانا الشيخ عز الدين القسام ... القادم من «جبله» حتى دميت قدماه الى «يعبد» ما بين «جبلة» و «يعبد» كانت تحولات التاريخ تدور تلقي بنا الى مزيد من الغربة والمعاناة والالم ، ما بين جبله و يعبد كان القسام يحمل جرحه و يمضي ... يتوقف في الطرقات ... في الحوانيت ... في البيوت ... في ساحات القرى ... في باحات المساجد ... فوق المنابر يتوكأ على بندقيته كان «الشامي» القادم من جبله يرسم لفلسطين خارطة جديدة ضد التحولات وضد المرحلة ضد التجزئة كان وهو يتواصل و يتكامل من جبله الى يعبد ،

ضد الغرب ... يعلو صوته ـ يغسل ارواح الناس المسلوبة

ضد الغرب ... يرفع بندقيته الى صدور عساكرهم

القسام يوم متجاوز ولحظة مشرقة في ايام صعبة ... ومضة خاطفة ولكنها خصبة و ولود مسكونة بكل الرموز القادرة على بعث الثورة وتحقيق ديمومتها .

والدراسة بين ايدينا محاولة لاكتشاف كلمة السر ـ عز الدين القسام ـ وفك رموزها ... انها محاولة صعبة ... فالقسام ذهب في خوابي الماء ... امتزج بكل طمى فلسطين فأنى لنا ان نلملمه ؟! ولكنها محاولة تستحق السفر ... محاولة البحث عن ملامح عالم الدين الثوري .

* * * * * * *

وهذا يقودنا منذ البداية ودوما الى سؤال هام يكمن في اجابته جوهر القسام وسره السؤال حول علاقة الدين بالسياسة ... حول دور رجل او عالم الدين ! السؤال في حياتنا يمتد الى قرن من الزمان و يرتبط جدليا بالهجمة الغربية ضد الوطن الاسلامي . قبل ذلك ... لم يكن مسوغا او مبررا لطرحه فالاسلام اساسا لا يعرف فصلا بين دين وسياسة حتى يسأل بعد ذلك عن علاقة بينهما فتتعدد الاجابات وتتباين و يدور الجدل والحوار ولعود من حيث بدأ محمد عبده وفرح انطون .

الاسلام ايها السادة ليس مجرد ملة ... ليس طقوسا ... ليس مسجدا منفصلا عن المدرسة والمصنع والبيت وساعة الحرب ... الاسلام نظام وقوانين لادارة الحياة كأشمل ما يكون النظام والقوانين وكأوسع ما تكون الحياة ... هذا هو الدين عندما نتحدث عن الاسلام . السؤال الاهم ... لماذا يغيب هذا المفهوم عن حياتنا ونستمر في السؤال عن العلاقة بموضوعية باردة ... خبيثة او ساذجة . من الذي غيب هذا المفهوم عن حياتنا ... من الذي حدد لعالم الدين دور مفتي الحيض والنفاس والطلاق والزواج فيفاجأ عندما يرى كالقسام مجاهدا او قائدا للامة . هل كان محمد صلى الله عليه وسلم قائد العلماء وسيدهم ونبيهم واسوتهم «اسوة واجبة الاتباع» ... هل كان هكذا مفتيا للطلاق والزواج ... مجرد ساع لاصلاح ذات البين .

السؤال مرة أخرى ... لماذا يغيب دور عالم او رجل الدين ؟ ومن الذي يأخذ دوره ؟ وما هي النتائج ؟ .

انها المؤامرة ضد الاسلام على مدى قرنين من الزمان ... مؤامرة ازاحته كصخرة تحطم عليها دوما طموح الغرب وغروره اما الذي يأخذ دوره فهو المفكر المتغرب والسياسي المتغرب ... وكلاء الغرب في الجامعات والسوق وحتى ساحات الحرب ... كيف ستبدو المواجهة اذن ... وكلاء الغرب ضد الغرب !!!

ان دور عالم او رجل الدين يبدو واضحا عندما نعلم ان السياسي يستطيع ان يخاطب الجماهير قائلا هذا مفيد وهذا ضار ... هذا من مصلحة الوطن وهذا في غير مصلحته بينما المواطن تحت ضغط مصالحه و باختلاف موقعه الفكري قد يرى رأيا اخر .

الدين ـ مكنون الامة ـ يقدم جدارا صعب الاختراق ... الجدار الذي تلجأ اليه الجماهير ... تستلهم في ظله معاني الحياة ... الجدار الذي تتجاوز صلابته هذه الدنيا الفانية المحدودة لتتصل بالله ... الوجود المطلق ... والفعل المطلق الذي يهيمن على هذه الدنيا و يعطيها من روحه معنى وقيمة .

ورغم كل محاولات التدمير لا زال مجموع الامة يرى في الاسلام عقيدته وتراثه وتاريخه وكينونته ... لا زال الانسان المسلم يتوجه الى الشيخ سائلا ... هل هذا حلال ام حرام ؟ ... اهذا شرعي ام غير شرعي ؟.

ومن هنا يصبح عالم الدين البسيط والعادي شيئا هاما في حياة الناس . اما عالم الدين المجاهد والثوري فهو بدون شك الاقدر على القيادة والبعث والالهام ان مخالفة القيادة السياسية «وهي في اغلبها اليوم ذات توجه غربي علماني» يبقى في ضمير الناس نوعا من الاجتهاد والرأي الاخر ... اما مخالفة فتوى عالم الدين الملتزم فتبقى ضربا من العصيان والاثم .

ان رجل الدين المسلم ... ليس رجل الدين في الكنيسة الذي يخرج احيانا من صومعته ليبارك نشاطا اجتماعيا او سياسيا وليس حالة استثنائية يعيشها كاهن او قسيس يترك الكنيسة لينضم الى مجموعة ثورية كما يحدث احيانا في امريكا اللاتينية ... رجل الدين الملتزم هو الذي يعيش آلام الناس ومعاناتها ... يحملها و يتبناها و يدافع عنها .

اما الصورة المشوهة لاصحاب العمائم والواقع المشبوه لبعضهم فهي جزء من المؤامرة ضد الاسلام ... المؤامرة التي انتجت نماذج تبسمل وتحوقل وهي تشارك في زفة الباطل ... نماذج لا تمت للاسلام بصلة ان امثال هذه النماذج المسروقة لا يمكن ان تعطل دور رجال الدين المناضلين ... المنارات الشامخة على امتداد تاريخنا المجيد .

المقدمـــــة

لا تتم دراسة الحدث التاريخي بمعزل عن قضايا الصراع العقائدي والحضاري التي وقفت خلف هذا الحدث ودفعته الى صفحات التاريخ ، وغالبا ما تؤدي عملية العزل الى القفز لاستنتاجات جاهزة ومتعسفة تخرج من معادلتها الكثير من المتغيرات والارقام الضرورية والعلمية في التاريخ لا تتعدى كونها خروج الدراسات التاريخية من طور السرد الزمني المتلاحق للاحداث الى طور فهم وتحليل الحدث بجوانبه المختلفة .

وتمتاز غالبية الاحداث الهامة في التاريخ الحديث والمعاصر للعالم الاسلامي بكونها ارتبطت ارتباطا عضويا بالصراع الحضاري والفكري بين الغرب الاوروبي وبين الشرق الاسلامي . لقد كانت الحملة الفرنسية طليعة الغزو والتحدي الغربي الحديث للوطن الاسلامي التحدي الذي انتهى الى استعمار المنطقة وتجزئتها ثم تكريس الوجود الصهيوني في القلب منها .

مثلت هذه الحملة لقاء بين الحضارتين تسبب في ظهور تيارات مختلفة في الفكر الاجتماعي والسياسي ، مما ادى الى تحطيم الاعتداد الداخلي بالنفس للفرد المسلم والشعور الدائم بأنه الاقوى والافضل بين الشعوب الانسانية . وحتى ذلك التاريخ لم يكن هناك من يستطيع ان يشكك المسلمين بأن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يصلح لقيادة الحياة . هذه القاعدة نفسها تعرضت لزلزال بمجيء اوروبا الناهضة الفتية ، اوروبا العلم الصناعي والبوادر الاولى للتكنولوجيا المتقدمة ، بمجيئها الى مصر القاعدة الواسعة والمركز الهام من مراكز التأثير والاشعاع في الشرق الاسلامي .

ومن هذه النقطة بالذات نستطيع ان ننطلق على اساس ان عدا تنازليا بدأ في تاريخنا الاسلامي ، في مقابل العد التصاعدي المتسارع والذي كان قد بدأ في الطرف المقابل «الحضارة الغربية» .

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان مولودا جديدا قد بدأت تظهر ملامح الاخصاب والتشكل الاولى له ، رغم ان النطفة وهي فكرة العودة الى ارض الميعاد وجدت منذ زمن قديم ، وحاول نابليون نفسه اثناء حصار عكا ان يستفيد من وجود هذه النطفة في الرحم اليهودي ليكسر بها صمود العكيين الشامخ ، وباءت محاولته آنذاك بالفشل ، بيد ان الدورة التاريخية قد عادت ليقوم عدة نابليونات غربيون باخصاب هذه النطفة واخراجها الى عالم الشهود .

لقد ولد حقا التحالف الغربي اليهودي ، استهدف الطرف الاول كسر الصمود الحضاري الاسلامي في وجه التحدي الغربي الحديث عن طريق زرع اليهود في قلب العالم الاسلامي وفي اعز بقعة من بقاعه الى قلوب المسلمين ، واستهدف الطرف الثاني العودة الى ارض الميعاد ، واعادة بناء هيكل سليمان بعد هدم المسجد الاقصى المبارك .

ونجح هذا التحالف ، بعد سلسلة طويلة من المؤامرات والحروب واستعمال شتى اصناف القتل والتدمير من اقامة دولة اسرائيل ، ممثلة لكيان غريب في وسط كان في يوم من الايام متجانسا وموحدا ومشكلا للقوة الاولى في العالم .

ما بين نشوء الحركة الصهيونية ، او بالاحرى تواجدها الفعلي على الارض الفلسطينية وبين قيام دولة اسرائيل ، كان هناك جانبا من رد الفعل الاسلامي والعربي ضد النشاط اليهودي وضد الوجود الاوروبي الحامي والمظلل للصهيونية والمتمثل في الانتداب البريطاني .

ولا شك ان المقاومة العربية قد وضحت معالمها الاساسية من خلال كتابات الكثيرين حولها،

ومنهم من عاصرها وعايش احداثها ومجرياتها «مثل اكرم زعيتر، عيسى السفري، عزه دروزة وغيرهم» .

ولكن عاملا هاما لا يمكن اغفاله بأي حال في محاولة لتحديد هوية وانتماء المجتمع الفلسطيني، عاملا لم يأخذ حقه في الدراسة والتحليل في الكثير من هذه الدراسات «وربما لسيطرة التوجه القومي الليبرالي لدى اغلب المؤرخين لتلك الفترة» انه دور الاسلام ــ عقيدة وتاريخا ــ في هذه المقاومة، فالى اي مدى تغلغلت مفاهيم الاسلام حول الجهاد والاستشهاد في سبيل الله على طوال المسيرة الفلسطينية عبر ادوارها المختلفة ؟؟

بالتأكيد ان الاجابة على هذا السؤال لن تكون وليدة بحث واحد يدرس شخصية واحدة مشهورة وعظيمة في مجال المقاومة الاسلامية مثل الشيخ عز الدين القسام، بل هو بحاجة الى سلسلة من الدراسات والابحاث تعالج شخصيات متعددة وتطرق جوانب كثيرة من تاريخ فلسطين .

الا أننا اذا اردنا اعطاء مقدمة لمثل هذه الاجابة على السؤال، بحيث تكون تمهيدا للدراسات المنشودة فان لنا ان نقتبس فقرتين لكاتبين فلسطينيين احدهما الدكتور عبد الوهاب الكيالي، انتمى لحزب البعث العربي وآمن بأفكاره واطروحاته، والاخر ناجي علوش الذي استخدم المنهج الماركسي في التحليل، و بقدر ما تعبر هاتان الفقرتان عن صدق وموضوعية ومطابقة للواقع، فان لهما اهمية خاصة في أنهما صدرتا عن كاتبين لم يقفا على الارضية الاسلامية، بل تبنيا مناهج هي في النهاية مختلفة عن الفكر الاسلامي ومناقضة له .

يقول الدكتور الكيالي بعد حديثه عن سيادة العلاقات العائلية ــ العشائرية على الحركة الوطنية الفلسطينية، وعدم نشوء قيادات فلاحية تحل محل زعامات العائلات الفلسطينية الرئيسية :

«... على ان ذلك لا يعني ان الثقافة الاسلامية وروح الجهاد لم تلعب دورا في اذكاء روح التضحية في مقاومة السياسة البريطانية والهجرة الصهيونية في فلسطين، كما انه لا يعني ان زعامة الحاج امين الدينية والمؤسسات الدينية التي كان يشرف عليها من اوقاف ومحاكم شرعية لم تسخر في النتيجة لخدمة الثورة الكبرى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩»(١).

اما ناجي علوش فيقول :

«كان وقوف بعض رجال الدين ضد الاستعمار، وفي وضع الاسلام مقابل الاستعمار وثقافته، ومطالبة الجماهير بالعودة الى مثله، احياء للثقافة الاسلامية، وتأكيدا لاهمية الاسلام فكرا ودينا ودنيا . وكان من نتيجة ذلك ان مارس رجال الدين نفوذا فعالا على الصراع في فلسطين، حتى اندمجت القيادة السياسية بالقيادة الدينية منذ الايام الاولى للاحتلال البريطاني حتى النكبة واتخذ «الكفاح» «شكل» «جهاد» ... وكانت الثقافة الاسلامية موحدة ومحرضة وحافزة على العمل»(٢) .

* * * * * *

استنادا الى الاسلام وتاريخه تحاول هذه الدراسة المتواضعة الدخول الى فهم الحركة الجهادية التي قادها واسسها المرحوم الشهيد عز الدين القسام في فلسطين وتحاول ايضا القاء الضوء على جوانب من حياته في سوريا قبل دخوله فلسطين، لانه قد يكون من الانصاف القول ان التجربة القسامية لم تأخذ حقها من التاريخ من قبل اغلب الذين كتبوا في القضية الفلسطينية، واعتادت المراجع العربية ان تمر بهذه التجربة مر الكرام، رغم انها ــ كما سنرى ــ نجحت في تحويل مجرى القضية الفلسطينية من طور المشاعر الانفعالية «الكلام والخطابات» الى طور الادراك العقلي «الفعل الثوري» .

لن احاول هنا اثبات هذه المقولة آملا ان تأخذ حقها من الدراسة في هذا البحث، ولكن الامر المهم الذي ارى من الضروري لفت النظر اليه . ان غزارة التجربة الفلسطينية وتزايد زخمها حتى نهاية السبعينات قد استدعى من الباحثين الفلسطينيين المعاصرين الرجوع الى هذه التجربة ودراستها بعمق . ولعل السبب في ذلك انها مثلت الخط الثوري الخالص والنقي، البعيد عن المزايدات والاعتماد على قوى خارجية اعتمادا اساسيا يفوق الاعتماد على القوة الذاتية للجماهير المسلمة في الوطن .

واود ان اشير هنا الى الدراستين القيمتين اللتين كتبهما الباحث الفلسطيني «علي حسين خلف» في مجلة شؤون فلسطينية* ، وقد اغنت هاتان الدراستان المعرفة التاريخية المتعلقة بالتجربة القسامية اغناء واضحا وبارزا بحيث ان الاستغناء عن المعلومات التي اوردها الباحث خلف في مجال دراسة التجربة يؤدي الى قصور في فهمها وخلل في القدرة على تحليلها بشكل جيد .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على بحث علي خلف بشكل خاص فيما يتعلق بتجربة الشيخ عز الدين القسام في سوريا ، وعلى المعلومات التي اوردها الباحث استنادا الى مقابلات اجراها في الخارج لم يكن بالامكان في ظل ظروفنا المحلية اجراؤها . رغم اختلافي مع منهج الكاتب اذ انه بتحليله الماركسي اضاع الكثير من جوانب التجربة وافقدها اتصالاها بموضوعية الصراع الحضاري «الاسلامي ـ الغربي» وذلك بتركيزه على التناقض والصراع الطبقي كأساس في التحليل .

وكانت شؤون فلسطينية قد نشرت دراسة اخرى في عددها السادس «كانون الثاني ١٩٧٢» للباحث عادل حسن غنيم ، الا انها لم ترتقي الى المستوى المطلوب من الجهد العلمي فالكاتب اعتمد الكتابات التي سبقت دراسته عن الشيخ عز الدين القسام ونسق بينها دون ان يأتي بوثائق او معلومات اخرى تضيف ابعادا جديدة للدراسات السابقة .

من المصادر الاخرى التي تحدثت عن القسام بتفصيل اوسع من قبل ما كتبه الدكتور كامل خلة في كتابه «فلسطين والانتداب البريطاني» والذي اورد معلومات لم تتوفر في المصادر السابقة كما انه اثار نقاشا حول عدة قضايا تتعلق بحركة الشيخ القسام بطريقة علمية وناجحة في التحفيز على اعادة النظر في بعض القضايا او على الاقل اعادة النقاش حولها .

يضاف الى هذا الكتاب ، مصدرا اخر طرق الموضوع بمعلومات اخرى تدون للمرة الاولى واغلبها ذو علاقة باتباع الشيخ القسام الذين قابلت مؤلفه الكتاب الدكتورة بيان نو يهض الحوت بعضا منهم ، والكتاب هو «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين» .

واستكمالا لاستعراض بعض الكتب والمراجع الهامة للبحث يبقى ان اشير الى الدراسة التي كتبها الدكتور عبد الستار قاسم ونشرت في الآونة الاخيرة ، وهي على كونها محاولة جيدة للاستفادة من ذاكرة معاصري التجربة ، الا ان الباحث استند الى الروايات الشفوية المعتمدة على ذكرى احداث مضى عليها اكثر من خمسين عاما دون ان يوثق محتو ياتها من المراجع المدونة والمنشورة بالاضافة الى انه اعتمد على رواية عاصم الجندي «الشيخ عز الدين القسام ـ رواية تاريخية» رغم انها من الناحية العلمية لا تصلح كمرجع لان اغلب ما ورد فيها من اختلاق الجندي وتأليفه الذاتي دون الاستناد الى مصادر موثوقة او الاقتصار على رواية الاحداث المعروفة كما يقتضي الحال .

اما المصادر التي الفت من معاصري المرحلة التي شهدت التجربة القسامية فكان اهمها كتابي صبحي ياسين «الثورة العربية الكبرى» «واستراتيجية العمل لتحرير فلسطين» ، بالاضافة الى «يوميات اكرم زعيتر» المنشورة في بيروت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

هذا بالاضافة الى مراجع وكتب اخرى ذكرت جوانب محدودة من التجربة ، والصحف الفلسطينية الصادرة في تلك الفترة ، مع الاعتماد على وثائق الارشيف الصهيوني وارشيف الدولة في القدس ، وعلى المقابلات الشخصية التي اجريت مع عدد من المعاصرين للتجربة والذين يعيشون في الوطن المحتل واهم هذه المقابلات : المقابلة التي اجريت مع الشيخ القسامي عربي البدوي من قرية قبلان ، الذي كان له شرف الاشتراك في معركة يعبد .

---

* نشرت الدراسة الاولى في العدد ١٢٤ والثانية في العدد ١٢٦.

الاضافة الرئيسية التي يطمح هذا البحث اضافتها الى ما سبق من الدراسات في هذا الموضوع محاولة استيفاء جوانب واسعة من التجربة القسامية لم تصل اليها الدراسات والكتب المتعددة حوله بحيث يصبح هذا البحث محاولة للتأريخ الشامل للتجربة دون اغفال او نسيان اي جانب دونت عناصره وتوفرت معلوماته ، مع اعتماد ان الرد الثوري للشعب الفلسطيني في تلك المرحلة استند الى الاسلام واستمد من أصوله مفاهيم الجهاد والشهادة لتكون هي الزاد والحافز على مقارعة البريطانيين والصهيونيين .

* * * * * * * * * *

يقسم هذا البحث الى ثلاثة فصول اساسية

الفصل الاول : و يتحدث عن طفولة القسام ، دراسته في الازهر ، وتجربته في الثورة السورية ضد الفرنسيين

الفصل الثاني : و يتحدث عن دور القسام في فلسطين من عام ١٩٢٠ وحتى استشهاده في احراش يعبد عام ١٩٣٥ .

الفصل الثالث : خصص للحديث عن اتباع الشيخ عز الدين القسام ودورهم في ثورة «١٩٣٦ ــ ١٩٣٩» بالاضافة الى مواضيع اخرى . وزود الكتاب بمجموعة من الملاحق ، كان من الضروري ثبتها هنا لاهميتها في توضيح امور قد تعجز لغة البحث عن صياغتها بنفس الاسلوب الذي صاغها فيه كاتبوها .

آمل ان يكون الجهد المتواضع الذي بذل في اخراج هذه الدراسة ، جهدا مثمرا في تعريف القارىء العربي بشخصية جهادية عظيمة ، لعبت دورا هاما جدا في تاريخ فلسطين وقدمت اروع الامثلة في التضحية والفداء في سبيل هدف سام ونبيل .

الفصـــل الاول
« القسام في سوريا »

الفصل الاول

١ ـ مولده ونشاته :

ولد عز الدين القسام في قرية جبلة «الادهمية» قضاء مدينة اللاذقية السورية المشهورة ، والارجح ان ولادته كانت في سنة ١٨٨٢م* .

والده الشيخ عبد القادر مصطفى القسام من المشتغلين بالتصوف وعلوم الشريعة ، وامه حليمة قصاب «من آل نور الله الكرام حملة العلم ومصابيح الهدى في بلاد الشام»(١) . يتصل نسب الاسرة بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم(٢) .

تزوج والده من امرأتين الاولى امه حليمة وانجب منها فخر الدين ، عز الدين ونبيهة ، والثانية آمنة جلول وانجب منها احمد ، مصطفى ، كامل وشريف(٣) .

نشأ في بيت علم ، وتقى ، فدرس ، وتعلم في زاوية الامام الغزالي ، وكان ابوه من المهتمين بنشر العلم وبثه(٤) ، وتربية المريدين وهدايتهم الى الله عز وجل ، وعمل في مدرسة «كتاب» درس فيها ابناء القرية اصول القراءة وحفظ القرآن ، ثم اشتغل لفترة مستنطقا في المحكمة الشرعية(٥) .

---

* يخالف هذا التاريخ كل من :

١ ـ صبحي ياسين في كتاب الثورة العربية الكبرى في فلسطين حيث ذكر العام ١٨٧١م .

٢ ـ عبد الغني الكرمي في جريدة فلسطين «العدد ٢٢٥ ـ ٣١٠٩ ، ١٩٣٥/١١/٢٢» اذ قال ان القسام اربى على الستين عاما .

٣ ـ الشيخ حسين حسونة الذي قال انه بلغ السبعين عاما حين استشهد «جريدة الجامعة الاسلامية ، العدد ٩٩٥ ، ١٩٣٥/١١/٢٢م» .

٤ ـ مجلة الرابطة العربية «العدد ١٧ ، ١٦ ، ايلول ١٩٣٦م» صاحب مقال شيخ الثورة الفلسطينية ذكر انه جاوز السبعين .

٥ ـ ابراهيم السيد عيسى المصري ذكر في كتابه مجمع الاثار العربية ان القسام بلغ من العمر ما فوق الستين عاما .

٦ ـ جريدة دافار الصهيونية قالت ان عمره «٦٥» عام حين قتل «عدد ١٩٣٥/١١/٢١» .

٧ ـ المجاهد القسامي عربي البدوي الذي قال انه جاوز الستين عاما حين استشهد .

اما الذين تبنوا العام ١٨٨٢ ، او ١٨٨٠ فهم :

١ ـ خير الدين الزركلي في الاعلام ج ٦ ، ص ٢٦٧ طبعة ١٩٨٠ .

٢ ـ علي حسين خلف في شؤون فلسطينية ، العدد ١٢٤ ، ص ١٧ ، مستندا الى ان اعتبار العام ١٨٧١ مولدا للقسام ينفي دراسته في الازهر على يد الامام محمد عبده .

٣ ـ خيرية فخر الدين القسام التي ذكرت ان والدها فخر الدين يكبر عز الدين القسام بسنتين ، وحيث ان والدها من مواليد ١٨٧٨ ، فيكون مولد عز الدين سنة ١٨٨٠م .

٤ ـ ا. كوهين في تقريره المقدم للوكالة اليهودية في القدس بعنوان «احداث تشرين الثاني في البلاد» والمحفوظ في الارشيف الصهيوني ، وفيه ذكر ان القسام بلغ من العمر حوالي «٥٥» عاما حين استشهد ، اي ان ولادته تكون في عام ١٨٨٠م .

اما ترجيح العام ١٨٨٢ على التواريخ الاخرى ، فبسبب تلائم هذا التاريخ مع فترة وجود القسام ومحمد عبده في الازهر ، حيث رحل القسام الى مصر عام ١٨٩٦ ، وشغل عبده منصب التدريس في الازهر من عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٥ ممثلا عن الخديوي عباس حلمي الثاني في مجلس ادارة الازهر ، وبسبب تلائم هذا التاريخ مع ولادة اخيه فخر الدين القسام .

والاسرة ككل معروفة بمكانتها في القرية من اشتغالها بالفقه والشريعة* ، والى جانبها عرفت اسرة «آل يونس» بنفس المكانة ، فالاسرتان من الاسر الرئيسية في القرية وان اختلفت اسس شهرة الاسر الاخرى ، فآل كنج وآل ديب وآل آغا اخذت مكانتها من ملكية الاراضي ، وآل عكو وآل غلاونجي من العمل بالتجارة(٦) . وهذه البيئة بتركيبتها الريفية البسيطة ساعدت على ان يتشرب الطفل عز الدين مفاهيم وقيم عائلته وان ينشأ بميل خاص نحو الشريعة والفقه الاسلامي ، فيكون لاستاذه في «الكتاب» الشيخ محيمود رأي بتلميذه واعجاب بنبوغه وتفوقه على اقرانه ، وكان الاستاذ غالبا ما يلهج لسانه بذكر مزايا تلميذه عز الدين(٧) . وساعدت ايضا على ان يترعرع منذ طفولته في احضان الاسلام بما يحمله من صفاء وسمو خلق وسيرة محمودة وثورة على الظلم والظالمين .

امتاز الطفل عز الدين بالميل الى الانفراد والعزلة وطول التفكير ، الامر الذي سيؤثر في مستقبله وسيجعله اكثر قدرة على فهم ما يدور حوله من احداث وادراك الاسباب والكوامن الاساسية خلفها .

٢ ــ السفر الى الازهر الشريف :

هيأ تفوق القسام في مدرسته الاولى ، واهتمام اسرته بالتعليم ، فرصة للسفر الى الازهر وطلب العلم هناك ، وتم تدبير امر السفر بمساعدة احد الافندية(٨) ، فسافر عز الدين وابن خالته ناجي اديب(٩) عام ١٨٩٦ ، وبرفقتهم اخوه فخر الدين ، عز الدين التنوخي ، رضا مسيلماني ، مصطفى مسيلماني ، ذيب البيرص ومنح غلاونجي(١٠) ، وفي الازهر حضر عز الدين دروس الشيخ محمد عبده وارتوت نفسه من العلم الحقيقي(١١) .

ولعل فترة دراسته في الازهر البالغة عشر سنوات(١٢) ، قد سمحت له بالاخذ من الثقافة المعاصرة له بدرجة كبيرة ، وجذرت فيه التوجه الاسلامي الثوري ، فالازهر معقل العلماء والثورة منذ القدم وما وقوفه بوجه الغازي نابليون ببعيد ، وهيأت مصر التي كانت آنذاك مصب التيارات الفكرية المتعددة داخل الشرق الاسلامي فرصة لتوعية الشاب القروي عز الدين وتنويره بما يدور في العالم من صراع ، فعلى ساحتها كان صراعا فكريا يحتدم بين مدرسة الاسلاميين الاصوليين «امتداد الامة وأصالتها» ممثلة في تلاميذ الصوت الثائر جمال الدين الافغاني كمحمد عبده ورشيد رضا ، وبين مدرسة التغريب ــ وكلاء حضارة الغرب ونقيض حضارة الامة ــ من امثال فرح انطون ولطفي السيد .

ومصر خاضعة ايضا للاحتلال البريطاني المباشر بعد فشل ثورة عرابي عام ١٨٨٢م ، وفيها تيار المقاومة الاسلامي للاحتلال البريطاني ممثلا بمصطفى كامل احد الاصوات الثورية في تاريخ مصر ، ومن المتأثرين بصرخات باعث النهضة الاسلامية الحديثة جمال الدين الافغاني .

ففي مصر اذن عرف القسام الاستعمار الغربي البريطاني وجها لوجه ، ورأى هجوم المفكرين المتغربين على الاسلام فكرا وحضارة وتاريخا ، وعايش بنفسه الصراع الدائر بين هؤلاء وبين المفكرين المسلمين ، وفيها عرف عن الحركة الصهيونية وليدة الاستعمار الغربي وربيبته●، وسمع عن تطلعاتها واطماعها بفلسطين .

---

* هناك رواية ذكرتها خيرية القسام حول تسمية الاسرة بهذا الاسم ، تقول ان جد الاسرة كان من الاولياء الصالحين وقد ظهرت افعى كبيرة في مراعي القرية ازعجت اهلها ، ولكن «الجد» خرج اليها وصرخ بها بصوت كبير فقسمها نصفين ، فسمي بالقسام .

● يذكر الباحث اليهودي يهوشع بوراث ان القسام ربما وقع تحت تاثير رشيد رضا الذي انشا مدرسة خاصة به خارج الازهر «مدرسة الجهاد»(١٣) ، لان افكاره وتطلعاته شبيهة الى حد كبير برشيد رضا .

وفي عام ١٩٠٢ نشر رشيد رضا مقالات في مجلته «المنار» يحذر فيها من خطة الصهيونية الهادفة الى اقامة دولة يهودية في فلسطين(١٤) . ومن هذه المقالات وبسبب قرب القسام من رشيد رضا يمكن القول بمعرفته عن الصهيونية في مرحلة دراسته في الازهر .

لا يعرف الكثير عن حياة القسام خلال دراسته في الازهر، فلم يدون عنه سوى حادثة واحدة تدلل على عصاميته واعتماده على نفسه، فقد عانى وزميله عز الدين التنوخي من انقطاع المصاريف «الواردة من الاهل»، ونفاد ما بحوزتيهما، وفقد التنوخي الامل بامكانية الخروج من المأزق، و يظل يحاور القسام عما يفعلانه، فاقترح القسام قائلا:

ــ سنعمل هريسة ونبيعها للطلاب.

فاستفظع التنوخي الامر، وفي محاولة «منه» للتملص قال:

ــ ولكني اخجل ولا استطيع المناداة.

فأجابه القسام:

ــ انا اصيح على بضاعتنا.

و بهذه الوسيلة، تمكن الاثنان من مواصلة الدراسة، القسام يصيح والتنوخي يلازمه وقوفا.

وذات يوم جاء والد التنوخي لزيارته في القاهرة وقبل دخوله الازهر وجد ابنه الى جوار القسام، وكليهما خلف صينية الهريسة، فسأل مستفسراً:

ــ ما هــذا؟

ــ فأجابه ابنه، في محاولة لرد التهمة عن نفسه:

ــ عز الدين علمني، وهو صاحب الفكرة.

ــ ولم يصدق الابن، حين سمع اباه يقول:

ــ حقا لقد علمك الحياة»(١٥).

٣ ــ العودة الى جبلة:

عاد عز الدين القسام الى سوريا عام ١٩٠٦*، بعد ان نال شهادة الاهلية، وحاول والده عبد القادر ان يقنعه بالذهاب الى قصر الافندي ديب ليسلم عليه(١٦)، ولكن الازهري المستنير يرفض السلام على الافندي و يحاور اباه بمنطق سليم:

« ــ غريبا يا ابي وهل يسلم الوافد على المقيم؟!!

ــ ولكنه الافندي

وتلعثم الاب ... وكرر «الافندي»

فتبسم عز الدين:

ــ لا يا ابي، فالله لم يخلقنا افندية ودهماء، حقوق الجوار تقضي ان يبدأ هو بالزيارة، او تأتي البادرة من صوبه على الاقل، لا تخشى يا ابتي فأنا قوي بعلمي وايماني بما تعلمته وهو لن يجرؤ على اذيتك»(١٧).

وقبل ان يباشر العمل، قام برحلة الى تركيا، للاطلاع على طرق التدريس في جوامعها، وعلى خطب الجمعة ودروس ما بعد صلاتي العصر والمغرب(١٨).

وحين عاد عكف على التدريس في زاوية والده، وفي جامع السلطان ابراهيم بن ادهم● قطب الزاهدين(١٩)، واخذ دور والده في تدريس اطفال القرية، وتجاوز الحدود التقليدية في حفظ القرآن وتجويده،

---

* يذكر علي خلف انه عاد سنة ١٩٠٣ «ص ٢١»، بعد ان درس ثماني سنوات بينما يكون عام ١٩٠٦ هو العام الذي عاد فيه بناء على ان دراسته في الازهر استغرقت ١٠ سنوات كما ذكر محمد المجذوب «السوري» الذي عاصر تلك الفترة، في جريدة الجامعة العربية عدد «١٧٢١» بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٣٥م.

● ابراهيم ابن ادهم ابن منصور التميمي البلخي، زاهد مشهور، وابوه من اهل الغنى في بلخ، توفي ١٦١ هـ ــ «٧٧٨م» ، تفقه ورحل الى بغداد، وهو من كبار السادة الصوفية. «انظر الاعلام لخير الدين الزركلي، ج١، ص٣١، ط١٩٨٠»

الى العلوم الاولية والقراءة والكتابة ، وتولى خطابة الجمعة في مسجد المنصوري ، الذي يتوسط البلدة ، «وقدم لسكان قريته الاسلام ، كما آمن به وتعلمه ، فدب في القرية حماس ديني شديد فكانت شوارعها ترى مقفرة اذا اذنت صلاة الجمعة»(٢٠) . و بنشاطه في الدعوة والتعليم «ذاع صيته ، وانتشر اسمه ، واصبح موئلا ومقصداً ، وكان في سيرته الشخصية مثال الفضيلة والكمال لا ينهى عن خلق و يأتي مثله ، ولا يدعو الى طريق الا و يكون اول سالك له ، فكثر اتباعه ومريدوه وعظم شأنه وذاع صيته»(٢١) .

وحاول الافندية في المنطقة الضغط على الشيخ عز الدين القسام ، ربما للتخفيف من نفوذه الشعبي وتأثيره على الناس ، اذ انه اصبح موضع احترامهم وتقديرهم ونال حبهم الشديد ، الا انهم فشلوا في اخضاعه ، فحاولوا استعداء السلطات العثمانية عليه فلم ينجحوا(٢٢) .

و بعد توظفه في مسجد المنصوري ، احدث القسام تغييراً في بيت اسرته ، فبعد ان كان البيت مؤلفا من غرفة واحدة طو يلة ، مبنية من اللبن والطين ، ومقسمة الى ثلاثة اقسام مفتوحة على بعضها البعض :

واحدة لنوم العائلة برمتها ،

و واحدة للمؤونة والعلف ،

والثالثة لنوم البقرة . اقنع والده بضرورة الفصل بين اجزاء البيت الثلاثة ، وان يطليه بالطلاء الابيض «الحوارة» ، ومنع عز الدين امه واخواته من العمل في بيت الافندي ، مكتفيا بدخله الشهري(٢٣) .

٤ ــ ايطاليا تستعمر طرابلس الغرب والقسام يدعو للجهاد :

كانت جميع الاقطار العربية تقريبا خاضعة للحكم العثماني في مستهل القرن السادس عشر الميلادي ، وعرفت الدولة العثمانية باختراقها الناجح لاوروبا النصرانية ونشرها الاسلام في بلدانها بعد تحقيق الانتصارات العسكرية على الجيوش الاوروبية في عقر دارها ، وامتد نفوذ العثمانيين الى مناطق واسعة من العالم ، ومثلت فترة حكم آل عثمان في بلاد المسلمين مرحلة جديدة من التجديد واحياء الجهاد والفتوحات الاسلامية بعد مرحلة من التخلف والتراجع في ظل الحكام المتأخرين من العباسيين . بيد ان هذا التجديد لم يبق سائراً في اتجاهه المطلوب بعد ان دخلت مظاهر المادية واللهو الى حكام الدولة ، فانصرف السلاطين الى مشاكلهم الذاتية ورغباتهم الشخصية وتفرغوا لها بدل الاستمرار في توجيه الدولة الاسلامية نحو الفتوح والازدهار كما فعل اسلافهم ، وتزامن هذا التراجع العثماني مع تقدم اوروبا الفكري ونضوج ظروف التغير فيها ، وفي نهاية القرن الثامن عشر (١٧٨٩م) قامت الثورة الفرنسية محررة فرنسا من سلطة الاقطاع والكنيسة عوائق التقدم هناك ، و بعد عدة سنوات (١٧٩٨م) انطلق احد ابناء هذه الثورة نابليون بونابرت ــ بحملة عسكرية نحو مصر الاسلامية يهدف بها توسيع نفوذ فرنسا الجديدة وسلطتها ، وكانت هذه الفترة من اشد فترات التاريخ الاسلامي تراجعا وتخلفا ، ورغم ان الحملة استمرت مدة ثلاث سنوات فقط، الا انها اعطت الضوء الاخضر لاوروبا الحاقدة على العثمانيين بضرورة التحرك لضرب الدولة الاسلامية المتراجعة ، وشهد عام ١٨٣٠م بداية الانهيارات العسكرية للمسلمين في وجه اوروبا الزاحفة ، فاحتل الفرنسيون الجزائر ثم مدوا نفوذهم وحكمهم الى تونس والمغرب .

وفي عام ١٨٨٢م قامت قوات بريطانيا بسلخ مصر نهائيا عن سلطة الحاكم العثماني المسلم واصبحت مصر تحت الاحتلال الانجليزي المباشر . اما طرابلس الغرب فكانت مطمع الايطاليين الذين فتحوا بطونهم لابتلاعها منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٩٠٠م عقدت اتفاقية مع فرنسا حول تحديد مناطق النفوذ في البحر الابيض المتوسط، و بموجبها تخلت فرنسا لصالح ايطاليا عن جميع مطالبها في طرابلس الغرب ، ولقاء ذلك منحتها ايطاليا حرية العمل في مراكش(٢٤) .

قامت ايطاليا بعد ضمانها تأييد نظيراتها الاوروبيات «بريطانيا ، فرنسا ، روسيا» ، باستعدادات وافية في داخل طرابلس الغرب . ففي عام ١٩٠١ زارها وفد برلماني ايطالي . وقام ضباط الاسطول الايطالي الذين كانوا

يرتدون لباس الصيادين باصطياد الاسفنج عند سواحل طرابلس الغرب ، حيث مسحوا سواحلها في الوقت ذاته .

وابتدأت منذ هذا العام الصحافة الايطالية بدعوة الحكومة الى فتح طرابلس الغرب كمنطقة كانت تعود بصورة طبيعية الى الايطاليين ، واخرج احد الجغرافيين الايطاليين في سجلات التاريخ القديم اصطلاح «ليبيا» واطلقه على طرابلس الغرب(٢٥) .

عام ١٩٠٨ نجحت حركة الردة المتآمرة ضد الخلافة «الاتحاد والترقي» الماسونية ، في الاستيلاء على السلطة بعد الانقلاب المشؤوم ضد السلطان عبد الحميد الثاني ، وعرف حكمها التعاون التام مع اعداء الاسلام ضد الدولة الاسلامية لتقليص نفوذها والقضاء عليها .

قررت ايطاليا سنة ١٩١١م ، الاستيلاء على طرابلس الغرب واحتلالها ، فحاصر اسطولها مدينة طرابلس في (١٩١١/٩/٣٠م) ، بهدف اخضاعها بالقوة ، فأثار هذا الاعتداء الايطالي على مسلمي طرابلس ، المسلمين في كل مكان ، «فقاد الشيخ عز الدين القسام بنفسه ، مظاهرة طافت شوارع البلدة (جبلة) وهي تهتف :

يا رحيم و يا رحيم

غرق اسطول الطليان(٢٦) .

وقد سبق محاصرة الايطاليين لطرابلس انذارها النهائي لحكومة الاتحاد والترقي ، الذي جاء فيه ان ايطاليا قررت اسباغ نعم التقدم الاوروبي على طرابلس الغرب وان عمل ايطاليا «المشروع» هذا اصطدم بمقاومة الباب العالي . ولما كانت ايطاليا لا تريد اضاعة الوقت باجراء مفاوضات لا جدوى فيها ، لذا قررت احتلال طرابلس الغرب و برقة عسكريا ، صيانة لكرامتها وحفاظا على مصالحها . واقترحت على تركيا ان تأمر موظفيها بعدم مقاومة الاحتلال الايطالي ، وامهلتها (٢٤) ساعة لتنفيذ هذا المطلب(٢٧) .

وحتى تكتمل فصول المأساة فقد ردت حكومة الاتحاد والترقي على الانذار الايطالي بأسلوب مسالم للغاية قالت فيه «انها لا تضمر اي عداء ازاء المشاريع الايطالية في طرابلس الغرب و برقة»(٢٨) .

انتقل الاسطول الايطالي من المحاصرة الى الاحتلال ، فانتقل القسام من المظاهرات الى التطوع القتالي وانتقى (٢٥٠) متطوعا ، وقام بحملة تبرعات كي يؤمن معاش هؤلاء الرجال وعائلاتهم . واتصل بالسلطات العثمانية ، فأبدت ترحيبا حارا ، وطلبت من هؤلاء المتطوعين السفر الى الاسكندرونة ، كي يستقلوا باخرة الى طرابلس . و بعد ان وصلوا الى الاسكندرونة ، انتظروا فيها اربعين يوما دون جدوى . ثم تلقوا الامر من السلطات بالعودة الى بلدهم ، فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الاميين»(٢٩) . وفي هذا دلالة الى ان الشيخ القسام اعتبر محاربة الجهل وتعليم المسلمين من الجهاد في سبيل الله . يصرف عليه من اموال الزكاة والصدقات المخصصة للجهاد ، مما يعكس وعي القسام وفهمه العميق لرسالة الاسلام . اما الايطاليون فقد واجهوا مقاومة عنيفة من القبائل المسلمة في طرابلس الغرب ، واستبسل هؤلاء في الدفاع عن حقوقهم وارضهم ، وقبل ان تستطيع ايطاليا اخضاع الساحل لها كانت حكومة الاتحاد والترقي قد وقعت صلح لوزان في ١٩١٢/١٠/١٨ ، وسحبت بموجبه قواتها البسيطة من طرابلس الغرب واستدعت موظفيها(٣٠) . ومنذ ذلك الحين اصبحت طرابلس الغرب معروفة باسم ليبيا .

٥ ـ المدرسة الثوريه : تجربة الشيخ القسام في الثورة السورية الاولى ضد الاستعمار الفرنسي .

في اطار الثورة السورية الاولى ضد الاستعمار الفرنسي كانت التجربة الاولى في العمل العسكري للشيخ القسام ، ففي هذه المواجهة مع الغرب كانت الصورة الجديدة ، فمن مشاهدة ومعايشة الاستعمار البريطاني في مصر ، الى محاولة ارسال مجاهدين لمقارعة الاستعمار الايطالي في طرابلس الغرب الى تجربة الصدام العسكري المباشر مع المستعمرين ، ورفع السلاح في وجه جنودهم وعساكرهم .

وحتى يستقيم فهم تفاصيل التجربة لا بد من استعراض تاريخي موجز لاحداث تلك الفترة وتشكلاتها .

بناء على الاتصالات والمراسلات التي جرت بين الشريف حسين من جهة و بين بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى ، والاتفاقات التي نجمت عنها ، تقرر اعلان الثورة العربية على الاتراك في الخامس من حزيران ١٩١٦ .

وقبل نهاية الحرب العالمية الاولى «هزيمة تركيا والمانيا امام الحلفاء» ، كانت بوادر المؤامرة على المسلمين تظهر للعيان بشكل واضح وسافر ، اذ اعلنت بريطانيا باسم وزير خارجيتها اللورد جيمس آرثر بلفور ، وعدها لليهود لمساعدتهم في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، وصدر الوعد بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ ، بينما احتلت بريطانيا فلسطين في شهر كانون الاول ١٩١٧ اي بعد صدور الوعد . وكما هو معروف فان وعود الحلفاء للحسين بشأن اقامة دولة عربية موحدة كانت مجرد فقاعات هوائية لم تلبث ان انفقأت باحتلال فرنسا لسوريا ولبنان واحتلال بريطانيا للعراق ، شرقي الاردن وفلسطين .

كيف تم الاحتلال الفرنسي لسوريا :

في ٢٧ ايلول ١٩١٨ اعلن جمال باشا المرسيني «الصغير» قائد الجيش العثماني ، انسحاب الدولة العثمانية جيشا وحكومة عن سوريا . و بعد فترة قصيرة تألفت حكومة عربية مؤقتة برئاسة الامير سعيد الجزائري «حفيد عبد القادر» هدفها الاساسي حفظ الامن في دمشق . الا ان هذه الحكومة لم تدم سوى ثلاثة ايام فقط(٣١) .

و بعد جلاء الاتراك عن دمشق باتجاه الشمال والاناضول ، اصدر الجنرال «اللنبي» القائد العام للقوات الحليفة امرا بتعيين الفريق «رضا الركابي» حاكما عسكريا على سوريا الداخلية «المنطقة الشرقية» ، وعين الكولونيل الفرنسي «دو بياباب» حاكما على المنطقة الغربية ومركزها بيروت(٣٢) .

في مطلع تشرين الاول ١٩١٨ دخلت جيوش الحلفاء دمشق ، يتقدمها مقاتلون عرب تابعون لقيادة الامير فيصل بن الحسين . و بعد ان اتم الجيش الفرنسي احتلال المنطقة الغربية قسمها المفوض السامي جورج بيكو الى ثلاث حكومات مراكزها بيروت ، اللاذقية والاسكندرونة ، وسمى القسم الاول لبنان الكبير ، ثم انقسمت اللاذقية وملحقاتها الى حكومتين منفصلتين(٣٣) ، وفي هذه التجزئة تعبير واضح عن نوايا المستعمرين بتفتيت وحدة المنطقة وتقسيمها على اسس طائفية وعرقية .

العهد الفيصلي في سوريا الداخلية :

كان لفيصل النجل الثالث للحسين بن علي دور بارز خلال معارك الحلفاء والعرب ضد الاتراك ، وتقديرا له على جهوده الحربية و براعته الفائقة في قتال الاتراك وفتح الطريق امام قوات الحلفاء نحو البلاد العربية منحه الجنرال «اللنبي» شهادة تقدير(٣٤) ، لعلها كانت كل ما استحقه فيصل في نظر الغربيين بعد ان ساعدهم في الوصول الى نتائج حاسمة وفاصلة في الحرب ، وفي حين كان الامير الواثق ثقة عمياء بالبريطانيين والفرنسيين ، يهيىء نفسه ليكون ملكا على سوريا الطبيعية ، كان الحلفاء يرسمون خارطة المنطقة خلف الكواليس دون ان يكون لوعودهم للعرب اي قيمة او تأثير على خططهم .

كان فيصل يطمح ان يصبح ملك سوريا بشقيها الغربي والشرقي ، وحيث ان القسم الغربي واقع تحت ادارة القوات الفرنسية فقد حاول الامير تحصيل اعتراف فرنسا بحكمه على المنطقة وانسحابها من المنطقة الغربية بالوسائل السلمية والسياسية ، ومثلت هذه الرغبة لديه رغبة كل السوريين بمختلف اتجاهاتهم ، وتعبيرا عن هذه الرغبة عقد المؤتمر السوري اولى جلساته في الثالث من حزيران سنة ١٩١٩ برئاسة الشيخ

رشيد رضا نائب طرابلس و بحضور ممثلين عن مدن سوريا ، لبنان وفلسطين ، واعلن المؤتمر عن سعيه لتحقيق مهمته الاساسية في جمع كلمة السوريين حول وحدة سوريا بمناطقها الثلاث والمناداة بزعامة فيصل وانابته للدفاع عن استقلال سوريا(٣٥) .

وتبلورت مطالب السوريين بشكل محدد امام اللجنة الامريكية التي اجرت تحقيقا حول رغبات السكان فكانت كالتالي :

ان اغلب سكان المنطقة الشرقية تريد وحدة سوريا واقامة دولة وطنية دستورية برئاسة فيصل ، و وضعها تحت وصاية دولة لا تفكر باستعمارها ، بل تأخذ بيدها نحو حكم ذاتي يتفق مع استعداد اهلها الذين يفضلون أن تكون أمريكا منتدبة عليهم ، فان لم تقبل فبريطانيا ، أما فرنسا فوصايتها مرفوضة(٣٦) .

ونتيجة لهذا الامر اتفقت فرنسا الغاضبة بعد تعديل وتحوير مع بريطانيا على أن تكون الاخيرة حرة التصرف في فلسطين ، الجزيرة العربية وكامل العراق ، مقابل انتداب* فرنسا على سوريا ولبنان .

بالطبع رفض السوريون الانتداب الفرنسي ونشطت حكومة فيصل سياسيا للحيلولة دون وقوعه ، فاجتمع المؤتمر السوري ثانية في ٦/٣/١٩٢٠ و بايع فيصل ملكا على سوريا وأعلن استقلالها ، وأدخل فلسطين في الوحدة السورية ، كما أنه بحث مسألة استقلال العراق . فكان لهذا القرار رد فعل سيىء لدى بريطانيا وفرنسا فعقدتا مؤتمر في سان ريمو بتاريخ ٢٤/٤/١٩٢٠ اتفقتا فيه على تقسيم البلاد العربية فيما بينهما وجعل الانتداب واقعا كما اتفقتا في السابق .

و بعد اعلان قرارات المؤتمر بدأ الشعب السوري بالاستعداد للتصدي للجيوش الفرنسية التي تريد فرض الانتداب بالقوة ، وكانت مساومات فيصل وتراجعه امام الجنرال غورو الذي وجه اليه انذارا في ١٤ تموز بضرورة قبول الانتداب ، و بوقف امداد العصابات الثورية في المنطقة الغربية ، فوافق فيصل على الانذار(٣٧) واخذ بمبدأ التفاهم مع فرنسا على اساس خذ وطالب(٣٨) ، ولكن الشعب السوري رفض موافقة فيصل على الانذار وخرج مناديا بسقوط حكمه ، فاضطر امام الضغط الشعبي الى الرضوخ لارادة القتال فأعلن الجهاد المقدس ضد الفرنسيين(٣٩) .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ التحم الجيشان السوري بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة والجيش الفرنسي في معركة ميسلون ، وكانت النتيجة احتلال فرنسا للمنطقة الشرقية ودخولها دمشق معلنة سقوط الحكومة العربية المستقلة . وأبلغ فيصل بضرورة مغادرته البلاد الساعة الخامسة من صباح ٢٨ تموز ١٩٢٠. أما الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية فقد توجه نحو قبر صلاح الدين بصورة تهكم و بيده سيفه ليقول امام الضريح : «يا صلاح الدين انت قلت لنا في ابان حروبك الصليبية انكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه ... وها اننا قد عدنا فانهض لترانا هاهنا»(٤٠) .

---

* وضع نظام الانتداب بعد الحرب العالمية الاولى ، في مؤتمر الصلح المنعقد في فرساي سنة ١٩١٩م ، اذ لمس الرئيس الامريكي و يلسون وهو في المؤتمر رغبة فرنسا و بريطانيا باستعمار الشعوب المنفصلة عن الدولة العثمانية فاقترح الانتداب كحل وسط بين الاستقلال والاستعمار ، تبقى الدولة تحت قانونه بارشاد دولة غربية الى ان تبلغ المستوى الذي يؤهلها لقيادة نفسها ونيل استقلالها .

العصابات الثورية وجهادها ضد الفرنسيين :

تألفت العصابات الثورية في المنطقة الغربية بعد قيام فرنسا «سنة ١٩١٩» بتقسيم المنطقة الى حكومة لبنان الكبير ، حكومة اللاذقية «وسمتها بلاد العلويين» وحكومة لواء الاسكندرونة ، فقام المجاهدون بهجمات متعددة على حدود المنطقة الغربية حيث تتمركز مفرزات من الجيش الفرنسي واللبناني في اماكن مختلفة(٤١) .

وكانت العصابات الثورية تعمل تحت قيادات متباينة وفي مناطق مختلفة ، وهذه العصابات هي :

١ ــ عصابة ابراهيم هنانو

٢ ــ عصابة الشيخ صالح العلي

٣ ــ عصابة صبحي بركات

٤ ــ عصابة عمر البيطار وعز الدين القسام

وقبل الدخول في عرض جوانب من تاريخ الثورة وعلاقة قوادها ببعضهم البعض ، لابد من القاء الضوء على دور القسام في اشعال فتيل الثورة ضد الفرنسيين .

دور الشيخ عز الدين القسام في الثورة :

خلال الحرب العالمية الاولى «١٩١٤ ــ ١٩١٨» كان القسام قد وثق صلاته بمشايخ الجبل وكل الوطنيين في الساحل السوري وفي الداخل(٤٢) ، وقبل سقوط الساحل السوري ، بيد القوات الفرنسية ، في تشرين الاول «اكتوبر» ١٩١٨ ، باع الشيخ القسام ، بيته ، وهو كل ما يملك وانتقل الى قرية «الحفة» مع زوجته وأولاده ، وفي قرية الحفة ، اخذ يعطي الدروس التحريضية ، تمهيدا لاعلان الثورة(٤٣) ، مستفيدا من الموقع الحصين للقرية ، وطابعها الفلاحي . وعندما نادى منادي الجهاد في ارجاء اللاذقية ودعى داعي الله ، كان القسام اول من لبى وأجاب ، فانضم الى عصابة عمر البيطار في قرية شير القاق من جبال صهيون ، وانتظم في عداد رجالها وتقلد السلاح جنديا في خدمة الاسلام ، وكان معه طائفة من مريديه واتباعه الذين علمهم وهذبهم(٤٤) .

فاندلاع الثورة في جبال صهيون كان من نتاج دعاياته(٤٥) ، وفي هذه المنطقة قاوم القسام اشد مقاومة وكان اول من رفع راية المقاومة لفرنسا واول من حمل السلاح في وجهها(٤٦) . كما كان في طليعة المجاهدين(٤٧) ، مع مجموعة من تلاميذه الذين تلقوا العلم في حلقات دروسه ومجالس وعظه ، وكان من ابرزهم اثنان لم يتخليا عنه طيلة حياته وهما الشيخ محمد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد(٤٨) ، بالاضافة الى مجاهدين اخرين كالشيخ احمد ادريس ، الحاج خالد ، ظافر القسام وعبد المالك القسام(٤٩) . وكان للشيخ فخر الدين القسام دور في الجهاد ضد الفرنسيين مع الشيخ عز الدين واتباعه(٥٠) .

وقد وصف المؤرخ امين سعيد اصحاب القسام ومريديه بقوله : «ولابد لنا من القول ان الشيخ لم يذهب وحيدا الى ميدان الجهاد وانما ذهب على رأس طائفة من مريديه واتباعه الذين اصطفاهم وعلمهم ، وهذبهم ونقى نفوسهم من الادران والشوائب ، فتذوقوا لذة الايمان الحقيقي ، وقد استشهدوا جميعا في سبيل الله ولم يبق منهم سوى واحد او اثنين*»(٥١) .

---

* المجموعة التي بقيت على قيد الحياة منهم اكثر من اثنين وربما تبلغ ستة اشخاص ، راجع علي خلف ، مجلة شؤون فلسطينية العدد ١٢٤ ، ص٣٢ .

بقي الشيخ القسام مجاهدا ضد الفرنسيين في سوريا مع من تبقى من اتباعه مدة لا تقل عن سنة «١٩١٩ ــ ١٩٢٠»(٥٢) ، مستفيدا من التجارب التي خاضتها الثورة ، فكانت «بتنوع تجاربها وتحالفاتها ، مدرسة تربى في قلبها الشيخ عز الدين القسام ، وتمثل دروسها الايجابية والسلبية(٥٣) ، ففيها تمرس على حرب العصابات وعرف كيف يمكن لفلاحين مجاهدين ان يواجهوا جيوشا مدربة احدث تدريب ، ، يتحدونها بارادتهم الصلبة وعقيدتهم التي لا تلين . وتعلم من خلال تجربة العصابات الاخرى بفشل تحالفاتها المختلفة ان ارباب السياسة وطلاب الزعامة ابعد ما يكونوا عن الولاء للثورة ودعمها حتى النهاية ، فكانت خيانة فيصل لحليفه الشيخ صالح العلي ، وتخلي كمال اتاتورك عن دعم ابراهيم هنانو ، وقبل الخوض في التفاصيل نعرج قليلا للتعريف بباقي العصابات المجاهدة ودورها .

١ ــ عصابة صبحي بركات

قام صبحي بركات بتأليف عصابة ثورية في ايار سنة ١٩١٩م ، في بلدة انطاكيا ، وعاونه اخوه ثريا في قيادتها . وحتى تستطيع القوات الفرنسية القضاء على نشاطه ومقاومته لها عمدت الى ارسال احد اصدقائه «وهو محمد الجركسي من حلب ، والمعروف بتعاونه مع المستعمرين» ، اليه و بعد محادثات ومفاوضات تخلى صبحي عن الثورة والقى سلاحه مع افراد عصابته في شهر تموز ١٩٢٠(٥٤)، فكان هذا اولى الطعنات في ظهر الثورة ، واولى الانهيارات في جبهة الاسكندرونة ، وفسرت هذه النهاية المأساوية ، على انها بوحي من كمال اتاتورك نفسه ، عندما عقد معاهدة سيفر مع الفرنسيين ، وضمن استقلال بلاده(٥٥) بعد ان كان يقود الحرب ضد المحتلين الفرنسيين ، في اجزاء من تركيا ، احتلت في الحرب العالمية الاولى .

و بعد ان القى صبحي السلاح قابل الجنرال غورو في بيروت ، ثم عاد الى حلب مقتنعا «وداعيا» الى سياسة حسن التفاهم مع الفرنسيين(٥٦) ، و بقي مواليا لهم الى ان عهد اليه بتشكيل الحكومة السورية عام ١٩٢٢ في ظل الانتداب الفرنسي ، فوصف بالخائن ، ثم ما لبث ان هرب الى تركيا ليعيش هناك .

٢ ــ عصابة ابراهيم هنانو :

ينتمي ابراهيم الى عائلة ذات وجاهة في قضاء حارم التابع لحلب ، ولد في قرية تخاريم من اعمال انطاكية سنة ١٨٦٦م ، درس في الاستانة وتخرج فيها من مدرسة الادارة «المدرسة الملكية الشاهانية» فدخل في سلك الوظائف الادارية و بقي فيها حتى ختام العهد العثماني فعاد الى سوريا(٥٧) .

انتخب عضوا في المؤتمر السوري الاول «١٩١٩» وفي تشرين الاول من العام نفسه توجه نحو ادلب وتداول مع اخوانه هناك في احتلال الفرنسيين للمنطقة الغربية من سوريا وتقسيمهم البلاد الى دويلات فقرروا اعلان الثورة على فرنسا(٥٨) . فقام هنانو بتشكيل عصابات مجاهدة واتصل مع العصابات الموجودة سابقا ، وساعده على هذا الامر تعيين الحكومة الفيصلية له مساعدا لحاكم حلب الاداري رشيد طليع .

بتاريخ ٢١/يوليو/١٩٢٠ طلبت الحكومة الفيصلية من حلب التسليم للقوات الفرنسية دون مقاومة ، بعد ان وجه غورو انذاره لفيصل ، و بعد ان اتخذت الحكومة قرار التسليم لفرنسا وقبول الانذار ، فرفض هنانو التسليم وغادر الى الشمال مرة اخرى ، واعاد الاتصال بالعصابات المسلحة فتولى قيادتها والاشراف عليها(٥٩) . و بعد سقوط عرش فيصل بقي هنانو مجاهدا في منطقته وحوله «٣٠٫٠٠٠» مقاتل ، ودامت ثورته عشرون شهرا ، وكان يحكم المنطقة في الامور المالية وغيرها . فاضطرت السلطات الفرنسية الى فتح مفاوضات رسمية معه حول منطقة جبل الزاوية «منطقة نفوذه» ، ولكنها لم تسفر عن شيء(٦٠) .

الف هنانو في منطقته ما يشبه حكومة وطنية ، ولقب «بالمتوكل على الله» ، وكثرت جموعه واتسع نطاق

نفوذه . فخاض سبعا وعشرين معركة لم يصب فيها بهزيمة(٦١) ، و بقي يقاتل القوات الفرنسية في ضواحي حماة والمعرة ، وجبل شحشبو ونواحي جسر الشغور، قتالا عنيفا حتى اوائل ايلول ١٩٢١(٦٢) ، حيث اشتدت حملات القوات الفرنسية عليه ، فغامر بغارة اخترق فيها سوريا الى ان بلغ فيها السليمية ، وفيها غدره سكانها الاسماعيليون وطوقوه مع الفرنسيين فهرب الى عمان(٦٣) ، بعد ان كان قد تراسل مع الامير عبد الله ابن الشريف حسين الذي اذاع بيانا في عمان يقول فيه انه جاء من الحجاز «لتحرير سورية» فكاتبه ابراهيم ، لتوحيد الخطط(٦٤) .

وعندما بلغ عمان لم يجد فيها ما امل ، وهناك حمله رسالة من المعتمد البريطاني في عمان ابرامسون ، الى المندوب السامي في فلسطين هر برت صمو يل هي في جوهرها رسالة تسليمه ، وفعلا ، بفندقه في القدس ، القت قوات الاحتلال البريطاني القبض عليه (١٩٢١/٨/٢٠) ، وسلمته مخفورا الى الفرنسيين(٦٥) ، وسيق الى حلب حيث حوكم واستمرت محاكمته عدة شهور وانتهت ببرائته واعتبار ثورته سياسية مشروعة(٦٦) ، فتحول الى الميدان السياسي وكان السبب في عدم المضي في سياسة التفاهم مع حكومة الانتداب ، كما كان العامل الاساسي في رفض المعاهدة الفرنسية ــ السورية(٦٧) . و بقي في حلب الى ان توفي في ١٩٣٥/١١/٢١ .

٣ ــ عصابة الشيخ صالح العلي :

ولد الشيخ صالح العلي عام ١٨٨٣م في قرية «المريقب» ، كانت له زعامة العلو يين في الجبل المسمى باسمهم قرب اللاذقية(٦٨) ، شارك في ثورة العرب على الاتراك ، فقطع الطريق التي تصل طرطوس بحماة ، عن طريق مصياف ، عليهم ، وكان مقره في ناحية الشيخ بدر التي تمر بها هذه الطرق . وفي ر بيع ١٩١٨ ، هاجم القوات التركية قرب «النيحا» واستولى على معدات وذخائر عديدة(٦٩)

وحين أعلن السوريون الثورة على فرنسا ، عاد الشيخ العلي للقتال مع جماعة قليلة من اتباعه العلو يين ، فأمده الامير فيصل بالمال والعتاد ، وظفر بالفرنسيين في معارك متتالية

استفحل أمره بعد معركة «وادي ورور» وانبسط سلطانه وكثرت جموعه فأحتل قرية «القدموس» وجعل قرية «الرستن» مقراً لقيادته(٧١) ، وشملت ثورته المنطقة الساحلية الشمالية ، مع تمركزه في «الشيخ بدر»(٧١)

اتصل بابراهيم هنانو عام ١٩١٩ وانضم تحت لوائه(٧٢) ، واشار بلاغ رسمي فرنسي صدر في بيروت يوم ١٩٢١/٩/٢ ، الى تحالف هنانو والشيخ العلي(٧٣) في مقاومة القوات الفرنسية .

وفي منتصف حزيران ١٩٢١ ، قاد الجنرال نيجر ، حملة عسكرية ضد الثوار في جبال العلو يين وجبال صهيون ، وكان العلي قد قل عنده السلاح ، واستسلم الكثير من انصاره ، فسقطت ثورته امام الحملة الفرنسية ، وادركه اليأس ، فأوى الى بعض الكهوف ، و بقي متنكرا لمدة عام كامل ، بعد ان صدر حكم الاعدام ضده ، الى ان اعلن الفرنسيون له الامان ، فظهر مستسلما وقال للقائد الفرنسي الجنرال بيوت يوم استسلامه في اللاذقية : «والله لو بقي معي عشرة رجال مجهزين بالسلاح والعتاد ، ما تركت القتال»(٧٤) ، واعتزل العلي شؤون الحياة العامة الى ان توفي عام ١٩٥٠م في «المريقيب» .

تجر بة تحالفات الثورة السور ية الاولى :

اعتمد ابراهيم هنانو في البداية على الدعم المقدم اليه من قبل فيصل ، ثم حاول توسيع نطاق المعونات باتصاله مع العصابات التركية التي كانت تقاتل الفرنسيين المحتلين لاجزاء من تركيا ، تقع في المناطق

المجاورة للحدود السورية(٧٥) ، فعقد هنانو اتفاقية مع كمال اتاتورك لتزو يده بالسلاح دون مقابل(٧٦) ، اما الشيخ صالح العلي فقد اعتمد على دعم الامير فيصل ، الذي ابتدأ فعليا منذ منتصف تشرين الاول ١٩١٩ ، عندما اوفد ابن عمه مصحوبا ببعض السلاح والذخيرة ، ولم يغفل عن ارسال القهوة ، السكر ، الملابس والماشية للمجاهدين . وفي منتصف اذار ١٩٢٠ ارسل الامير فيصل القائد الشهير غالب الشعلان لمعونة الشيخ صالح في قيادة الثورة والاشتراك معه بتوجيهها وتنظيمها(٧٧) .

واتصل كمال اتاتورك بالعلي ، وارسل له بعض الاسلحة واربعة ضباط ، ولكن العلي اصر ان تكون العلاقة عن طريق دمشق ، فقطع اتاتورك الاتصال واحتفظ بضباطه الاربعة .

اما عمر البيطار والشيخ عز الدين القسام فلم يشر اي مصدر الى وجود تحالفات بينهم و بين قوى خارج اطار الثورة ، و يبدو انهما اعتمدا المعونات المقدمة من العصابات الاخرى التي كانت اقوى عدة واكثر عدداً .

لقي التحالف خارج نطاق الثورة ضربة قاسية من كمال اتاتورك فبعد ان توصل الى اتفاق مع فرنسا بسحب قواتها ، تخلى عن كل عهوده للثورة ، واخذت قواته تلقي القبض على المجاهدين ، وتعيدهم الى الحدود السورية ، واحيانا تسلمهم الى السلطات الفرنسية(٧٨) .

اما الامير فيصل الحريص على ارضاء حلفائه ، والذي حاول جعل الثورة مجرد ورقة ضغط لا اكثر ، فقد اوقف مساعداته للعلي ، وسحب مستشاريه وضباطه في اعقاب نجاح العلي في صد هجوم فرنسي على معقل الثورة ، والذي جاء نتيجة لاقناع فيصل واللنبي لصالح العلي بالسماح للقوات الفرنسية بالمرور من قرية الشيخ بدر ، رغم علم فيصل ان القوات الفرنسية ستتمركز في القرية لتهاجم الثورة ، وتضع حد لها ، ولكن الهجوم فشل في هدفه ، فأوقف فيصل مساعداته(٧٩) .

علاقة العصابات الثورية مع بعضها البعض :

لا شك ان ابراهيم هنانو كان الشخصية الرئيسية في الثورة ، وصاحب اوسع نفوذ بين صفوف الثوار ، وتستند شخصية هنانو الثورية الى مستندات استقلال سوريا ووحدتها ، وتوجهه العقائدي كان نحو الوطنية السورية والقومية العربية ، فهو من اعضاء «جمعية الفتاة السرية» زمن الاتراك ، وعضو في المؤتمر السوري ، وحزب الاستقلال العربي الذي اسس في الخامس من شباط عام ١٩١٩م . بالاضافة الى كونه من العاملين في حكومة الامير فيصل العربية .

اما الشيخ صالح العلي ، ففي تحريضه ضد الاحتلال الفرنسي ، واستنهاض همم العلويين ، مزج بين القومية والوطنية والدينية «الطائفة العلوية» فمن القول ان الاحتلال مزق وداس «اعلام الثورة العربية» ، وانه يسعى الى «فصل الساحل السوري عن الوطن الام» ، الى اظهار نواياه الخبيثة ضد العلويين «التي تستهدف ابادتهم ومحو شعائرهم»(٨٠) ، في مقابل هذين التوجهين كان الشيخ عز الدين القسام يستمد اصول دعوته وتحركه الجهادي من الاسلام ، وكان يعتبر الحرب مع الفرنسيين حربا دينية ، دفاعا عن الاسلام والمسلمين

هذه الخطوط الثلاثه استلزمت نتيجة منطقية لها ، وهي ان الثورات الثلاث ، حافظت على استقلالها النسبي ، في مراحلها الاولى ثم بدأت بتبادل الخبرات والتعاون دون ان تصل الى مستوى تشكيل قيادة مشتركة(٨١) . وكثيرون هم الذين يختزلون تجربة الشيخ القسام في سوريا بمجرد القول انه قاتل مع الشيخ صالح العلي(٨٢) . دون الانتباه الى وجود فروق بينة في الانتماء .

الراجح اذن ان العصابات الثلاث عملت بصورة منفردة مع وجود تنسيق واتصالات بينها ، و بهذا الصدد

يشير المؤرخ امين سعيد الى وجود اتصال وثيق بين الشيخ القسام وابراهيم هنانو خلال الثورة، فهما من ابناء منطقة واحدة، «وارتبطا برباط واحد حينما كان (هنانو) يشرف على حركة العصابات التي كانت تعمل في المنطقة الشمالية الغربية»(٨٣). وكان ابراهيم هنانو، بعد نجاحه في السيطرة على منطقة جسر الشغور، قد قرر مع قواده، التوجه نحو قلعة صهيون لتطهيرها من كتائب الفرنسيين التي وصلت اليها عن طريق «الحفة»، فأرسل المجاهد «محمود الاستنكاوي» برسالة لعمر البيطار «رفيق القسام في الجهاد» يدعوه فيها باسم الوطن والدين الى حمل السلاح ومشاركتهم الجهاد في سبيل الله واعلموه بخطتهم التي ترمي الى تطهير منطقته من الفرنسيين، فاعد البيطار نفسه لاستقبال المجاهدين ومهاجمة القلعة وفي ليلة ٢٨ شباط وصل المجاهدون الى قرية البيطار، فانضمت اليها عصابته وتوجهوا الى قلعة صهيون، وهاجموها واهلكوا اكثر الحامية الفرنسية فيها، وبعد ان حرروها عاد هنانو الى ضواحي جسر الشغور وحارم وادلب وبقيت عصابة «القسام» والبيطار مرابطة في المنطقة(٨٤).

هناك من المؤرخين من يذكر ان الشيخ صالح العلي انضم الى ابراهيم هنانو وعمل تحت قيادته(٨٥). وان هنانو كتب للعلي يشجعه بالمضي في الكفاح والجهاد وان يكون على اتصال دائم مع عمر البيطار في صهيون(٨٦)، القريبة من جبال العلو يين حيث يتمركز العلي.

من امثلة التعاون بين الثورات الثلاثة ما حدث في معركة جسر الشغور، التي خاضها ابراهيم هنانو، اذ ذهبت قوة لمساعدته بقيادة عمر البيطار(٨٧)، وقيام ابراهيم هنانو بتلبية طلب الشيخ صالح العلي بمساعدته بعد ان سحب فيصل ضباطه، فأرسل اليه هنانو اربعة ضباط كان لهم اثر ملحوظ في ادارة العمليات الحربية(٨٨).

محاولة الفرنسيين اقناع القسام بترك الثورة:

مثلما نجحت الادارة الاستعمارية في جر صبحي بركات الى شباكها، حاولت ان تقنع الشيخ عز الدين القسام بترك الثورة والرجوع الى بيته، فأرسلت اليه زوج خالته «عبد الرحمن محسن علي اديب»، فوعده باسم السلطة ان توليه القضاء وان تجزل له العطاء في حالة موافقته على الرجوع والتخلي عن جهاده فرفض الشيخ عز الدين القسام العرض وعاد رسول الفرنسيين من حيث اتى(٨٩).

ونتيجة لاصراره على خط الجهاد، حكم عليه الديوان العرفي الفرنسي في اللاذقية وعلى مجموعة من اتباعه بالاعدام «فلم يزده ذلك الا مضاء واقداما»(٩٠)، طارده الفرنسيون، فقصد دمشق(٩١)، وكانت الحكومة الفيصلية فيها. وتقول خيرية القسام ابنة فخر الدين شقيق عز الدين ورفيقه في الثورة ان الطائرات الفرنسية قصفت القرية التي كانوا فيها بالطائرات، مما اضطر الاسرة بأكملها للرحيل بفزع شديد، بعد ان احرقت القذائف مكان سكناهم واثاثهم.

وبقي الشيخ عز الدين في دمشق الى ان سقطت الحكومة الفيصلية بعد انتصار الفرنسيين في معركة ميسلون «١٩٢٠/٧/٢٤»(٩٢). فغادر دمشق قاصدا فلسطين، ليبدأ في تأسيس حركته الجهادية ضد البريطانيين والصهيونيين.

اما عمر البيطار فبقي في سوريا مجاهدا بعد رحيل القسام رفيق ثورته، وفي آذار سنة ١٩٢١، شنت القوات الفرنسية، هجوما واسع النطاق، على المجاهدين، وبالذات على مراكز قيادة ابراهيم هنانو، فانتصرت عليها، وفر هنانو الى الصحراء، وبقي «عمر البيطار واتباعه يقاتلون الفرنسيين، مع من تبقى من قوات هنانو»(٩٣)، ثم التجأ البيطار الى تركيا، مع مجموعة من المقاتلين، وقاتل في حروب كردستان ضد الانكليز(٩٤).

دروس ونتائج من الثورة السورية :

لعل ابرز الامور التي استفادها الشيخ عز الدين القسام من مشاركته في الثورة السورية الاولى ما يلي :

١ ـ اثبتت السياسة المتبعة بالنسبة للحلفاء ،أن التفاهم وتقديم التنازلات لارضائهم لا يعني سوى خيانة الثورة والوقوف الى جانب المستعمرين .

٢ ـ لا يمكن ان يثق المجاهد بوعود المستعمرين الكافرين ، ولهذا رفض القسام وساطة زوج خالته و بقي رافعا السلاح .

٣ ـ ضرورة اخذ الحذر والاحتياط من ابناء الثورة نفسها ، فخيانة صبحي بركات اثبتت لبقية الثوار ان نجاح المستعمر في شراء ذمة ثائر او قائد ممكنة الحصول . لذا نجد القسام يحتاط بشكل كبير في اختيار عناصر تنظيمه في فلسطين ، و يطلب من اخوانه المجاهدين في معركة يعبد القسم على قتل الخائن الذي ينضم للانجليز ضد رفاقه .

٤ ـ ضرورة الاعداد النفسي للثورة والتحضير لها فترة من الزمن ، وهذا ما اتبعه الشيخ القسام في فلسطين كما ذكر الكاتب القسامي صبحي ياسين(٩٥) .

الفصـــل الثاني

« القسام في فلسطين »

الفصل الثاني

١ ـــ... القسام الى فلسطين

في عـام ١٩٢٠ تـوجـه الـشيـخ عز الدين القسام نحو فلسطين(١) ، ورغم ان اغلب المصادر العربية* تذكر الـعـام ١٩٢١ أو الـعـام ١٩٢٢ على انه السنة التي دخل فيها فلسطين ، الا ان التاريخ الصحيح يقع في الفترة مـا بـين آب ١٩٢٠ وأواخـر الـسـنـة نفسها ، بدليل ان الشيخ عز الدين قد وقع على عريضة مقدمة من وجهاء وشخصيات مدينة حيفا للمندوب السامي تطالبه فيها بتعيين الحاج امين الحسيني مفتيا للقدس ، والعريضة مـؤرخـة في الخامس من نيسان ١٩٢١م ، وكتب فوق اسم القسام وظيفته وهي «مدرس» ، فاذا علمنا انه تولى وظيـفـة التدريس بعد شهور من دخوله فلسطين ، فانه يكون من الراجح ان التاريخ الادق هو قبل نهاية عام ١٩٢٠م ، امـا لماذا بعد آب ١٩٢٠م ؟؟ فلأن كلا خير الدين الزركلي المؤرخ السوري الذي عاصر احداث الثورة الـسورية وخرج مع الذين فروا من حكم الاعدام الصادر عن المجلس الحربي التابع للجيش الفرنسي ، وامين سـعـيد الـذي يمـت بصلة نسب للشيخ عز الدين القسام ، قد ذكرا ان القسام غادر سوريا الى حيفا بعد سقوط الحكومة الفيصلية في دمشق(٢) .

امـا الـطـريـق الـتـي سـلـكها الشيخ عز الدين القسام مع اتباعه الستة الذين رافقوه «وهم احمد ادريس ، الـحـاج علي عـبـيد ، الـشـيـخ مـحـمد الحنفي ، الحاج خالد ، ظافر القسام وعبد المالك القسام» ، فقد عين عبد المالك الـقـسام نـقـطـة الـبـدايـة لـهـا مـن جسر الـشـغـور ، ومـنـهـا الى بـيـروت مـشيا على الاقدام ، معتمدين على الـتـنـكـر .«وفي بيروت اقاموا في الجامع العمري بمساعدة الحاج خليل سكر . ومن الجامع العمري الى دمـشـق ، رتـب الـشـيـخ عـز الدين القسام ، زيارة سرية خاطفة ، التقى فيها بزميل دراسته في الازهر عز الدين الـتـنوخي الذي زوده بجواز سفر مرور(٣) ونظم الحاج خليل سكر ، امر نقلهم من بيروت الى صيدا بسرية تامة وعبر حنطور قادة احد القبضايات ومن صيدا الى عكا بواسطة قارب صغير .

في عـكـا ، قـرر الـشـيـخ احـمـد ادريس• العودة ، لخلاف نشب بينه و بين الشيخ القسام بسبب اسلو به في المناقشة المعتمد على يده ، في تعامله مع زملائه .

وانـتـقـلـت المجـمـوعـة ، بـدون الشيخ احمد ادريس من عكا الى حيفا ، وصادف وصولها عصر يوم جمعة ، وادت صـلاة المـغـرب في جـامع الجرينة ، حيث تطوع الشيخ عز الدين القسام وقدم درسا ، لفت انظار الحضور الـيـه ، و بـدأت الاسـئـلـة تدور حوله ، وغـادر المصلون المسجد ، و بقي الشيخ مع مجموعته ، فاستفسرهم الحاج عـبـد الـلـه مسمار ، عما يفعلونه ، لانه سيغلق المسجد و يعود الى بيته . و يبدو ان الحاج عبد الله ، كان قيم المـسـجـد ، وسـمـسـاراً للمساكن ، اذ يحمل رزمة من المفاتيح ، اعطى القسام وجماعته شقة من غرفتين بدون

---

* منـهـا عـمـر ابـو الـنـصـر في جـهـاد فلسطين العربية ، اذ يذكر ان القسام هبط حيفا ، في ١٩٢٢/٢/٥ «ص ٢٧٠» وعلي حسين خلف في شؤون فلسطينية العدد ١٢٤ ، اذ يرجح ان الشيخ وصل حيفا في اواخر صيف ١٩٢١ ، ص ٣٣

** انظر صورة الوثيقة في الملحق رقم «١» في هذا الكتاب .

• الـشـيـخ احمد ادريس من مواليد الزنكوفة عام ١٨٨٥ ، ومن الاتباع الخلص للشيخ عز الدين القسام . شارك في قـيـادة ثـورة جـبـال صـهيون منذ بدايتها حتى النهاية . وعندما عاد من عكا الى شمال سوريا ، نزح الى تركيا ، وقاتل مع عمر البيطار في كردستان لمدة سنة ونصف . حكم عليه بالاعدام ونهب بيته ونسف . رجع الى سوريا بالعفو العام ، وسجن بين ١٩٣٩ ــ١٩٤٣ ، وظل امام قريته وخطيبها(٤) .

اغطية ، وليلتها نام الجميع على الحصيرة والتحف الشيخ جبته»(٥) .

ثم نزل القسام ضيفا عند قريبه الحاج امين نور الله ، الذي كانت له علاقة مع اعضاء الجمعية الاسلامية بحيفا(٦) . واستضيف لفترة من الوقت في منزل عبد الفتاح الخطيب ، وكان يتردد عليه رفيق دربه الشيخ محمد حنفي ، ثم سكن في بيت الحاج عبد الواحد الحسن الواقع في حارة اليهود .

و بقي في هذا السكن حتى مجيء زوجته* واولاده ، الذين نقلهم سائق من بيروت ، ادخل اسماءهم في جواز سفره .

وسكنت الاسرة في الحي القديم من المدينة ، وهو الحي الذي يجمع فقراء الفلاحين النازحين عن قراهم ، بعد استيلاء الصهيونيين عليها ، وعاشوا فيه تحت سقف عشش الصفيح البائسة ، «واضطروا للعيش في ذلك المستوى المنخفض من الحياة بسبب الهجرة اليهودية ، وابدى القسام اهتماما حقيقيا اصيلا بتحسين احوال معيشتهم و بدأ يكافح الامية في صفوفهم من خلال اعطاء دروس ليلية ، وسرعان ما اصبح فلاحو المنطقة الشمالية يكنون له ابلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته المتكررة لهم وما يتسم به من اصالة في الخلق والتقوى»(٩) .

و بعد شهرين من الاقامة ، اصر الحاج خالد ، من جبال صهيون على العودة الى بلدته ، ومن هناك يمكنه التبرع بعائدات عمله الى حركة الشيخ . وعاد الحاج فعلا ، والقت القوات الفرنسية القبض عليه ، وهو في اطراف قرية «جبلة» . فأعدم بطريقة بشعة اذ جمع الفرنسيون سكان القرى ، وسكبوا الكاز على الحاج خالد واحرقوه حيا امامهم(١٠) ، وتعيد هذه الطريقة في قتل المجاهد الحاج خالد ، الى الاذهان ، اساليب الصليبيين الوحشية في حملاتهم العسكرية ضد بلاد المسلمين . كما انها تعكس الصمود الاسلامي المشرف في وجه المستعمرين .

ولابد من لفت النظر هنا الى نقطة هامة وهي ان القسام دخل فلسطين وفي نيته القيام بعمل وتحرك جهادي قبل ان يلتقي بالقيادات الفلسطينية و يتعرف اليها ، بدليل ان الحاج خالد استعد للتبرع بعائدات عمله لهذه الحركة ، بعد شهرين من دخولهم فلسطين .

(٢) مدينة حيفا «معقل القسام» تحت الانتداب البريطاني :

من الامور التي شاركت في تفعيل دور الشيخ عز الدين القسام الجهادي في فلسطين اتخاذه مدينة حيفا مقرا للسكن والحياة ، ولا يوجد بين ايدينا ما يثبت ان الشيخ اختار المدينة بعد دراسة وتفكير ، ولكن مما لا شك فيه ان مزايا حيفا وموقعها في فلسطين قد ساعد القسام بشكل كبير على المضي بدعوته ونشاطه بطريقة ناجحة ، دون ان تعيقه معيقات عدة وجدت في مدن فلسطين المركزية الاخرى .

فحيفا المدينة الجميلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط ، وذات الخليج البحري الهام ، كانت من ناحية المواصلات تتصل عن طريق البحر ، بمدن لبنان وسوريا ووصلها عن طريق البر الخط الحديدي الحجازي مشتقا طريقه من قرية «المزيريب» الى وادي اليرموك فنهر اليرموك ، فبيسان ثم مرج بن عامر حتى يصل اليها ، فأعطاها الخط سهولة الاتصال بباقي مدن فلسطين ، كما انه فتح امامها الحياة الحديثة فصارت مرسى كبيراً للسفن ، ونمت تجارتها مع دمشق وغيرها من المدن الهامة .

وكانت الميزة المهمة للمدينة بعدها عن نفوذ وصراع العائلات الكبرى في فلسطين «الحسيني ، النشاشيبي

---

* تزوج الشيخ عز الدين من ابنت عمته : امينة نعنوع وانجب منها ثلاث بنات خديجة ، عائشة وميمنة ، ثم ولد له عام ١٩٢٣ ابنه الوحيد محمد(٧) و يذكر علي خلف ان زوجه الشيخ القسام ، شاركته تجربة ثورة الحفة كلها(٨) .

، الخالدي ، عبد الهادي ، العبوشي وغيرها» ، هذا الصراع الذي اضر كثيرا بمسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية واعاق اتحداها في وجه الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية .

وبعد بيوعات الاراضي واستيلاء اليهود على مساحات واسعة في اراضي سهل مرج بن عامر ، نزح الى حيفا الكثير من الفلاحين ليعملوا في شركات السجائر ، سكة الحديد ، وفي التجارة(١١) ، وفي حيفا القديمة كان هناك ١١٠٠٠ فقير عاشوا في بيوت من الصفيح(١٢) بعد ان هدمت دورهم وسلبت منهم قراهم . وكان هؤلاء الفقراء المعدمين اصدقاء الشيخ وموضع ثقته ، ومن خلاله وتحت قيادته كان لهم دور رئيسي في تاريخ القضية .

اما الانتداب البريطاني ، فقد جعل حيفا قاعدة لاسطوله ، ونصب فيها المدافع وشيد القلاع على جبالها وضواحيها ، وجعل فيها عنابر ضخمة مليئة بالقنابل والقذائف والرصاص والديناميت ومختلف انواع الاسلحة (١٣) ، فكانت قوة الانتداب وجبروتة مختزنة في حيفا ومعروضة على جبالها وفي بحرها

(٣) فلسطين والانتداب البريطاني حتى عام ١٩٣٥م :

جاء في مذكرة ارنولد تو ينبي الذي كان يعمل في دائرة الاستخبارات التابعة لو زارة الخارجية البريطانية بتاريخ تشر ين الاول ١٩١٨ ، التي يعالج فيها مستقبل فلسطين ما يلي :

«ان حكومة جلالته ترغب بصورة خاصة تامين التسهيلات المعقولة في فلسطين للاستعمار اليهودي دونما افساح المجال للرأي العام العربي او الاسلامي في انتهاز فرصة اعتبار ان بريطانيا العظمى قد لعبت دور الاداة في تسليم ارض عربية او اسلامية حرة الى غرباء»(١٤).

ونص وعد بلفور على رغبة بريطانيا في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وانها ستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .

وبعد ان دخلت القوات البريطانية فلسطين محتلة «كانون الاول ١٩١٧» ابتدأت السياسة العمليه سمب الوعد ، فجاء انتداب بريطانيا على فلسطين بقرار من عصبة الامم ، وارسل اليهودي الصهيوني هربرت صمو يل ليشغل منصب اول مندوب سامي بريطاني في فلسطين . وجاء صك الانتداب واضحا وصريحا يحدد نية بريطانيا بدقة بقوله «بأن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في احوال اقتصادية وسياسية وادارية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي» .

كان مطمع الصهيونية الاسمى الاستيلاء على الارض والاستيطان فيها ، و بالذات الاراضي الخصبة في المناطق السهلية والساحلية ، ولاشباع الرغبة اليهودية بطريقة ادارية ناجحة تم تعيين اليهودي «الكابتن نورمان بنتو يتش» نائبا عاما ، اي رئيسا للادارة التي تسن القوانين، فوضع هذا الصهيوني عدة قوانين تسهل استيلاء اليهود على الاراضي ، ووضع وجعل المزارع العربي في حالة تضطره الى بيع بعض او كل ما يملك من ارض(١٥) . واتبعت بريطانيا عدة اساليب لتحو يل ملكية الاراضي من العرب لليهود ،منها قيامها بعمليات تسو ية الاراضي ، «وهي مشروع يرمي في ظاهره الى حل مشاكل ملكيات الاراضي وخاصة تلك الاراضي التي كانت ما تزال باسم املاك الدولة في العهد العثماني ، فكانت محاكم الاراضي تعتبر كل كوشان يهودي عثماني» صحيحا ، فتسجل باسم صاحبه كل شبر من الارض يدعيه لنفسه ،وأما عندما يكون الكوشان عربيا فالحكم ينقلب في النهاية الى النقيض ، اذ كانت المهمة الرئيسية لمأموري التسو ية الذين منحت لهم صلاحيات قضائية واسعة ان يضعوا كواشين العرب محل اعتراض وادعاء»(١٦) . والى جانب تسلط اليهود على ارض الفلاح الفلسطيني كانت تواجهه مشاكل اخرى اكبرها مشكلة «الدين» ، ففي التقرير الذي وضعه مستركلاند «C.E.Strickland» من الادارة الانتدابية عن الوضع الاقتصادي في فلسطين ، نجد العبارة التالية :

«ان مصيبة الفلاح الفلسطيني في ديونه»(١٧) . وحسب التقديرات البريطانية الرسمية فان العائلة

الفلسطينية الريفية مدنية بمعدل ١٣١ جنيه ، و يدفع الفلاح فائدة على دينه تبلغ ٣٠٪ ، وحسب سجلات محكمة حيفا : كانت على ٢ر٦٤٪ من مجموع العائلات العربية الساكنة في المدينة قضايا دين في المحكمة . وقالت سجلات المحكمة المركزية انه خلال شهرين فقط من عام ١٩٣٠ ، اصدرت المحاكم في فلسطين عدا لوائي حيفا و يافا «٢٦٧٧» امرا بالسجن على مواطنين فلاحين لم يستطيعوا سداد ديونهم(١٨) .

وظهر بتاريخ ١٤/٨/ ١٩٣٠ مقال في جريدة فلسطين اليافية بقلم مزارع من طولكرم يبين فيه كيف يضطر لبيع ارضه فيقول : «انني ابيع ارضي وممتلكاتي لان الحكومة تكرهني على دفع الضرائب واعشار في وقت لا املك فيه الوسائل الضرورية لاعالة نفسي واسرتي . وفي مثل هذه الظروف اكون مضطرا للجوء الى شخص غني يقدم لي قرضا اتعهد برده مقرونا بفائدة مالية قدرها ٥٠٪ بعد شهر واحد او اثنين . وهنا اضطر الى تجديد الصك المرة تلو المرة مضافا بذلك قيمة الدين الاصلية . الامر الذي يضطرني في النهاية الى بيع ارضي حتى اسدد ما يستحق علي من ديون لم اتسلم في الحقيقة الا جزءاً ضئيلا منها .

وجاء في تقرير اللجنة الملكية «١٩٣٧» «ان الفلاح الفلسطيني يولد مدينا ، و يعيش بالدين ، و يموت غارقا بالدين»(١٩) .

واوضح هوب سمبسون الخبير البريطاني الذي قدم الى فلسطين عام ١٩٣٠ ، ووضع تقريرا مفصلا عن الوضع فيها ، اوضح نتائج هذه الحالة بقوله :

«يستدل من الافادات التي تيسرت لي من مصادر مختلفة ان الفلاح العربي في حالة يأس وقنوط فليس لديه رأسمال لمزرعته ، بل بالعكس يرزح تحت عبء ديون طائلة ، والاجار المطلوب منه اخذ يتصاعد وهو مكلف بدفع ضرائب فادحة بلغ معدل ما يدفعه من الفائدة على ديونه درجة غير قابلة للتصديق»(٢٠) .

والى جانب الديون ، ولفرض حصار اقتصادي على الفلاحين ، عمدت الاجهزة الصهيونية بالتعاون مع الادارة الانتدابية على ضرب المحاصيل الزراعية التي ينتجها المزارعون العرب ، ولعل من اشهر الامثلة المعروفة في هذا المجال ، قيام اليهود بشراء كميات كبيرة من السمسم من الخارج ودون دفع رسوم جمركية على الاستيراد ، في حين فرضت الادارة الانتدابية جمارك محلية عالية على العرب الذين يزرعون السمسم ، وعندما ارتفع سعره ، قام اليهود باغراق الاسواق المحلية بكميات كبيرة منه و بأسعار اقل من السعر المقدم من الفلاحين العرب ، واستخدموا هذا الاسلوب ليحولوا دون استخدام السمسم المحلي في صناعة «زيت الشيمن» في المصانع اليهودية(٢١) .

قادت هذه المشاكل المفروضة على الفلاح الفلسطيني الى تسهيل عمليات الاستيلاء على الاراضي وطرد الفلاحين منها .

بيد ان العامل الاهم في نجاح اليهود في تسجيل ملكية الاراضي باسمهم ، هو قيام ملاكين عرب غير فلسطينيين ببيع اراضيهم لليهود وهم خارج فلسطين طمعا في المبالغ الكبيرة المدفوعة لهم من قبل اليهود .

ومن اشهر الاراضي التي بيعت بهذه الطريقة ، اراضي مرج ابن عامر ، وهي من اجود واخصب الاراضي الزراعية في فلسطين ، و باعها آل سرسق اللبنانيين الذين تولوا امر ادارتها وزراعتها زمن العثمانيين .

واراضي الحارثية «الحوارث» قضاء حيفا التي اشترتها الشركة اليهودية للاراضي «الكارن كايمت» من اسكندر سرسق في بيروت وتبلغ مساحتها (١٢) الف دونم ، وكانت تزرعها عشيرة الزبيدات المؤلفة من نحو (٦٠) عائلة فلاحة .

واراضي جبل كنعان في صفد وقصص وطبعون واراضي قرية شطا التي اخرج اهل القرية منها وسلمت لليهود .

وغيرها الكثير من الامثلة مما لا مجال للحديث عنه في هذا المقام . وعمدت بريطانيا الى جانب التضييق الاقتصادي والاستيلاء على الاراضي الى اهمال التعليم والثقافة في الوسط الفلاحي ، فلم تصرف الحكومة البريطانية المبالغ الكافية لتعليم الفلسطينيين في المدن وفي القرى ، ففي عام ١٩٣١ لم تصرف اكثر من

٣٤ر٦٪ من نفقاتها في هذا الحقل الهام* رغم وجود فائض مالي كبير لديها(٢٢)

واعترفت الادارة البريطانية بان الكثير من القرى العربية قدمت طلبات لفتح المدارس فيها ، مع تعهد اهل هذه القرى بدفع تكاليف الانشاء ، الا ان الحكومة رفضت ٥٠٪ من مجموع طلبات دخول المدارس الموجودة ولم تقبل بفتح مدارس جديدة ، بهدف تجهيل الاجيال الفلسطينية .

وفي (٩٠٠) قرية عربية كان هناك (١٥) مدرسة للبنات فقط ، (٢٦٩) للصبيان ، وكان هناك (٥١٧) قرية عربية لا مدارس فيها(٢٣) .

هذه السياسة السلبية اتجاه التعليم لم تؤت ثمارها بشكل كامل للانتداب ، فهي لم تمنع الفلاحين من اخذ العلم اليسير عن طريق «شيوخ المساجد» ، والقوالين الذين كانوا يروون قصص التراث و يلقون قبولا من الفلاحين ، فرغم بساطة هذه الثقافة الا ان الفلاح الفلسطيني تمتع و بشهادة البريطانيين انفسهم بوعي سياسي عالي . فقد جاء في تقرير لجنة شو ما يلي : «الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصيا بالشؤون السياسية لم يؤيده اختبارنا في فلسطين ، ولا يستطيع من تجول في البلاد كما تجولنا ، وسمع اصوات الهتاف التي قاطعت عبارات كثيرة وردت في الخطب التي القاها رؤساء القرى والشيوخ ، ان يرتاب بأن القرو يين والفلاحين على حد سواء يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا في سياسة انشاء الوطن القومي وفي مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ، ولذا نرى ان الفلاحين العرب يهتمون في الامور السياسية اكثر من كثير من اهالي اورو با»(٢٤) .

وحملت لجنة «هايكرافت» التي اجرت تحقيقها عن الوضع في فلسطين في العشرينات ، نفس الانطباع فقالت عن طولكرم : «في مركز اسلامي صغير من هذا النوع نجد لدى الناس ذهنية سياسية تفوق ما يقابلها في قرية انجليزية ونجد ان بحث الامور السياسية هو محور اهتمامهم الفكري الاكبر ان لم يكن الوحيد»(٢٥) .

آخر القضايا التي ينبغي الحديث عنها ضمن سياسة الانتداب لانشاء وطن قومي لليهود ، قضية فتح البلاد امام الهجرة اليهودية ، وكان هناك نوعان من الهجرة ، هجرة شرعية تتم تحت رعاية بريطانيا واشرافها ، وهجرة غير شرعية كانت تتم بصور متعددة منها التسلل عن طريق البحر ، او الدخول ببطاقات السياحة ، ثم التحول الى مواطنين ...الخ من الطرق التي استعملها اليهود .

في عهد المندوب السامي آرثر واكهوب ، دخل الى فلسطين في اربع سنوات (١٩٣٢ ــ ١٩٣٥) ٠٩٣ر١٤٤ يهودي بصورة مشروعة ، عدا عن الذين دخلوا بصورة غير مشروعة ، ودخل في الاعوام السابقة (١٩٢٠ ــ ١٩٣١) ٢٤٠ر١١٦ يهودي بصورة مشروعة .

وحسب تقديرات الحكومة ، فان عدد اليهود الذين دخلوا عن غير طريقها بلغ حتي عام ١٩٣٥ «٤٦١٨»(٢٦) .

٤ ــ المراحل العامة لحركة القسام في فلسطين والخصائص الذاتية للقائد :

بعد دخول الشيخ عز الدين القسام فلسطين ، وفي ظل الظروف الذي تحدثنا عنها في الفقرتين السابقتين ، عمل على بناء حركته الجهادية مستندا لضرورة التهيئة والإعداد النفسي للثورة ، ومعتمدا على عناصر مخلصة من الفلاحين والعمال القاطنين مدينة حيفا ، ومن باقي عناصر وفئات الشعب المؤمنين بضرورة العمل الجدي والمخلص .

ولا ريب ان تجربة الشيخ القسام في فلسطين اكثر زخما من مثيلتها السورية ، وهي ذات طابع مختلف عنها ، فرغم التقائهما في انهما جهاد عسكري مباشر ضد الاحتلال الغربي للوطن الاسلامي ، الا ان فلسطين

---

* انخفضت هذه النسبة الى ٩٩ر٣٪ خلال السنة المالية ١٩٣٦ ــ ١٩٣٧ .

واجهت ظروفا اكثر صعوبة وحرجا مما واجهته سوريا ، اذ ان التحدي لم يكن موجها من قبل الانتداب البريطاني فقط ، بل وقف معه تحد اشد خطورة على مستقبل البلاد وتاريخها ، وهو المشروع الصهيوني بمراميه وأهدافه المعروفة .

وفي مواجهة هذا التحدي المزدوج ، كانت حركة الشيخ القسام الجهادية الممتدة من بداية عمله في مدرسة البرج الاسلامية وحتى استشهاده في احراش يعبد سنة ١٩٣٥ .

وحتى تستقيم دراسة تاريخ الحركة واستيعاب دروسها استيعابا جيدا ، لا ينبغي الاقتصار على مراحل الحركة ـ كما ذكرها صبحي ياسين واعتمدتها دراسات عديدة ـ ، بل لابد من الحديث الى جانبها عن جانب مهم وهو شخصية الشيخ القسام وتكو ينه الفكري ، و بدون هذا الجانب يصبح من العسير فهم بعض القضايا حول الحركة واستيعابها .

وتكمن أهمية دراسة الجانب الذاتي للقائد من كونه صانعا للحركة ومبلورا لخطها وافكارها ، وهذا قاد في النهاية الى صبغها بصبغته ، فأصبح اسمه رمزا لها ، و بات من العسير الفصل بين خصائصه الذاتية ومراحلها العامة .

بالطبع لا تعني خصائصه الذاتية طباعه واخلاقه والاشياء التي يحب والاشياء التي يكره ، بل العناية موجهة نحو ار بع خصال هي في مجموعها عوامل شاركت في صنع الاحداث و بناء اسس الحركة وهي :

١ ـ الاصولية

٢ ـ الوعي

٣ ـ الثورية

٤ ـ الشعبية

(٤ـ١) الاصولية :

لا يوجد حاجة كبيرة للتدليل على اصولية الشيخ القسام واعتقاده ان العودة الى الاصول الاسلامية واتباع السلف الصالح هو الكفيل بمواجهة التحدي الحضاري الغربي ، وان الاسلام بما تضمنه من مضامين جهادية كفيل بتعبئة الامة في وجه التحالف الغربي ـ اليهودي . لان جوهر دعوة القسام وتجر بته استندت الى الاسلام ، واستلهم فيها من التراث الاسلامي ومن السلف الصالح تجار بهم الخصبة وضمنها برنامجه وعمله .

بيد ان بعض الباحثين تغاضوا عن هذه النقطة واهملوها بشكل واضح ، بل ذهبت تحليلاتهم الى درجة الادعاء بأن القسام كان يهدف الى بناء دولة اشتراكية(٢٧) وان جوهر العلاقة بينه و بين اتباعه كانت سياسية لا دينية(٢٨) ، وكان التركيز في هذه الدراسات على قوة العلاقة بين القسام و بين العمال والفلاحين للتدليل على مثل هذه الاستنتاجات ، ولكنها وللحقيقة لا تصمد امام ادلة تاريخية كثيرة تثبت عكسها تماما .

فالشيخ عز الدين القسام استند في تحركه الى الجهاد بمفهومه الاسلامي ، ورفع شعاره المشهور : «هذا جهاد ، نصر او استشهاد» بما يحمله هذا الشعار من الارتباط العضوي مع مضامين اسلامية معروفة .

وكان القسام يدعو لاتحاد الكلمة في مواجهة الصهيونية ولم الشعب ، «ونادى بالعودة الى تعاليم السلف الصالح ، منددا بالاختلاف ، منذرا قومه بعواقب الشقاق والتمزق»(٢٩) .

و يشير القسامي ابراهيم الشيخ خليل الى جوهر دعوة القسام و بعدها عن النظريات المعقدة بقوله : «ان القائد الشهيد كان يدعو الى الجهاد على اساس ديني والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين ، ومفهوم الجهاد على اسس دينية لا يوجد به اشكالات ولا تعقيدات ايديولوجية او نفسية ولا

اعماق ولا ابعاد ، وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة»(٣٠) .

وهذه الشواهد كافية للتدليل على اصولية القسام حيث لا يمكن تجاهل هذا الأمر ، او غض الطرف عنه في محاولة لتغييب الوجه الاسلامي للرجل وثورته .

(٤ـ٢) الاصولية والوعي ـ فترة العمل في مدرسة البرج الاسلامية :

منذ وصول القسام حيفا ، وحتى قيام الجمعية الاسلامية بتأسيس مدرسة البرج الاسلامية ، لم يمارس اي عمل في المدينة ، وانما كان واتباعه يعيشون مثل عشرات السوريين اللاجئين الى المدينة هربا من مطاردة الانتداب الفرنسي ، على دعم الاهالي وضيافتهم .

وحينما قامت الجمعية الاسلامية بتأسيس مدرسة اسلامية ، وهي الجمعية المسؤولة عن ادارة الاوقاف الاسلامية في منطقة حيفا ، دعت الشيخ عز الدين القسام بالتدريس في هذه المدرسة ، وكان القسام قد تعرف على اعضاء الجمعية عن طريق قريبه الحاج امين نورالله(٣١) . وفي البداية درس في مدرسة الاناث الاسلامية ثم انتقل للتدريس في مدرسة البرج الاسلامية للذكور .

وخلال تدريس الطلاب ربط القسام النشاط المدرسي للتلاميذ بسيرة الابطال المسلمين أمثال صلاح الدين الايوبي ، فكان كما يذكر «ابراهيم السهلي» احد تلاميذه في المدرسة ، يشرف على تمثيل رواية «صلاح الدين الايوبي» بهدف تقريب الطلاب من فكرته حول قادة الجهاد ، وربطهم بقادته وابطاله من عظماء المسلمين عن طريق النشاط اللامنهجي . يقول السهلي : «في نهاية كل سنة كنا نمثل رواية ، ومثلت في رواية صلاح الدين الايوبي وما زلت اذكر صرخة زوجة رئيس الحامية في حطين «وآ اسلاماه» وقول صلاح الدين عندما جاءه الخبر «ايه حطين سترين العجب»(٣٢) .

وحرص القسام اثناء تدريسه لطلابه ، على لفت نظرهم الى الدور المستقبلي الذي ينتظرهم ، فكان يسألهم عما يريدون ان يكونوا في المستقبل ، وكان الطلاب يتيمنون بمهن ابائهم الا واحدا قال انه يريد ان يصبح قائدا مسلما يعمل في سبيل الله والوطن . فما كان من الشيخ القسام الا ان شجعه حتى لفت انظار طلابه ، وباتوا يعتقدون انه من دعاة هذا الخط والسبيل(٣٣) .

احتل الشيخ القسام مكانة مرموقة في أوساط سكان مدينة حيفا ، واتجهت الانظار اليه لتقديمه اسلوبا جديدا في التدريس مزج فيه بين المبادىء الاساسية للمنهج الدراسي و بين التحديات الخطيرة التي تواجه المسلمين ، فنال بذلك سمعة طيبة بين الاهالي ، لا تقل عن اعظم رجال حيفا واقدرهم من سكانها الذين عاشوا فيها عشرات السنين .

وعندما اثيرت في فلسطين مشكلة تعيين مفت للقدس خلفا للمفتي السابق محمد كامل الحسيني ، وكانت لمدن فلسطين وقراها اراء معينة قدمت للمندوب السامي على شكل عرائض ، وجدنا اسم الشيخ القسام على عريضة مدينة حيفا مع مجموعة قليلة من رجال المدينة وقادتها ، وفي هذا دليل على ان الرجل ولما يمضي على دخوله البلاد سوى شهور قليلة اخذ دوره المنوط به كقائد للمسلمين ومعبرا عن ارائهم وتطلعاتهم

استمر الشيخ القسام مدرسا في مدرسة البرج الاسلامية حتى عام ١٩٢٥م ، حيث اختلف مع الشيخ كامل القصاب الذي ضمن المدرسة من الجمعية الاسلامية عام ١٩٢٤م ، وكان الخلاف حول المنهج الدراسي فاستقال من وظيفته(٣٤) ، وتولى وظيفة اخرى ، اذ عين خطيبا ومدرسا لجامع الاستقلال بحيفا .

(٤ـ٣) خاصية الوعي ـ فترة العمل في جامع الاستقلال وجمعية الشبان المسلمين :

انشأ جامع الاستقلال في مدينة حيفا بمبادرة من الجمعية الاسلامية ، وابتدأ العمل به في شهر ايلول من عام ١٩٢٣م ، وانتهى العمل في المرحلة الاولى منه وهي عبارة عن طابق ارضي مؤلف من مخازن انشئت خصيصا لتأمين نفقات المسجد مستقبلا* ، في آذار ١٩٢٤م(٣٥) ثم انتهى العمل النهائي في الجامع اول عام ١٩٢٥ . وتولى الشيخ القسام الخطابة في المسجد المذكور في تلك السنة . فامتلك اداة فعالة استخدمها استخداما ناجحا ، ووجهها في اطار مخططه الجهادي بصورة عملية .

و يبرز وعي القسام وادراكه خطورة المرحلة بصورة جلية خلال عمله في المسجد ، اذ استطاع بخطبه خلال سنوات قليلة ان يجعل «المسجد من اكثر مساجد المدينة شهرة و يؤمه المصلون من مختلف انحاء القضاء»(٣٦) واستفاد القسام من الاقبال الشعبي في عدة محاور :

١ ـ التنبيه الى الخطر الصهيوني
٢ ـ الدعوة الى الجهاد ضد الاستعمار وحلفائه والتهيئة النفسية للثورة .
٣ ـ اختيار العناصر الطليعية للتنظيم .

وساعد على نجاحه في هذه الامور قدرته الفائقة على الخطابة والموضوعات الهامة التي يتطرق اليها اثناء الخطبة ، وقد تحدث عدد من معاصريه عن هذه القدرة واثرها ، وعن الوعي الذي تحلى به الرجل ، فكان مما قاله احدهم : «سمعته مرات خطيبا فكان الخطيب اللسن ، المالك اعنة القول ، المؤثر على سامعيه ، فله من وقاره ، وجلال مظهره ، و بلاغته ، وعلمه الديني الواسع ، وقدرته على تخير الالفاظ والايات القرآنية والاحاديث النبوية ، اكبر معين على اجتذاب القلوب اليه ، وتصديق ما يقول ، والاعتبار بما يجري على لسانه من عظات وعبر .

واحسب انه العالم الديني الوحيد في هذه البلاد ، الذي كان اذا صعد المنبر وخطب المسلمين في ايام الجمعة ، يغرس في قلوب سامعيه حب الوطن ، والايمان بالحق ، والجهاد في سبيل الله . فقد كانت خطبه كلها مزيجا من الدعوة الصريحة الى الانتفاض على الظلم ، والتفاني في التضحية والتدليل على ان المسلم غير مكلف بالخضوع لسلطان غير مسلم او اجنبي عن امته ، وكان يردد دائما الاية الشريفة : «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم» و يشرح معنى «اولي الامر منكم» شرحا وافيا .

وما اظن انني سمعت له خطبة لم يذكر فيها الاية الشريفة «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ر بهم يرزقون»(٣٧) .

اولا : التنبيه الى الخطر الصهيوني :

في احدى خطب الجمعة عام ١٩٢٧ ، حذر القسام المصلين من التساهل مع الهجرة اليهودية و وصفها بأنها «تحتل البلاد وانتم فيها» ، ودعا الى استقبال المهاجرين اليهود القادمين بعربات الانتداب البريطاني وحمايته «كعدو لا كمهاجر او ضيف»(٣٨) . و يأتي هذا التنبيه من القسام في فترة كان ينظر فيها للمشروع

---

* انظر الملحق رقم ٢ والملحق رقم ٣ وهما وثيقتان تتعلقان بتاسيس مسجد الاستقلال .

الصهيوني على انه حلم ، ولم تكن الحركة الصهيونية قد وصلت الى مراحل متقدمة من القوة العسكرية والنفوذ الاقتصادي في فلسطين . كما ان زعامة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تكن على تلك الدرجة من الوعي لتدرك خطورة وجدية المشروع الصهيوني ، بل اعتمدت في مواجهته على الاحتجاج لدى المندوب السامي ورفع العرائض اليه ، دون ان تتجه نحو توعية الشعب الفلسطيني بالاخطار الماثلة امامه كما فعل القسام .

وهي ايضا لم تمتنع عن مجاملة المندوب السامي ومشاركة الانجليز في الحفلات الرسمية التي كانوا يقيمونها بين حين واخر ، فأدت هذه السياسة المتساهلة مع الاعداء الى الحد الذي اعتبر البعض قول القسام «بأن اليهود ينتظرون الفرصة لافناء شعب فلسطين والسيطرة على البلد وتأسيس دولتهم»(٣٩) مدعاة للسخرية والهزؤ .

لم يقتصر القسام في خطبه على التحذير من الصهيونية واطماعها ، بل كان يتطرق الى اطماع المستعمرين الغربيين في باقي اجزاء الوطن الاسلامي ، فالانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان والبريطاني يشمل بالاضافة لفلسطين العراق وشرقي الاردن ، وهناك النفوذ القوي لها في مصر والسودان ... الخ ، وامام هذه الوقائع ، جعل القسام تجارب الثورة في سوريا وقادتها المجاهدين نماذج للحديث في خطبه فكان كثيرا ما يتحدث عن ابطال الثورة في سوريا ضد الفرنسيين(٤٠) ، دون ان يذكر انه كان من عدادهم وانه قاتل معهم(٤١) .

ثانيا : الدعوة الى الجهاد ضد الاستعمار وحلفائه والتهيئة النفسية للثورة :

بعد ان قدم الشيخ القسام الى حيفا ، بدأ في الاعداد النفسي للثورة ، على خلفية النية المبيتة لديه ولدى رفاقه السوريين الذين دخلوا المدينة معه على مواجهة البريطانيين واليهود في فلسطين ، وقد ساعده في هذه المرحلة عدد من العاملين المؤمنين بالعروبة ، ومن هؤلاء الشيخ السوري كامل القصاب وهاني ابو مصلح اللبناني الاصل(٤٢) .

وكان القسام في تهيئته الشباب للانضمام لحركته يكثر من نصحهم بقوله : «يا ايها الذين امنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون ، ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» وكان يردد على شفتيه في كل مناسبة آيات من كتاب الله الحكيم تتعلق بالجهاد والاستشهاد والقتال(٤٣) وجعل القسام من دروسه في المسجد التي تقام عادة بين الصلوات المفروضة ، وسيلة لاعداد المجاهدين وصقل نفوسهم وتهيئتها للقتال في سبيل الله ، معتمدا اختيار الكيفية دون الكمية ، وقد روى ابو ابراهيم الكبير المجاهد القسامي قصة هذه الدروس واسلوب القسام فيها فقال : كان للشيخ القسام حلقات درس يعلم فيها المسائل الدينية ، ولكنه كان اكثر المشايخ تطرقا لضُرورة الجهاد ولمنع الصهيونية من ان تحقق احلامها في بناء وطن قومي على ارض فلسطين ، وكان يركز على الاستعمار البريطاني وعلى الصهيونية ، ولقد استجو بته السلطات البريطانية لعدة مرات . ولما كان له شعبية كبيرة كانت الحكومة تتجنب اعتقاله . وكان من نتيجة وطنية الشيخ ودعوته للجهاد ان التف حوله جماعة من الرجال دفعتهم الوطنية والايمان»(٤٤) .

وتحدث رفاقه الذين قبض عليهم في معركة يعبد لمحاميهم عن دروسه لهم ، فرووا كيف انهم كانوا يصلون الفجر مع الشيخ ، ثم يجلسون حوله في حلقة صغيرة ، و يتحدث الشيخ عن فضائل الجهاد في الاسلام وثواب الاستشهاد في الاخرة .

ثم توثقت عرى المحبة بينهم ، المحبة في الله ، وتوطدت معاني الاخوة ، اخوة بالله والجهاد في سبيله .

«وراح الشيخ في اجتماعاته وحلقاته يشرح لاتباعه ومريديه الخطر الذي يهدد وطن الاسلام ، حيث اولى

القبلتين وثالث الحرمين وموطن الاسراء والمعراج و يبين كيد الانجليز ـ اعداء الاسلام . وان هذا الخطر قد استفحل ولم يعد يدفع الا بالجهاد ، وان الجهاد فريضة الله على عباده»(٤٥) .

ولم يكن هدف الدروس الدينية للقسام اختيار مقاتلين فقط، بل اتبع اسلوب مهاجمة السماسرة و باعة الاراضي لليهود ، وكان يجهر بكلمة الحق يصدم بها الباطل واهله والسمسرة والدناءة في نفوسهم وصفوفهم ، وشعر هؤلاء بأن القسام يشد ازر الفقراء والبؤساء عليهم ، و يفشل مشاريع سمسرتهم ولذلك اخذوا يوسوسون حوله بشتى الاقاو يل والتهم و يدخلون دار الحكومة لتقديم هذه التهم للانجليز(٤٦) ، في محاولة للتخفيف عن وطأة كلماته عليهم .

وخاطب الشيخ القسام المصلين في احدى خطبه ، محاولا استثارة حماسهم ، بعد ان نبههم لخطر الهجرة اليهودية فقال : «الا تخجلون ان تكون لحية الكلب ، اطهر من لحاكم في يوم من الايام عند الله ؟ ، اجمعوا انفسكم واذهبوا الى نجمع عرب ، فاذا سمحوا للكلب نكون كالكلب ، واذا منعوه فتكون فيهم الشهامة والرجولة لمنع الكلاب من تدنيس حرمات بيوتهم»(٤٧) و يشير بهذا الى الانجليز واليهود .

وجعل القسام انتهاك الانجليز لانسانية العرب واعتدائهم على شبابهم بالاعدام والسجن بعد هبة البراق سنة ١٩٢٩م ، موضوعا لخطاباته في المسجد ، وفي اعقاب اعدام الابطال الثلاثة : عطا الزير، محمد جمجموم وفؤاد حجازي ، في ١٧ حزيران ١٩٣٠م ، بسجن عكا شوهد القسام «متجهم الوجه يغالب الدمع و يجالده ، وفي عينيه بريق رهيب واوصاله ترتجف غضبا ، وهو لا يكاد يعي ما حوله ، ... ، يسرع الخطى الى المسجد فيعتصم فيه» ، فهناك القى خطبة نارية على من حوله(٤٨) ، مما قاله فيها(٤٩) :

«يا اهل حيفا ... يا مسلمون . الا تعرفون فؤاد حجازي ؟ الم يكن فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجموم اخوانكم ؟ الم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال ؟ انهم الان على المشانق . حكم عليهم الانجليز بالاعدام من اجل اليهود . ايها المؤمنون : اين نخوتكم ؟ اين ايمانكم ؟ اين هي مروءتكم ؟ ، ... ، ان الصليبية الغربية الانجليزية ، والصهيونية الفاجرة اليهودية ، تريد ذبحكم كما ذبحوا الهنود الحمر في امريكا ، تريد ان ابادتكم ايها المسلمون ، حتى يحتلوا ارضكم من الفرات الى النيل ، و يأخذوا القدس ، و يستولوا على المدينة المنورة . و يحرقوا قبر الرسول ، انهم يريدون اللعب بأمهاتكم و بناتكم واخواتكم وتحو يلهن الى خدم لهم وسبايا !!

يا و يلكم الا تفهمون ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا ديس شبر من ارض المسلمين ، فعلى المرأة ان تخرج بغير اذن زوجها وعلى الرجل ان يخرج بغير اذن ابيه ، ايها المسلمون الا تفهمون ؟ ايها المؤمنون : فرض الله علينا الجهاد ليحمينا به ... ليحمي ارضنا وعرضنا . قال تعالى : «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» ، لقد ملأ اليهود بلادكم ... لقد سرقوا ارضكم» .

ونماذج الدعوة الى الجهاد في خطابات القسام كثيرة ، تصادف الباحث في اكثر من مكان ، وان لم يحفظ التاريخ تسجيلات كاملة لها ، فهناك مقتطفات بعينها تكفي للتدليل على الروح الجهادية لدى الشيخ ، ودعوته الصريحة للقتال والعمل الجاد ، ونقتطف هنا جزءاً من خطاب القاه الشيخ القسام في «١٩٣٥/٢/١٢م» وصفه اليهودي الذي نقله للوكالة اليهودية بأنه خطاب مشبع بروح التمرد والثورة ، يقول القسام للمصلين مو بخا لهم على قعودهم وتكاسلهم عن القتال :

«ما انتم الا شعب من ارانب ، تخافون الموت والشنق ، منشغلين بالاقوال الفارغة . اعرفوا ان خلاصنا فقط في ايدينا»(٥٠) .

وحدثهم عن علم ارض اسرائيل الذي رفعه اليهود على ظهر سفينة تدعى «تل ابيب» ، «كدليل على مطامعهم في فلسطين» ثم طلب منهم التنظم في مجموعات ، كل مجموعة تتألف من «١٦» رجلا ، و يقف على رأسها شخص يشكل حلقة الوصل معه(٥١) ، من اجل الاعداد والتحضير للعمل .

ومما يرو يه بعض المعاصرين للقسام انه كان يطلب من الناس جهرا شراء السلاح والتدرب عليه ،

«فيذكر الحاج علي الزبري من يعبد بهذا الصدد ان القسام طلب من على المنبر من المصلين ان يقاوموا العدو ، فوقف احد المصلين وسأل : «بماذا نقاوم العدو ونحن لا نملك شيئا» فأجاب الشيخ بقتلهم واخذ السلاح منهم»(٥٢) .

في اواخر عام ١٩٣٤ كانت فلسطين تمر في ظروف صعبة جدا ، فقد تزايدت الهجرة اليهودية بدرجة كبيرة للغاية ، وازداد التسلط البريطاني على الفلاحين واراضيهم وتزامن هذا مع تراجع ملحوظ في صفوف الحركة الوطنية واتساع في هوة الخلافات العائلية والحزبية .

في هذه الفترة كان القسام يشتعل غضبا وثورة ، وكانت كلماته من على منبر جامع الاستقلال تلتهب وكأنها حمم من النار ، وفي احدى خطبه سأل المصلين جهارا : «هل انتم مؤمنون ؟» ثم اجاب «لا أعتقد» وسكت قليلا ، فسرت ضجة وهمهمة والانظار كلها مشدوهة نحوه تواقة لسماع تفسيره : «لانه لو كنتم مؤمنين لكانت عندكم عزة المؤمن ، فاذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني فستهرولون نحوه»(٥٣) .

بهذه الكلمات وهذا التحدي المباشر من القسام بارادة وايمان الفلسطينيين ، نجح في تهيئة عناصر كثيرة للثورة من رواد جامع الاستقلال وجلهم من الفئات المؤمنة فأصبحت كلماته تتردد على السنة الناس وهي اقوال تدعو جميعها للجهاد مثل(٥٤) «الجهاد رفيقه الحرمان» ، «المجاهد رائد قومه والرائد لا يكذب اهله» ، «ايها الرجال ! يا نساء وشباب فلسطين ! البلاد في خطر» ، وآيات قرآنية دالة على معاني القتال : «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال» «وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة» .

وكان الشيخ كلما فتح الحديث في دروسه عن شخصية مجاهدة من الصحابة ، توجه الى الله بدعاء صغير يحمل معنى كبير : «ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك»(٥٥) .

وعمل الشيخ القسام الى جانب الخطابة في مسجد الاستقلال على توسيع قاعدة اتصالاته بالمسلمين من سكان حيفا وقضائها ومدن فلسطين القريبة منها ، فعمل على تأسيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا سنة ١٩٢٨ ، كما تولى وظيفة مأذون شرعي لدى محكمة حيفا الشرعية سنة ١٩٣٠م ، وخرج الى قرى القضاء محرضا ومحفزا على الجهاد .

تاسيس جمعية الشبان المسلمين ونشاط القسام فيها :

لم يكن القسام يؤمن بعزل الاسلام عن الجماهير ، وقصر المواعظ والدروس الدينية على رواد المساجد بل «كان يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره ، اعتقادا منه ان اصلاح المستهترين اولى من اصلاح غيرهم و يمكن للامة ان تستفيد منهم بعد الاصلاح»(٥٦) . لذلك وجدناه من اوائل المتحمسين لتاسيس جمعية الشبان المسلمين ، فقام في شهر ايار من عام ١٩٢٨ بتأسيس فرع لهذه الجمعية في مدينة حيفا بالتعاون مع صديقه رشيد الحاج ابراهيم رئيس فرع البنك العربي في المدينة .

وقد ارادوا مؤسسو جمعيات الشبان المسلمين بفلسطين ان يجعلوها حركة قوية تضاهي جمعيات الشبان المسيحية ، التي انشئت تحت رعاية الانتداب البريطاني ، فعينت الادارة الانتدابية المستر بومن ، مدير معارف فلسطين والمشرف على ادارة المدارس الاسلامية ، رئيسا لمجلس جمعية الشبان المسيحية في القدس ، واباحت للموظفين المسيحيين الاشتراك في الجمعية ، بينما اصدرت مرسوما يحظر على الموظفين الاشتراك في جمعيات الشبان المسلمين وحضور اجتماعاتها ، مهما كان القصد من تلك الاجتماعات(٥٧) .

وقد وصف الكاتب «حسان بن يعرب» هذه الجمعية بأنها رائدة للاستعمار البريطاني وممهدة له ، و برنامجها هو بروحه برنامجه ، وقال انها معقل الحركة الاستعمارية العالمية ، وهي مجهزة ببرنامج

اجتماعي خطير لا للعمل بحسبه في حقل المجتمع المسيحي فقط في البلدان التي تشتغل فيه جماعات تنتمي الى هذه الجمعية ، بل للعمل ايضا بحسبه في حقل المجتمع الاسلامي في بلاد اسلامية خاضعة للحكم البريطاني بعد تطو يعه وتليينه .

وهي تغزو صفوف الشباب العربي غزوة روحية شنيعة فتعمل باساليبها الخاصة على تحذير روح التراث الاسلامي باغراق نفسية هؤلاء الشباب بالملاهي والتسلية الاجتماعية(٥٨) .

وللتأكيد على البعد التخريبي لجمعيات الشبان المسيحية في ظل الانتداب نورد هنا نموذجين لنشاطات فرعها في القدس ، يبينان سوء النية وراء انشائها وخبث مقاصدها .

النموذج الاول تمثل في نشاط مسرحي قدم على مسرح الجمعية ، اذ ظهر فريق من الشبان المائعين يرتدون اردية الفلاحين العرب واخذوا يهزجون اهازيج سخيفة و بذيئة ، بعد ان قدموا لمحات جادة ومشرقة عن الحضارة الغربية والدولة الاوروبية(٥٩) ، وكان هذا المشهد للفلاح العربي يهدف اظهار تخلف العرب و وصفهم بالجهل .

النموذج الثاني تمثل في محاولة هذه الجمعية اقامة علاقات طبيعية بين الشبان العرب واليهود ، عن طريق النشاط الرياضي ، فقامت باجراء مباريات بين فريقها و بين فرق يهودية(٦٠) .

هذا البرنامج المرسوم لهذه الجمعيات ، والذي يؤدي دوراً خطيراً ، جعل اللورد اللنبي يوليها عناية خاصة فيقوم بنفسه بافتتاح مبنى فرعها في القدس ، و يحشد فيها جهود ضخمة(٦١) .

ونفس هذا الاهتمام الاستعماري بها جعل المسيحيين العرب في فلسطين معادين لها ، فقاموا بمقاطعتها ومقاطعة نشاطاتها(٦٢) .

في مواجهة هذا التحدي الحضاري للمسلمين قامت جمعيات الشباب المسلمين ، وكان الدافع الثاني الذي عجل بقيام الجمعيات الاسلامية وتفعيل دورها ، المؤتمر التبشيري المنعقد في القدس ، وهو دافع ذو بعد حضاري ايضا . وقد «عقد هذا المؤتمر في اواخر اذار ١٩٢٨ ، في جبل الزيتون بالقدس برئاسة الدكتور موط رئيس المجلس التبشيري العالمي ، وعضو ية مندو بي (٥١) دولة بحضور المطران ركز ، مطران الانجليز في القدس ، دون ان يكون بينهم مندوب واحد يمثل المسيحيين العرب ، وقو بل المؤتمر ، الذي يدعو الى تنصير المسلمين ، بالمظاهرات وعرائض الاستنكار الواسعة ، ففي اكثر من مدينة جرت مظاهرات شعبية ، وفي غزة ادى التصادم مع البوليس الى اعتقال مائة من المتظاهرين وشارك المسيحيون في توقيع البرقيات العديدة مع المسلمين و بالبرقيات الخاصة التي تستنكر عقد المؤتمر وتدعو الى ايقافه»(٦٣) .

وفعلا توقف المؤتمر ، فتداعى الوطنيون الى عقد مؤتمر النوادي الاسلامية في يافا «نيسان ١٩٢٨» ، وتقرر تأسيس جمعيات الشبان المسلمين في كل انحاء البلاد ، وابتدأت الخطوات العملية تأخذ طريقها لانشاء هذه الجمعيات .

فليس غريبا اذن ان نجد الشيخ القسام في طليعة المؤسسين لهذه الجمعيات ، وان يكون فرعها في حيفا «ربيبة الشيخ الشهيد ففي كنفه عاشت وعملت ، اذكاء للروح الوطنية الحقيقية في هذه البلاد التي تواطأ عليها الخصوم في الداخل وفي الخارج»(٦٤) .

فاز الشيخ القسام برئاسة الجمعية في الانتخابات الاولى التي جرت في الفرع بحيفا ، وحصل على اكثرية الاصوات ، وشاركه في عضو ية الهيئة الادارية رشيد الحاج ابراهيم وهاني ابو مصلح(٦٥) .

وفي الانتخابات الثانية التي جرت في شباط ١٩٣٠ ، فاز القسام بعضو ية اللجنة ، ولكن الرئاسة اصبحت بيد رشيد الحاج ابراهيم(٦٦) .

وفي عام ١٩٣٣ تنحى رشيد عن طيب خاطر عن رئاسة الجمعية ليخلي المنصب للشيخ القسام(٦٧) . وقبل هذه السنة كان القسام ممثلا عن جمعية الشبان المسلمين في حيفا في مؤتمر الجمعيات الرابع المنعقد بعكا في ١٩٣٢/٧/١٧م ، و بعد ان اعلن رشيد الحاج ابراهيم افتتاح المؤتمر بالنيابة عن اللجنة التحضيرية ، تليت

ايات من القرآن الكريم ، والقي نشيد جمعيات الشبان المسلمين ، ثم اقترح رشيد الحاج انتخاب الشيخ عز الدين القسام رئيسا مؤقتا للمؤتمر بصفته اكبر الاعضاء سنا ، فوافق المؤتمر على ذلك ، وانتخب السيد نمر المصري سكرتيرا مؤقتا بصفته اصغر الاعضاء سنا .

ثم اعلن الشيخ القسام الصمت والوقوف دقيقتين اجلالا لشهداء فلسطين الثلاثة «جمجوم ، حجازي ، الزير» . وبعد ان تم التعارف بين المشاركين وقف القسام والقى دعاء حارا تمنى فيه للمسلمين الخير والنجاح . وكان من نتيجة مداولات المؤتمرين ونقاشاتهم اتخاذ القرارات التالية :

١ ــ محاربة التبشير
٢ ــ الدعوة لتدريس ابناء المسلمين في المدارس العربية وتجنيبهم المدارس التبشيرية
٣ ــ نشر الوعظ والتعليم في القرى وفي جمعيات الشبان المسلمين
٤ ــ اصدار منشور يناشد فيه المجلسيين والمعارضين* «كتلة الحسينية وكتلة النشاشيبية» ان يتركوا الحزبيات و يتفاهموا لصالح الوطن(٦٨) .

وكان القسام في آذار من العام ١٩٣٢ ، ممثلا عن جمعية الشبان المسلمين ــ حيفا ، في الاجتماع الجماهيري العام المعقود في يافا ، وفي سنة ١٩٣٤ شارك رشيد الحاج ابراهيم في رئاسة الجمعية(٦٩) .

هذا ومن خلال عمله في جمعية الشبان المسلمين مهد القسام امام قطعات واسعة من الشبان الخروج من دائرة الانحرافات الخلقية الى العمل الجاد والمثمر لصالح الوطن وقضيته ، كما انه وثق اتصالاته من خلال الجمعية بقيادات المدن الفلسطينية الاخرى ، وكان من نتيجة نشاطه هذا انضمام رموز الجمعية من مدن اخرى الى تنظيمه الجهاد ، ومن هؤلاء احمد زعرورة وعبد الله ابو حمام اللذان انتخبا اعضاء في الانتخابات الثانية لجمعية الشبان المسلمين في يافا(٧٠) .

وواظب القسام خلال وجوده في الجمعية على اعطاء محاضرة دينية مساء كل يوم جمعة(٧١) وكان يسهر الليل في القاء المحاضرات وترتيبها ، و يسرح كل اسبوع بفئة من الاعضاء الى القرى فيزجر و ينصح و يرشد و يعود . وقد انشأ عدة فروع للجمعية في اكثر قرى اللواء الشمالي في فلسطين ، وكانت هذه الفروع جامعا للقرو يين ومكانا مختارا لوحدة كلمتهم ومداولة ارائهم وتقرير دفاعهم عن انفسهم واراضيهم»(٧٢) ومن هذه الفروع كان فرع صفورية الذي لعب دورا بارزا في انجاح العمليات العسكرية ضد المستعمرات اليهودية في الشمال . بالاضافة لفروع اخرى في زرعين وطوباس .

بناء على ما تقدم نستطيع القول ان نشاط الشيخ القسام في جمعية الشبان المسلمين كان له دور في انجاز مهمة التهيئة والتحضير للثورة ونجح الشيخ في جعل انتسابه للجمعية تغطية لاعماله السرية كما يقول رفيقه في رحلته الطويلة محمد حنفي(٧٣) وشريكه في ادارة الجمعية رشيد الحاج ابراهيم .

تولي الشيخ القسام وظيفة مأذون شرعي :

كل المراجع التاريخية على ان الشيخ القسام تولى وظيفة مأذون شرعي عام ١٩٢٩م ، ولكن الدليل الوثائقي المكتوب يثبت غير ذلك ، كما ان هذه المراجع تجعل من الوظيفة سببا في طواف الشيخ القسام قرى

* اطلق مصطلح المجلسيين على انصار الحاج امين والمجلس الاسلامي الاعلى ، والمعارضين على معارضيه .

فلسطين داعيا للجهاد ، على ان الواقع يثبت ان لا علاقة قوية بين الوظيفة والطواف في القرى .

فحسب وثائق المجلس الاسلامي الاعلى والمحاكم الشرعية في فلسطين ، تولى الشيخ عز الدين القسام وظيفة مأذون شرعي لدى محكمة حيفا في عام ١٩٣٠م بعد ان تقدم لامتحان خاص بطلبة هذه الوظيفة وكان عددهم (١٤) شيخا ، ولا زالت ورقة الاجابة التي كتبها الشيخ محفوظ الى الان في ارشيف قسم احياء التراث الاسلامي بالقدس ، واوردنا في ملاحق الكتاب نصها وصورة لها ، و يتبين من مراجعة الملف الخاص بمأذونو حيفا ان الشيخ القسام كان اول الناجحين تلاه الشيخ محمد توفيق العنبتاوي ، بينما لم يتأهل اثنان من المتقدمين لهذه الوظيفة ولم يجتازوا الامتحان .

هذا بالنسبة للتاريخ ، اما بالنسبة للهدف من الوظيفة فطواف القسام في قرى فلسطين نشاط موجود اثناء رئاسته وعضويته في جمعية الشبان المسلمين ، ولا حاجة اصلا لمبرر لهذا الطواف ، بالاضافة الى ان المنطقة التي انيط بالشيخ القسام تولي عقد انكحة الزواج فيها موجودة داخل مدينة حيفا بشكل رئيسي لا خارجها ، وهي محددة من قبل المحكمة بالمحلة الغربية و بها ...ر٥ مسلم ، بلد الشيخ و بها ١٢٠ مسلم ، والكبابير و بها ٦٠ مسلم .

بينما وزعت المناطق والقرى الاخرى بين المأذونين الاحد عشر الباقين(٧٤) . اذن ما هو الهدف من تولي وظيفة المأذون الشرعي ؟؟

يبدو ان للموضوع صلة برغبة القسام الاتصال بالناس والتحدث اليهم في كل المناسبات ، والتأكيد على ان الاسلام ليس الاعتكاف في صومعة والتحوصل دون افراح الناس واتراحها ، بل هو دستور حياة الناس اليومي ومرشدهم في كل امورهم . وقد حصل وان افتى احد مشايخ حيفا بمنع الاعراس تحت حجة ان الطبل يجمع الشياطين ! وعندما سئل القسام أجاب : «اعملوا عرسا واعزموني ، فحتى الفرح يريدون اغلاقه ؟ اذا لم يتنفس الشباب فكيف سيتحملون المسؤوليات الجادة ؟»(٧٥) وهذه الاجابة مستندة اصلا الى الشريعة الاسلامية ، تؤكد فهم القسام لحركية الاسلام ومرونته الكامنة فيه ، وتوضح ايضا اختيار الشيخ صف الجماهير ورغباتها اذا لم تخرج عن الاطار الشرعي المسموح به .

زيارة القرى والدعوة فيها للجهاد :

في اطار التهيئة النفسية للثورة خرج الشيخ القسام الى قرى حيفا وجنين وقرى شفاعمرو ــ صفورية في الجليل الادنى .

وكان يتردد على سيلة الظهر ، بورين ، برقين ، الرينة ونورس ، واستخدم مساجد هذه القرى ومراكز التجمع فيها ، في الدعوة الى مقاومة بيوع الاراضي ، ومحاربة السمسرة والسماسرة ، فيروي احد شيوخ قرية السيلة الحارثية قضاء جنين ان الشيخ القسام قدم في عام ١٩٣٤م الى القرية و برفقته الشيخ كامل القصاب ، والشيخ فرحان السعدي ، واعطى درسا دينيا ــ وطنيا ، دعا فيه الى محاربة السماسرة و باعة الاراضي لليهود(٧٦) .

وأقام علاقات قوية مع منطقة «العبهرية» وفيها عرب منسي ، ابي زريق والسعديين(٧٧) ، وزار عرب

---

* يقول رشيد الحاج ابراهيم معلقا على عمل القسام في الجمعية : لعل القسام هنا بدا في ممارسة ما كانت نفسه تتوق اليه وهو ان ينشىء عصبة بعد عصبته من اهل الايمان ، والغاية الثورة يوما ما (انظر رجال من فلسطين لعجاج نو يهض ص ١١٠) .

الرمل مرة وتحدث معهم عن ضرورة مقاومتهم بالقوة للشرطة في مسائل الارض(٧٨) المتنازع عليها ، والتي يحاول اليهود الاستيلاء عليها وطردهم منها ، وكانت زيارته في اوائل عام ١٩٣٥ .

وزار القسام يعبد والقى دروسا في مسجدها ، وانضم اليه المجاهد معروف الحاج جابر : كما حظي باحترام وتقدير اهل القرية(٧٩) .

في ظل هذه الزيارات بنى القسام علاقات ناجحة مع قرى عديدة ، لا مجال لحصرها هنا ، ساعدت في تجنيد عدد من المجاهدين ، وتهيئة قواعد في هذه القرى للعمل العسكري ، واعتمد القسام في اختياره للفرد على مدى استجابته وفهمه للدعوة التي كانت توجه في دروسه وحلقاته التي كانت عادة تعقد في المسجد او في بيوت رفاقه الموثوق بهم .

وقبل الانتقال الى النقطة الثالثة «اختيار العناصر الطليعية للتنظيم» نذكر ان نشاط الشيخ في قرى الشمال ادى الى ظاهرة برزت خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وهي ان اقوى عمليات الثورة واجسرها على الاطلاق نفذت في شمال فلسطين حيث عمل القسام لا في جنوبها ووسطها مركز ثقل زعامة الحركة الوطنية ومنطقة الصراع الداخلي فيها .

ثالثا : اختيار العناصر الطليعية للتنظيم :

من الراجح ان عصبة القسام السرية بدأت تنسج خيوطها الاساسية في عام ١٩٢٥م ، كما تذكر اغلب المصادر ، ولكن العصبة لم تبدأ عملها العسكري بالتدرب على السلاح والقيام بعمليات جهادية الا بعد عام ١٩٢٩ .

وكان الاسلوب الذي اتبعه القسام في تنظيم الافراد يعتمد على مراقبته المصلين وهو يخطب على المنبر ، ثم يدعو بعد الصلاة من يتوسم به الخير لزيارته ، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين ضمن مجموعات سرية لا تزيد عن خمسة انفار(٨٠) ، ثم اتسعت هذه المجموعات لتضم (٩) أنفار(٨١) ، وكان يشرف على الحلقة الواحدة نقيب يتولى القيادة والتوجيه ، و يدفع كل عضو مبلغ لا يقل عن عشرة قروش شهريا(٨٢) واذا استعرضنا الخلفية الاجتماعية لافراد عصبة القسام الجهادية وحصيلتهم الثقافية والعلمية فاننا سنجد عدة مزايا انفردت بها العصبة جعلتها اقدر من غيرها من الاحزاب والاطر السياسية الموجودة في فلسطين انذاك ، على مخاطبة الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني باللغة المفهومة والواضحة ، و بالتالي سنجدها الاكثر قدرة على استقطاب تعاطف الجماهير وحبها ومشاركتها في العمل .

وهذا سيقودنا في البداية للحديث عن موقف الشيخ القسام من العمال والفلاحين والمسحوقين ممن اضطروا لتعاطي اعمال السرقة وقطع الطرق :

روى الصحفي الفلسطيني عبد الغني الكرمي القصة التالية التي حصلت له مع الشيخ القسام : رآني «القسام» بعد اسبوع «من تعليق الابطال الثلاثة على المشانق في ١٩٣٠/٦/١٧» العب النرد في جمعية الشبان المسلمين وسمعني اسخر بقروي جاء ليتداوى في عيادة الجمعية الاسلامية اذ اشكل عليه التفريق بين الاسمين «الجمعية الاسلامية وجمعية الشبان المسلمين»لتقار بهما فانتهرني واخذ بيد القروي الى العيادة ولم يتركه حتى اشترى له العلاج !

وقال لي ذات يوم : يمين الله ان شباب العصر الاخير ابتعدوا كثيراً عن النهج القو يم وامعنوا في الضلال فلم يبق على هذه الامة الا ان تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وايمان و بعد عن بهارج مدنيتكم الزائفة وعلومكم وادابكم التي تقصي الانسان عن «الفطرة» المستحبة . فقلت له : اتدري انهم

يتهمونك بالشيوعية اذا سمعوك !

فقال : انظر لقد اشتعل راسي شيبا وخبرتي الطويلة تجعلني ارجو خيرا من الفلاحين والعمال فهم واثقون بالله ، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الاخر ، ومن كانت هذه صفاته كان اقرب الناس الى التضحية واجرأهم على الاقدام ، اضف الى ذلك انهم - اقوى بنية واكثر احتمالا للمشاق والمتاعب»(٨٣) . وفي عام ١٩٣٢م سئل الشيخ القسام عن رأيه في اهل الشعراوية وجبل نابلس ، الذين يقطعون الاشجار و يسممون الحيوانات ، و ينعتهم الناس بالحرامية وقطاع الطرق ، فأجاب : «دعهم يعملون لان في عملهم رجولة سنحولها في يوم من الايام الى جهاد . وما دام المستعمر يرغب في اماتة نفوسنا ، فان هؤلاء اقرب الى الله ، والى حب الجهاد من المستكينين»(٨٤) .

ولهاتان الروايتان دلالتهما ، فالقسام كان يعتقد ان المدنية الحديثة التي غزت العالم الاسلامي اذابت اغلب الفئات المثقفة بالثقافة الغربية ، وجعلتها بعيدة عن روح الفطرة السليمة ، فلم تستطع التصدي للغرب وعساكره ، لانها اولا مبهورة بمثله ، ولانها ثانيا متمسكة بالقيم المادية لا الروحية .

وهذا الامر جعل مؤيدي القسام في غالبيتهم من عمال وموظفو سلطة القطارات في حيفا(٨٥) ، ومن عمال الحجارة في الكبابير ، الى الحد الذي كان فيه «معظم الحجارة السبعمائة من القساميين»(٨٦) .

وهذا ما جعل المؤرخ امين سعيد يقول عن اعضاء العصبة القسامية : «ومما يستوقف النظر في دعوة الشيخ القسام انها اقتصرت على طبقة العامة من عمال وفلاحين فلم تتجاوزها لا الى الشبان ولا الى التجار ولا الى غيرهم من الطبقات والعناصر الاخرى التي يمكن ادخالها في المعترك» ثم يفسر امين سعيد هذا الامر بقوله : «وماذلك الا لان الشيخ كان يرى الخير للغاية التي يعمل لها هو في هاتين الطبقتين : طبقة العمال من اهل المدن والفلاحين لانهما اخلص واكثر انقيادا واستعدادا للبذل والتضحية ولذلك حصر عمله في دائرتهما»(٨٧)

الخلفية الاجتماعية لمجاهدي العصبة :

لدينا مما توافر من معلومات في المصادر التاريخية ما يجعلنا اكثر قدرة على فهم الخلفية الاجتماعية للمجاهدين في العصبة ، ونظرة القسام الى العناصر الاكثر استعدادا للعمل من فئات الشعب المختلفة ، فباستعراض بسيط لبعض المجاهدين سوف نتوصل الى نتائج هامة بهذا الشأن . ولنبدا بأخذ نماذج من أفراد العصبة ومعرفة طريقة انضمامهم لعصبة القسام :

١ ـ الشيخ فرحان السعدي :

تتصل معرفة القسام بفرحان السعدي الى العهد العثماني ، حيث التقى الاثنان في سوريا اثناء وجود السعدي هناك ضمن جنود العثمانيين في الحرب الاولى(٨٨) والمعروف عن فرحان السعدي حسب تقارير الوكالة اليهودية انه كان «سراقا مشهورا» ، واشتهر بفروسيته وشجاعته و بقدرته على اطلاق النار واصابة الهدف بدقة و يقولون انه كان يتقين صيد الغزلان اثناء ركوبه الخيل ، في عام ١٩٢٥ ، انضم الى الشرطة وترقى الى درجة عريف وفعل الكثير في مجال القبض على اللصوص ، ثم قدم استقالته عام ١٩٣٠ ، وربى ذقنه واخذ يقضي اوقاته في العبادة(٨٩) . وكان الشيخ فرحان يصلي الجمعة باستمرار في مسجد الاستقلال وكثيرا ما كان يعود الى قريته مع الشيخ القسام وكان ظاهرا انهما ينسقان اعمالهما(٩٠) . وفرحان السعدي فلاحا من قرية المزار قضاء جنين

٢ ـ **حسن الباير** : أصله فلاح من قرية برقين قضاء جنين ، وكان كما يقول في افادته للشرطة بعد معركة يعبد والقبض عليه من اللصوص حتى تعرف على الشيخ القسام ، يقول البابر :

«انا من قرية بلقيس ، وكنت من قبل اسرق وارتكب المحرمات فجاءني المرحوم الشيخ عز الدين القسام ، واخذ يهديني و يعلمني الصلاة ، و ينهاني عن مخالفة الشرع الشريف وامر الله تعالى . وقبل مدة«اي قبل ١٩٣٥م» اخذني المرحوم الى احد جبال بلقيس وهناك اعطاني بندقية فسألته لم هذه ؟ فأجاب : لاجل ان تتمرن عليها وتجاهد مع اخوانك في سبيل الله»(٩١) .

اما كيف تعرف على القسام ؟ فالمروي ان الشيخ طه الدريني من الناصرة ، عرفه على القسام و بعد صلاة العشاء اخذه الشيخ القسام الى منزله وانامه عنده(٩٢) . ثم توثقت صلاتهما ببعض .

٣ ـ **محمود سالم** : اصله من مدينة الرملة وكان يعمل حارسا في محطة القطار بحيفا ، وعمل قبل ذلك في شركة النفط العراقية(٩٣) .

٤ ـ **الشيخ نمر السعدي** : فلاح من غابة شفاعمرو وهو ابن عم فرحان السعدي(٩٤) .

٥ ـ **الشيخ عبد الله يوسف زيباوي** : اصله فلاح من قرية الزير قضاء عكا ، وكان يعمل في محطة القطار بحيفا وعمل بعد ذلك في الزراعة(٩٥) .

٦ ـ **العبد قاسم** : فلاح كان يبيع الكاز في شوارع حيفا(٩٦) .

٧ ـ **محمد زعرورة** : فلاح كان يبيع الكاز(٩٧)

٨ ـ **محمد الصالح حمد «ابو خالد»** : فلاح من قرية سيلة الظهر قضاء جنين ، عمل في حيفا على عربة تجرها البغال(٩٨) .

٩ ـ **خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير»** : فلاح من قرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله عمل في حيفا بائعا في دكان صغير اختص ببيع اكياس الخيش والصوف(٩٩) .

١٠ ـ **احمد الغلاييني** : كان يعمل سمكري في مدينة حيفا(١٠٠) .

١١ ـ **عطيفة احمد المصري** اصله من مصر ، وكان يعمل على السفن المعتمدة على الفحم الحجري ، وكان احيانا يعمل في العتالة «حمال» ، وقبل ان يتعرف على القسام عرف كمهرب للحشيش» ، وذو طباع سيئة ، وكان احيانا يشرب الخمر و يتشاجر مع زوجته مما يؤدي الى ازعاج جيرانه القاطنين معه في عمارة واحدة ، وحصل ان ردعه احد جيرانه ، و يدعى يوسف الهندي ، عدة مرات فلم يرتدع ، فذهب الى الشيخ القسام وشكا له الوضع ، فجاء القسام وسهر عند عائلة الهندي ، فأرسل يوسف ابنه لاستدعاء المصري ، وحين حضر قضى القسام سهرته معه وتكررت بعد ذلك الزيارات وتوثقت العلاقة بين القسام والمصري حتى اصبح من مجاهدي العصبة(١٠١) .

١٢ ــ احمد الطيب ابو منصور : كان من قبضايات حيفا و يقضي وقته في المقاهي والخمر والتشليح ، حتى تبناه القسام والحقه بالحركة الجهادية . فكان من اوائل الذين عملوا في تهريب الاسلحة وتخزينها(١٠٢) .

١٣ ــ محمد ابو قاسم خلف : اصله من قرية حلحول قضاء الخليل ، هاجر الى حيفا في اوائل الثلاثينات ، وعمل في مصنع للعصير والكازوز يملكه الالماني فغر(١٠٣) .

* انفرد بذكر هذه النقطة اهرون كوهين في تقريره للوكالة اليهودية «احداث تشرين الثاني» .

بناء على ما تقدم نجد الحقائق التالية فيما يتعلق بعصبة القسام :

١ ــ اعتمد الشيخ القسام في بناء تنظيمه على ان الفلاحين والعمال هم الاقدر على الجهاد ، وان الذين اضطروا تحت ضغط الظروف الاقتصادية للسرقة والانحراف اولى الناس بالعناية والرعاية وهم قادرون على خدمة شعبهم باخلاص بعد توبتهم .
٢ ــ من بين الثلاث عشرة عينة التى اخذناها هناك عشرة مجاهدين اصلهم من قرى فلاحية . واربعة مجاهدين ذوي سوابق اخلاقية ، ثلاثة منهم تابوا على يد الشيخ القسام . وهناك عشرة مجاهدين عملوا في مدينة حيفا : في سكة الحديد او احدى المصانع او اعمال تجارية بسيطة .
٣ ــ كلهم اشخاص عاديين من الكادحين ، من عامة الشعب ، ليست لهم ثقافة واسعة الا ما تفقهوه على يد الشيخ القسام في دروسه ومحاضراته . ومع هذا فقد كانوا كما وصفهم المحامي احمد الشقيري الذي دافع عن قسم منهم بعد معركة يعبد : «قوما مؤمنين ، صنعهم الايمان ، فصفت نفوسهم وتألقت ارادتهم ، وتعاظمت عزائمهم ، واحسوا ان حبلهم مع الله قد اصبح موصولا ، وان الباب بينهم و بينه قد بات مفتوحا»(١٠٤) .

العمل العسكري ضد المستعمرات اليهودية :

دفع حادث البراق عام ١٩٢٨م* الشيخ القسام ورفاقه في العصبة الى الانتقال من مرحلة الدعوة للجهاد الى مرحلة التنفيذ العملي له ، و يصف القسامي خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير» هذا الانتقال بقوله(١٠٥) : «كان اليهود يبنون بناياتهم على شكل عسكري وكثيرا ما حدثت صدامات بين العرب واليهود و بينما كان اليهود حاقدين ومحتاطين لانفسهم ، كان العرب غير محتاطين . ولقد استغل اليهود هذه الميزات كلها ، وكثيرا ما كنا نرى العرب يسقطون قتلى وجرحى . وازاء ذلك طلبنا من الشيخ ان ينتقل من الكلام الى العمل ، وطلبنا ان نتسلح ونتدرب «كان ذلك عام ١٩٢٨م» ، اشترينا بندقية واحضرنا مدربا كان اسمه محمد ابو العيون . وكانت تبدأ الجلسة بأن يلقي الشيخ دروسه ثم تحولت دروس الشيخ من دروس دينية الى تحريض على الجهاد . وكان المدرب يقوم في اخر الجلسة بتدريب الموجودين على البندقية واحدا واحدا» .

---

* البراق جزء من الحائط الغربي للمسجد الاقصى المبارك ، يدعي اليهود ان لهم حقا تاريخيا فيه ، وفي ايلول عام ١٩٢٨م ، قاموا بمظاهرة كبرى عدائية ، احتجاجا على اقدام الحكومة على رفع الحاجز الخشبي الذي سبق لهم ان وضعوه كفاصل بين الرجال والنساء ، وهجموا على دائرة البوليس ، وقرروا مطالبة الحكومة العمل على تسليمهم الحائط وان تعترف لهم بملكيته . وقد كان باستطاعة الحكومة تفريقهم ولكنها لم تفعل(١٠٦) .

وفي عـام ١٩٢٩ نشبت ثورة البراق التاريخية ، ففي ١٤أب ١٩٢٩ قام اليهود بتنظيم مظاهرة ضخمة في تل ابيب بمناسبة ذكرى تدمير الهيكل وقاموا بمظاهرة اخرى في اليوم التالي في شوارع القدس متوجهين نحو حائط المبكى حيث رفعوا العلم الصهيوني وانشدوا النشيد القومي «الهاتكفا» .

تجمع المسلمون في اليوم التالي والذي كان يوم جمعة وصادف ذكرى المولد النبوي الشريف ، في باحة المسجد الاقصى وانتقلوا بعد الصلاة في مظاهرة كبيرة حطموا فيها ادوات اليهود عند الحائط واحرقوا صلواتهم الموضوعة في ثقو به .

واستمرت الاشتباكات الدمو ية بين المسلمين واليهود مدة اسبوع كامل ، سقط فيه عشرات القتلى والجرحى(١٠٧) .

رفض الشيخ القسام الاشتراك في هذه الثورة بداعي ان برنامج توعيته لم يأخذ درجة الانتشار في جميع اوساط الامة وفي جميع مدنها ، وكذلك لان رجاله لم ينهوا تدريبهم واستكمال تسلحهم(١٠٨)* ، ولم تكن العصبة قد مضى على تشكيل اول قيادة لها سوى بضعة شهور ، وكانت هذه القيادة قد تشكلت عام ١٩٢٨م من الشيخ القسام وار بعة من المجاهدين هم : **العبد قاسم ، محمود زعرورة ، محمد صالح وابو ابراهيم الكبير**(١٠٩) ، ومع ازدياد قوة العصبة واتساع قاعدتها قسم الشيخ القسام اتباعه الى خمس وحدات عسكرية منظمة :

الاولى : وحدة شراء السلاح وكان منها حسن الباير ونمر السعدي

الثانية : وحدة التدريب العسكري باشراف ضابط خدم في الجيش التركي .

الثالثة : وحدة التجسس على اليهود والانجليز لمعرفة خططهم ومن افرادها الشيخ ناجي ابو زيد

الرابعة : وحدة الدعاية للثورة في المساجد والمجتمعات .

الخامسة : وحدة الاتصالات السياسية(١١٠) .

بعد احداث البراق عام ١٩٢٩م بدأ التساؤل داخل صفوف الحركة الوطنية حول الطريقة الناجحة في مواجهة الانتداب والصهيونية ، اهي تنظيم اضطرابات جديدة بشكل قطري ، ام القيام بتدبير كمائن والهجوم على افراد ومستوطنات معينة(١١١) ؟؟ ، و يتضح من مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية ، ان اغلب الزعامات ذات الارتباطات العائلية وهي تشكل الغالبية العظمى في صفوفها ، اختارت نفس الاسلوب القديم «النضال السياسي» ، بينما اختارت قوى اخرى طريق الضرب بعنف لكل من اليهود والبريطانيين ، وعملت هذه القوى في اتجاهين :

الاول : عفوي غير منظم ، استخدم اساليب ذات اثر لحظي مثل ، نهب الابقار والاغنام التابعة للمستوطنات ، حرق المحاصيل الزراعية اليهودية وقطع الاشجار .

والثاني : اتجاه منظم و يعرف هدفه جيدا . والثابت تاريخيا ان هذا الاتجاه لم يكن سوى عصبة القسام ، اذ هي التجمع الوحيد قبل ثورة ١٩٣٦م الذي عرف التنظيم العسكري . وابتداء من بداية الثلاثينات كان هناك نشاط عسكري واضح للعصبة في مجال التدريب على استعمال السلاح ومن ثم تنفيذ العمليات الفدائية ضد المستعمرات اليهودية .

---

* ينكر الدكتور كامل خلة ان رفاق القسام اشتركوا في هبة ١٩٢٩م ، ولكن يبدو ان عدم اشتراك العصبة بشكل رسمي هو الثابت لان الاعمال العسكرية بدات في الثلاثينات ، وقد يكون اشتراك بعض الاشخاص قد تم بشكل فردي لا تنظيمي .

وكانت التدريبات العسكرية تتم في رحلات ليلية كما كان القساميون يقومون بحركات استطلاعية يتمرنون خلالها على اصابة الهدف(١١٢) وذكر احد المجاهدين وهو من سيلة الحارثية انه تدرب مع القساميين على السلاح ولم يكن عمره يزيد على الرابعة عشرة ، في مكان يدعى وادي رشم يقع في مدخل مدينة حيفا الجنوبي ، وكان القسام يشارك بنفسه في هذه التدريبات .

و يؤكد «سليمان ابو حمام» خروج القسام بنفسه للتدريب اذ يقول ان القسام «كان يخرج ليلا الى جبل الكرمل و يدرب الاعضاء على الاسلحة و يوجههم في اساليب الكفاح المسلح»(١١٣) .

كذلك يصف حسن شبداق ، عضو الهيئة المسؤولة عن الحجارة في اراضي «الكبابير» بجبل الكرمل ، وأحد الذين تدربوا على يد الشيخ ، خطوات التدريب كالتالي : «كنا نجتمع ، قبل الخروج الى جبل الكرمل ، في واحد من الجوامع ال ثلاثة : الاستقلال ، الجامع الكبير «الجرينة» والجامع الصغير ، وكان الخروج عادة على مستوى الحظيرة ، ثلاثة اشخاص يعرفون بعضهم بعضا ، والحجة القانونية التي كنا نتسلح بها في خروجنا وجود المحاجر ، في محجر مثلا ، ومعظم الحجارة السبعمائة كانوا من القساميين ، وكان القسام يخرج مع كل حظيرة و يعلمها فك وتركيب البندقية وتنظيفها وكيفية استخدامها»(١١٤) .

كما ان القسام استفاد من عضويته في هيئة جمعية الشبان المسلمين للتستر على التدريب العسكري تحت حجة النشاط الرياضي والكشفي ، وكثيرا ما كان ينام على كرسي الجمعية ولا يعود الى البيت(١١٥) . وقد اشار تقرير سري مرفوع في ايار ١٩٣٢م للوكالة اليهودية من احد جواسيسها في حيفا الى وجود تدريبات عسكرية بين العرب وشرائهم الاسلحة(١١٦) بشكل نشط وملحوظ.

تنفيذ العمليات الفدائية ١٩٣١ ـ ١٩٣٢

باستكمال التهيئة للجهاد واعداد المقاتلين ، ابتدأت عصبة القسام تنفيذ عمليات فدائية موجهة ضد المستوطنات اليهودية عن طريق اعداد كمائن والهجوم على افراد محددين ومستوطنات معينة ، بهدف دفع اليهود في الخارج لوقف هجرتهم الى فلسطين ووقف التبرع للحركة الصهيونية .

وكانت اولى العمليات موجهة ضد مستعمرة الياجور ، ففي ليلة الخامس من نيسان عام ١٩٣١م كمنت فرقة قسامية على الطريق الرئيسي المؤدي للمستوطنة ، و بينما كانت قافلة سيارات يهودية تسير باتجاه المستوطنة ، وتقل عدد من الشبان والفتيات اليهود العائدين من احدى الحفلات ، اطلق المجاهدون النار عليهم ، فقتلوا ثلاثة منهم وعادوا من حيث اتوا ، دون ان يتركوا اي اثر يدل عليهم . واعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها ار بعماية جنيه لمن يدلي بمعلومات تقود للقبض على الفاعلين* ، ولكن جهودها ذهبت ادراج الرياح(١١٨) .

ثم نفذ القساميون عمليتهم الثانية ، فأطلقوا بتاريخ ١٩٣١/٤/٧م ، النار على موشي فليبتس في مستعمرة نهلال واصابوه برجله(١١٩) .

وفي السادس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٢م ، قام القساميون بقتل يوسف بورنشتيان في مستعمرة «بلفوريا» . ثم في الخامس من اذار في العام نفسه قتلوا «شموئيل جوترمان» في «كفار

---

* يبدو ان هذا المبلغ حرك طمع احد افراد الشرطة العرب ، فقام بالابلاغ عن ثلاثة من البدو وجدهم في مغارة قرب المستوطنة ، والقت قوات البوليس القبض عليهم ، وتحت التعذيب الشديد اعترفوا بالحادث ، ولكنهم عادوا وانكروا التهمة ، ثم وكلوا محاميا انجليزيا للدفاع عنهم ، فبرا ساحتهم بعد ان ثبت ان احدهم كان مسجونا في سجن عكا لعدم دفعه دينا استحق عليه ، وقت وقوع الحادث فاطلق سراحهم(١١٧) .

هاسيديم»(١٢٠) وفي ١٩٣٢/٤/٣٠م ، كانت هناك محاولة قتل في مستوطنة كفار يحزكئيل» ، واصيب اثنان من اليهود بجروح(١٢١) .

وتوج المجاهدون عملياتهم الفدائية ، بعملية جريئة نفذت في مستوطنة نهلال للمرة الثانية ، وقد اثارت هذه العملية البريطانيين واليهود وافقدتهم صوابهم . ففي ليلة ١٩٣٢/١٢/٢٢م قتل يوسف يعقوبي وابنه داود من جراء انفجار قنبلة انفجرت في الغرفة التي كانا فيها .

وتأتي اهمية الحادثة من اهتمام الصهيونيين بنهلال اولا ، ومن تطور القدرة القتالية لدى عصبة القسام ثانيا .

من الناحية الاولى فان حاييم وايزمن زعيم الصهيونية في تلك الفترة قد اشار الى اهمية نهلال في حفلة اقيمت على شرفه في المستعمرة بتاريخ ١٩٣١/٣/١٧م قائلا : «ان نهلال مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري ، لانني منها ابتدىء بسياحتي ، وبها اختمها ، وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر ، ولست ابالغ اذا وصفتها بأنها قلب المرج . وعندما تقترب مني الايام الصعبة اتطلع الى نهلال لاستمد منها التعزية»(١٢٢) .

اما من الناحية الثانية ففي ملخص الحادثة ما يوضحها :

استطاع القسامي احمد الغلاييني والذي كان يعمل سمكريا ، استطاع ان يصنع قنابل في معمله الصغير ، وكانت احدى الخلايا القسامية تعمل في صفورية وتقوم باطلاق النار من بنادق حربية تابعة للعصبة على اليهود ، وضمت هذه الخلية خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير» ، احمد الغلاييني ، مصطفى علي الاحمد واحمد التوبة . وبعد ان تمت صناعة القنابل ، اخذ مصطفى علي الاحمد قنبلتين وضع احداهما في منزل حراس المستعمرة «يعقوبي وابنه» ، وحين انفجرت قتل الاثنان(١٢٣) ، وبعدها قام القساميون بتسيير قطيع من الغنم على طريق المستعمرة لاضاعة الاثر(١٢٤) .

وحول اليهود جنازة يعقوبي الى مظاهرة كبيرة كان على رأسها ارلوزورف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، واعلنت الحكومة عن تخصيصها مكافأة قدرها خمسماية جنيه فلسطيني لاي شخص يقدم اخبارية تؤدي الى القاء القبض على منفذي العملية(١٢٥) .

ورغم جهود الشرطة المكثفة لمعرفة الفاعلين ، الا انها لم تستطع الكشف عن المجاهدين الا بالصدفة ، فقد قامت بعد ست شهور من الحادثة بتفتيش قرية صفورية ، وكانت قبلها قد اعلنت عن شكها بوجود علاقة لجمعية الشبان المسلمين بالحادث ، وفي منزل مصطفى الاحمد عثرت على قنبلة مماثلة لتلك التي انفجرت في نهلال ، وصادرت بندقية حربية من نفس المنزل(١٢٦) ، فأعتقلت مصطفى الاحمد ، ثم قامت باعتقال خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير» واحمد الغلاييني .

يقول ابو ابراهيم واصفا اعتقاله : «لقد اتهمونا نحن بالقنبلة ، رغم اننا لم نكن قد قمنا بها «اي بوضعها» . القي القبض على مصطفى وسجن في الناصرة . كان هناك محامي «هو شريف عبيد» ، فاتفق مع حليم بسطه ـ مساعد مدير الامن العام الانجليزي على كشف القضية ، ولقد سلطوا المحامي على مصطفى الاحمد وطلبوا منه ان يعترف ، كما طلبوا منه ان يقول بأنني انا واحمد الغلاييني قد اشتركنا معه في هذه العملية ولما بحثوا عن نوع المواسير التي صنعت منها القنبلة ، وجدوها عند تاجر يهودي فسألوه عمن اشترى منه هذه المواسير ، فتذكر ان اخا لاحمد الغلاييني هو الذي اشتراها . ولما جاءوا الى دكان الغلاييني وجدوني عنده بالصدفة فالقي القبض علينا .

ذهب من يبحث لنا عن محام ، فقابل احد اعضاء الحركة الوطنية الذين يحترفون المحاماة ، فقال لنا هذا الرجل ان القضية ستكلفهم كثيرا . فذهبنا الى المحامي حنا عصفور فكلفناه ، وعندما فعلنا ذاك طلب حليم

بسطه منه «اي المحامي» ان ينتزع منا اعترافا ، فجاء المحامي وقال لنا : انا محامكيم واريد ان تخبروني عما حدث معكم ، قلنا له نحن ابرياء ، دافع عنا بكل قوتك . وحاولت السلطات ان تأخذ امر توقيف لنا من حكام الصلح العرب فرفضوا اعطاء امر بتوقيفنا ... ، فأخذتنا السلطات البريطانية عند حاكم صلح اخر ، فأعطى امرا بتوقيفنا لمدة خمسة عشر يوما(١٢٧) .

بقي الثلاثة رهن التحقيق الذي كان يشرف عليه الضابط احمد نايف والضابط كلايتمان ، واستطاع الاثنان كشف النقاب عن منفذي العملية ، وكذلك اسماء الاعضاء النشيطين في العصبة .

و يقول احد قادة الهاجاناة «تسفي شابيرا» في رسالة وجهها لمسؤول في الوكالة اليهودية «شوهمم فنكلشتاين» حول العصبة القسامية ، ان التحقيقات التي تمت بواسطة شرطة حيفا حول عمليات قتل اليهود في «الياجور» «وكفار هاسيديم» لم تعط نتائج جيدة ، و يعزو شابيرا هذا الامر الى ان الضباط المسؤولين عن التحقيق «عبود ونصر» كانوا لا ساميين ، فاستبدلوا بعد حادثة نهلال باحمد نايف وكلايتمان ، بالاضافة الى مشاركة حليم بسطه الذي نجح في الكشف عن اسماء النشيطين في الجماعة وقبض على (١٢) شخصا ، اتهمتهم الشرطة بموجب المواد (١٤) و (١٥) من القانون الشخصي المعدل لسنة ١٩٢٧م بانهم قاموا بمؤامرة لقتل يهود في فلسطين(١٢٨) .

ونشرت صحيفة دافار اليهودية تفاصيل عن التحقيقات التي اجريت حول نهلال ، فقالت ان من بين الذين القي القبض عليهم : خليل محمد عيسى ، حسين محمد حمدي ، محمود زعرورة ، عز الدين القسام ، ذيب ديوان ، احمد الحسن ، الحاج مصطفى ، والشاب عبد الطه(١٢٩) .

وعلى الرغم من كل التحقيقات الطو يلة والشهادات التي تم جمعها فلم يتم تقديم كل المتهمين للمحكمة ، واسقطت التهم عن القسام وآخرين لعدم وجود ادلة كافية .

ولكن المحكمة حاكمت ثلاثة من القساميين خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٣٣م وهم : مصطفى الاحمد ، وحكمت عليه بالاعدام ونفذ الحكم .

احمد الغلاييني ، وحكمت عليه بالسجن مدة (١٥) عاما ، قضاها وخرج عام ١٩٤٤* . و برأت ساحة ابو ابراهيم الكبير(١٣٠) وخلال المحكمة انكشفت اسرار عصبة الشيخ القسام ، واصبحت تحركاته ونشاطاته موضع شك لدى المخابرات والبوليس البريطاني ، وكانت لشهادة عبد الطه اثر سيء في كشف مكنونات الجماعة ، وقد نقلت صحيفة دافار نص شهادته امام المحكمة وقالت انه «كشف النقاب عن كافة اسرار المنظمة السرية التابعة لجمعية الشبان المسلمين في حيفا»(١٣١) .

ففي اجابته على اسئلة المدعي العام اجاب الطه : اشتركت في الاجتماع مع المنظمة السرية . وتم الاجتماع قبل حادثة القتل في نهلال في بيت محمود زعرورة** قبل حوالي يومين او ثلاثة . وكان الحضور في الاجتماع : محمود زعرورة ، خليل عيسى ، احمد الغلاييني ، وكنت من بين الحضور (الكلام لعبد الطه) وكذلك يمكن ان يكون الشيخ حسين حلمي من بين الحضور .

وتم في الاجتماع بحث اغتيال بعض اليهود في مستوطنة نهلال ، ... ، وقد حضرت اجتماعات سابقة للتنظيم . كنا نجتمع بعد الصلاة ، وكان خليل عيسى او الشيخ حسن يقول : «حرب ، نضال ، لقد قام الاسلام على الجهاد» .

وكذلك تم بحث موضوع اغتيال رئيس الطائفة اليهودية في «هدار هكرمل» في حيفا ، ولكني لا اعرف اسمه

---

* حسب أنظمة السجون زمن الانتداب تعتبر السنة مساو ية لتسعة شهور فقط.

** لم تتوفر ادلة كافية ضد زعرورة فاطلقت المحكمة سراحه ، فعاد بعدها الى عمله في شركة «شل» بحيفا .

، وقال لي خليل عيسى «ابو ابراهيم الكبير» : هل ترى ذلك البيت المرتفع ، ان صاحبه هو الرئيس الكبير لليهود ، وفي فترة الاضطرابات كان(١٣٢) كل اليهود يختبؤون عنده» هذا ما قاله لي خليل عيسى في طريقنا الى بيته لحضور الاجتماع . وكشف الطه عن ان الشيخ صلاح الحوراني* كان عضوا في عصبة القسام ، وانه كان مسؤولا عن ثلاثين فردا منهم ،حضر الطه معهم اجتماعا ، اقسم فيه على القرآن الا يخون الجماعة ولا يكشف اسرارها اطلاقا وان يكون مخلصا لما تقوم به من اعمال ، وقبل بعد هذا القسم عضوا في المنظمة .

وقال انهم بعد دخوله الجماعة طلبوا منه حمل متفجرات كانوا يعدونها ووضعها في سيارة متجهة الى صفورية ، وتسليمها الى منظمة سرية اخرى مشابهة للتي بحيفا(١٣٣) . وواضح من شهادته انه كشف امر خليتين من خلايا عصبة القسام الاولى بحيفا والحوراني احد اعضائها والثانية في صفورية التي طلب منه نقل الاسلحة اليها .

كما انه كشف عن مخططات الجماعة واهدافها العسكرية . فأدى هذا الامر مع تنفيذ حكم الاعدام بحق الاحمد . الى ايقاف نشاط العصبة الى ان يتم تجاوز المرحلة الحرجة وحالة الاستنفار لدى المخابرات الانجليزية واليهودية . واستمرت حالة التحمد هذه حتى قرب نهاية عام ١٩٣٥.

وقبل الانتقال الى قضية اخرى لا بد من الاجابة على سؤال يتعلق بأعمال القساميين العسكرية مفاده : «لماذا اختار المجاهدون منطقة الشمال لتنفيذ خططهم ؟» ولماذا نجحوا في ادخال الرعب الى نفوس اليهود والتأثير عليهم ؟؟ مع العلم ان المناطق الاخرى والتي تركزت فيها القيادات السياسية الرئيسية للحركة الوطنية لم تستطع ان تقوم بنفس الدور الذي قام به القسام في الشمال .

يجيب اهرون كوهين من الوكالة اليهودية على جزء من السؤال ، فيعزي اسباب النجاح في الشمال لما يلي :

١ ــ وجود قوى ثورية شابة في الشمال .

٢ ــ الشروط الجغرافية التي تمكن من تنفيذ العمليات ، وفي حالات الضرورة اللجوء الى سوريا عن طريق الحدود الواسعة .

٣ ــ العزلة الجغرافية لتجمعات اليهود والبعد القائم بين الواحد والاخر .

٤ ــ قلة قوات الشرطة في الشمال والنقص في وسائل الاتصال السريع «هاتف ، شوارع» مع حيفا .

٥ ــ عدم وجود عائلات كبيرة متخاصمة ، والتي تتحارب فيما بينها على السيادة ولو وجدت هذه العائلات في الشمال لتحاربت فيما بينها لنيل السيادة على الجماعات المقاتلة .

وتضيف احدى الصحف العربية سببًا سادسا : وهو زيادة امتلاك اليهود للاراضي في الشمال(١٣٤) .

لقد كان من مفارقات القدر ان تتجمع هذه العوامل جميعها في حيفا ، وان يكون القسام خطيبا في احدى مساجدها ، ومن ثم تتأهل الظروف لنشاطه الجهادي .

(٤ ــ ٤) الوعي السياسي والتاريخي عند الشيخ القسام :

كانت حركةالقسام في فلسطين أول حركة تعتمد المواجهة المسلحة الجريئة مع السلطات البريطانية ، في حين لم تكن القيادة الوطنية لتخلو من الروابط والصلات والمصالح بالانجليز مما يمنعها من اعتماد الكفاح المسلح ضدهم(١٣٥) .

---

* يذكر صبحي ياسين ان اسمه صالح الحوراني ، و يقول انه كان لا يؤمن بالثورة ولا يقف في طريقها ، وانه كان من المنتقدين للقسام والمتناظرين معه في مناظرات كان القسام يفحم بها خصومه (ص٣١) و يبدو انه يوجد تعارض بين ما يقوله ياسين و بين شهادة الطه من ان الحوراني عضو في المنظمة السرية . ولا يحل التعارض الا بافتراض وجود خطأ في قول احدهما والارجح ان قول الطه هو الصواب .

وقد سئل القسام مرة عن رأيه في اساليب الحركة التقليديه المعتمدة على محاورة الانجليز بالطرق الشرعية ، فاجاب اجابة قصيرة مكثفه :«من جرب المجرب فهو خائن ، والمؤمن اذا قال صدق واذا قيل صدق» .

وفي شرحه للجملتين قال :«ان الحركة الوطنية لا تستطيع الثقه بالانجليز مجدداً بعد تجربة الهاشميين في مكة وبغداد ، وبعد تجربتها هي منذ الاحتلال حتى الان ، ولا يستطيع المؤمن ان يحاور المستعمر لنيل حقوقه بالاقناع ، لانه يجب ان لا يصدقه ولا ان يكون صادقا معه وفي الحالتين ، فقد تحول الهاشميون من رواد ثورة الى خونة لها ، لانهم اعتمدوا هذا السبيل(١٣٦) .

وخلال اجتماع لعدة وطنيين عقد في الجمعية الاسلامية بحيفا* ، علق القسام على سعي القيادة الوطنية نحو دفع المندوب السامي لمنع الهجرة وبيع الاراضي بقوله ان الزعامة تتحمل المسؤولية عن الوضع السيء للعرب ، لان هذه القيادة وقعت بنفسها على المصادقة على الوطن القومي لليهود(١٣٧) ، «بسبب تعاونها مع المندوب واجهزة الانتداب» ، واعتقد القسام وقتها ان الاوان قد فات بالنسبه لمنع الهجرة وبيع الاراضي عن طريق المندوب السامي .

في مقابلة اساليب الحركة التقليديه ، وضع الشيخ القسام تنظيمه الجهادي السري ، وجعله قائم على نظرة مستوحاة من «الكتاب والسنة» . وجعله في شكله التنظيمي مثل الشكل الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة : حلقات سرية من خمسة اشخاص(١٣٨) .

واعتقد القسام ان «الموجات الشعبية العاطفية العربية لن تضع حدا للعدوان المنظم على فلسطين» فوضع مخططا للعمل يعتمد على الاسس التالية .

١ ــ بريطانيا اصل الداء وهي عدوة العرب والاسلام .

٢ ــ الحركة الصهيونية وليدة الاستعمار البريطاني : «فبريطانيا الرأس ، والصهيونية الذنب ، واذا قطع الرأس فلن يبقى للذنب اي اثر .

ومن مسؤوليات المجاهدين منع بيع الاراضي لليهود .

٣ ــ الزعامات السياسية ليست على مستوى قيادة المعركة فلا الاحزاب العائلية ولا الاوقاف بقادرة على ادارة دفة الصراع .

٤ ــ الثورة الشعبية المنظمة هي السبيل لمنع دولة اليهود .

٥ ــ يجب تعبئة الشعب عن طريف خطباء المساجد ، وتدريب القادرين على حمل السلاح(١٣٩) .

ولعلمه ان الثورة يجب ان تشمل كل فلسطين ، لا شمالها فحسب ، حاول القسام ان يقنع الحاج امين بتعيينه واعظا عاما متنقلا ليستطيع الاتصال مع سائر طبقات الشعب في المدن والقرى ومضارب البدو للاعداد للثورة ، غير ان الحاج امين اعتذر له قائلا اننا نعمل لحل القضية سياسيا(١٤٠) .

هذه المواقف والاراء للشيخ القسام تبين ان الرجل لم يكن مجرد محارب شجاع ، لديه القدرة على مواجهة اعدائه بالسلاح دون التراجع امام جبروتهم وقوتهم ، بل هو بالاضافة الى ذلك ، يتمتع بثقافة معاصرة جيدة ، وعنده قدرة على تحليل ما يدور حوله بعمق فاق به اهل الكلام والخطب ، وهو بهذا وذاك استطاع ان يكون المؤثر الاقوى في تحويل مسيرة النضال الفلسطيني من المزايدة السياسية الى الجهاد المسلح ، فكان رمز الاخلاص ورمز العمل الدؤوب . وكانت حركته كما يقول الدكتور نلس جونسون . نقطة تحول في طبيعة وظروف الحركة السياسية في فلسطين(١٤١) .

---

* حضر الاجتماع : الشيخ عز الدين القسام ، رمزي عمر ، حكمت النملة ، شعبان البرد وياسين زيتاوي . وعقد بتاريخ ١٩٣٥/٢/١٤ مساء .

٤ ــ ٥ شعبية القسام :

لم يطرح القسام نفسه رئيسا لحزب سياسي او زعيما وطنيا ، او ابنا لاحدى العائلات المعروفة ، بل طرح نفسه مجاهدا يعبر عن تطلعات امته بالتحرر من ربقة الاستعمار ، فتمتع باستشهاده في سبيل فكرته بتقديس واحترام لم يحلم به اكبر زعيم ، وعاش الشيخ حياته بين الناس البسطاء يشاركهم افراحهم واتراحهم ، يهتم بأحوال الفقراء منهم ، و يسعى جاهدا لمحو الامية من صفوفهم ، فقام بتأسيس مدرسة ليلية لتعليم العمال الاميين(١٤٢) الذين يشتغلون في النهار ، ولا يتمكنون من التعلم خلاله وساعده في التدريس بهذه المدرسة الشيخ كامل القصاب . وكان للمدرسة اثرها في نشر الوعي والتعليم في صفوف عمال حيفا الذين هم ابناء القرى المرهقة بالضرائب او من الذين طردوا من اراضيهم بقوة السلاح ، فكان القسام يسعى لاجتذاب هؤلاء نحو العمل المنظم والمثمر ، يقول احد الذين تعلموا في هذه المدرسة واصفا احدى دروسها :

«خرجت عام ١٩٣١ الى مدينة حيفا لاعمل فيها وكان عمري ثلاثة عشرة عاما ، وحدث ان ذهبت في احدى الليالي مع صديق لي الى المدرسة الليلية لتعليم الاميين ، وكان الطلاب من العمال الذين يشتغلون في النهار ، دخل علينا الشيخ كامل القصاب ، وطلب مناا خراج الكتاب والدفتر ، ثم سحب مسدسه واشار اليه قائلا تعلم هذا ، قبل هذا واشار الى الكتاب ، واخذ بعدها يعطي درسه»(١٤٣) .

واهتم الشيخ كثيرا بالشباب الذين دفعتهم قسوة الظروف الاقتصادية والسياسية نحو الانحراف الاخلاقي ، فنجح باعادة الكثيرين منهم الى الطريق الصواب ، وهناك من قالوا عنه اثناء ايوائه الى مثواه الاخير انه ابعدهم عن الدعارة والقمار نتيجة لتأثيره الادبي فيهم(١٤٤) .

كان لمساره وكلامه بين الشبان تأثير كبير عليهم ، والكثيرون منهم تحدثوا عنه كانه مقدس ، لقد عرف كيف يتأقلم مع البسطاء والفاسدين ، و وجد لغة مشتركة معهم ، كذلك نجح بالتغلغل في اوساط النشطين من القوميين وفرض تأثيره عليهم(١٤٥) .

كان يقترب من الفقراء كثيرا ، و يكثر من مجالستهم ، وحدث مرة ان هزء منه كبار التجار في حيفا لكثرة مجالسته فقراء «بوابة عكا» ورفضه الجلوس معهم(١٤٦) .

وهو نفسه كان اقرب الى الفقر في حياته ، فقد أعال نفسه بقروش قليله ولم يبق بعد استشهاده بيتا ولا ملكا ، وجيرانه يقولون عنه انه كان يعيش بصعو به(١٤٧) .

و يروي عنه ابنه محمد القصة التالية حول تعامله مع الفقراء : «جاء شخص يسأل عنه في البيت وكان غائبا . و بحث عنه في جامع الاستقلال وجمعية الشبان المسلمين ولم يجده ايضا . ودله احد المارة على مكانه ، فكان يتناول افطاره عند قيم الحمام «عامل بسيط في حمام عام » حيث الاخشاب والدخان والشحبار ، وتبين ان ملقم الحمام وكان معدما ، قد دعاه الى تناول الافطار معه ، فلبى دعوته باكرا»(١٤٨) .

وتمتد علاقته الى الكثيرين فقد كان حريصا على التعارف من الناس ، والحديث معهم حول شؤونهم وقضاياهم المصيرية ، وقد روى اثنان ممن عرفوه والتقوا به ، كيف تعرف بهم وعاش معهم كاي رجل من الناس ، فيقول يوسف الشايب الذي عمل خفيرا في «فبركة المصة» بحيفا ، انه تعرف على الشيخ سنة ١٩٣٠ عن طريق عامل من عصيرة الشمالية كان يحضر دروس القسامو يدعىاسعد المبسط ، وحين ذهب الشايب والمبسط الى الشيخ وكان بجماعة من الناس ، افتتح قوله بالاية الكريمة : «يا ايها الناس انا جعلناكم شعو با وقبائل لتعارفوا» ، ثم قال امرنا الله بالتعارف فيجب ان نتعارف(١٤٩) .

و يقول حسن العابور الذي عمل في شرطة حيفا سنة ١٩٣٥ ، انه تعرف على الشيخ القسام عن طريق الشاعر نوح ابراهيم ، فعندما اخذه نوح الى الشيخ حرص علىالتعرف به، وتحدث اثناء جلوسهم عن الشهادة

في سبيل الله والتمسك بالدين ، وان الامل معقود على الشباب المتمسك بدينه لرفع معاناة الشعب ودفع العدوان عنه(١٥٠) .

اما نوح ابراهيم فهو شاعر شعبي ،اشتهر بأهازيجه الشعبية الحماسية ، وقد عاش نوح يتيما ، ربته راهبة نصرانية تدعى «سمبل»(١٥١) ،عرف القسام وتوثقت صلته به ، وكان من الثوار الذين لحقوا به ، فاستشهد عام ١٩٣٨ ، اثناء الثورة الكبرى .

هناك الكثيرون من كافة فئات الشعب ممن تحدثوا عن الشيخ القسام واخلاقه وطريقته في التعامل مع الناس ، ومنهم رجل مصري قام برحلة تجارية في بلاد الشام وقدر له في حيفا ان يقابل القسام وزمرة من اخوانه المجاهدين ، فتوثقت صلته بهم ، وتردد كثيرا على الشيخ وقد كتب هذا الرجل بعد استشهاد القسام يصف رحلته ولقاءه به فيقول «ولا يزال يرن في اذني صدى صوته الر نان وهو يقول «الجنة تحت ظلال السيوف»(١٥٢) .

وكتب الشيخ حسين حسونه ، وهو احد علماء مدينة اللد ، ومن اعضاء جمعية الشبان المسلمين فيها ، يصفه فيقول : «لم يكن قوالا ينثر الكلام في كل مجتمع و يلقي الخطب في كل ناد ، عرفناه هادئا تقيا عالما عاملا»(١٥٣) .

وعدد المؤرخ السوري امين سعيد بعضا من صفات القسام الدالة على عمق تأثيره في الشعب الفلسطيني فذكر ان من اظهر صفاته ومزاياه: «بعده عن الشهره والاعلان عن النفس ، فكان في حيفا كما كان جبلة وفي جبال اللاذقية وفي كل مكان نزله عنوانا للاخلاق الاسلامية الصحيحة ومثالا كاملا للمسلم الحقيقي الذي تذوق لذة الاسلام واستنار بنور الايمان واليقين ، فما عرف عنه ما يريبه او يدنس سمعته او يدل على اشغاله بالسفاسف والزخارف فاحرز مرتبة رفيعه ونال مقاما ممتازاً»(١٥٤). و وصف اهرون كوهين القسام بأنه كان ذو ثقافه واسعة جداً في الشريعة الاسلامية ، وانه كان يعرف كيف يسيطر على قلوب الناس من خلال خطاباته الدينية(١٥٥).

وعرف فيه «قدرته الفائقة على الخطابة ، ولباقته البارعة في ادارة دفة الحديث ، الى جانب قوة في شخصيته ، وطيب في معشره، ورقة في سلوكه وحديثه»(١٥٦) .

«وكان يكره التأجيل والمماطلة و ينجز المهمات فوراً . حاضر البديهة وسريع الخاطر ، ينفذ ما يقول ولا يكترث لنفسه في شيء ، وحياته بسيطة في بيته وملبسه ومأكله»(١٥٧) .

وكان مما كتبه من عاصروه وعايشوه عن كثب شهادتان في اخلاق القسام ، احداهما لاحمد الشقيري ، والثانية لعبد الله مخلص ، وكلاهما من المعروفين في صفوف الحركة الوطنية ، وشهادة ثالثة من صحفي فلسطيني كانت له معه جلسات ولقاءات فكتب بعد استشهاده بايام قليله معدداً مناقبه ومأثره .

يقول احمد الشقيري : «كنت على معرفة وطيدة بالشيخ عز الدين القسام ، عرفته تقيا ورعا ، خطيبا دينيا صالحا ، واجتمعت به في مؤتمرات جمعيات الشبان المسلمين في حيفا وغيرها ، ولم يكن يدور في خلدي او في خلد غيري حتى من اصدقائه المقربين ، ان هذا الشيخ المعمم ، إمام الجامع كان يهيىء نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضد السلطات البريطانية مباشرة»(١٥٨) .

و يقول عبد الله مخلص : «وقد عرفنا الشيخ المجاهد وعاشرناه ورأينا من متانة دينه وقوة يقينه مالا نزال نكبره ونشيد بذكره ، وقد كان على جانب عظيم من الصراحة في الحق ، والصدق في القول والعمل ، وكان يعمل لدينه اكثر مما يعمل لدنياه»(١٥٩) .

اما الصحفي عبد الغني الكرمي فقد كتب عن القسام مايلي : «عرفته بعد ان اثقلت كاهله السنون وار بى على الستين ولكن مجالدة الدهر ، ومقارعة الحوادث ، وصروف الزمان ، ما الانت له قناه ، وما اذلت له جناحا لاحد ، وما زادته الا ورعا وتقوى .

كان يمشي مطأطأ الرأس من خشية الله . وكان يتكلم في هدوء وتواضع واتزان ، كالعالم الواثق من نفسه ، المؤمن برسالته ، الحريص على تقوى الله ، وبث تعاليم الدين الصحيحة بين الناس ، وما سمعته على طول صلتي به يحب الاصغاء الى لهو الكلام والمهاترة والاستغابة ، فاذا امعن المتحدثون في هذا الضرب من القول ، رفع رأسه وقال : استغفروا الله أيها الناس ، وانصرف عنهم»(١٦٠) .

وقد كان لهذه المزايا والاخلاق دورها في تعاطف الناس معه وحبهم له وتمثل هذا الحب المشترك الى انجازات شعبية حقيقية ، وهناك انجاز له دلالته الواضحة بهذا الشأن ، اذ حول القسام الاحتفالات بالمناسبات الدينية من مجرد عادات يمارسها الناس دون ان يدركوا معانيها ، الى ايام لا تنسى ومدارس في الجهاد والدعوة اليه ، فانفرد «بتنظيم الاحتفال بعيد المولد النبوي في حيفا على نحو خاص ، اذ يحضر العامل البحري» «مصباح الصراوي» شختورته فتركب لها العجلات بالزينة ، وتتصدر موكب «طارق بن زياد» وهو يطوف شوارع المدينة من الصباح حتى العصر ، وتمر السفينة امام دائرة البوليس ، وخلفها الالاف وعلى رأسهم عمال البحر الذين يحضرهم «سرور برهم» بتكليف من القساميين وعمال السكك الحديدية وعمال البناء والحجارة ، فحينها كان للقسام نفوذ قوي في قواعد جمعية العمال العربية الفلسطينية . وأراد الموكب ان يشعر الناس بالخطر القادم ، مذكرا اياهم بمقولة طارق بن زياد الشهيرة : «البحر امامكم والعدو وراءكم»(١٦١) . ان هذا الشكل من الاحتفالات تفعيل لها لتكون طاقة جديدة مؤثرة ومحفزة للنهوض والتنبه للاخطار .

ان النتيجة المنطقية لكل ما ذكرناه سابقا من اقوال المعاصرين للقسام ، ومن افعاله هي تمتعه بشعبية واسعة ، واجتذابه قلوب الفقراء والعمال والفلاحين اليه ، وهذا بدوره يطرح سؤالا هاما ، سبق وان ناقشه العديدون ممن كتبوا عن الشيخ ، فهل كان القسام لا يؤمن بفعالية باقي الفئات كالاغنياء والمثقفين مثلا ؟؟

ان حياة الرجل تثبت ان علاقاته واتصالاته وارتباطاته لم تقتصر على فئة الفلاحين والعمال ، بل توسعت الى فئات اخرى ، فله علاقة وطيدة مع رجل حيفا المعروف آنذاك ، واحد شخصياتها الاولى رشيد الحاج ابراهيم* ، وكان من الاغنياء ومديرا لفرع البنك العربي فيها .

وكان من جماعته ، على ما يذكره القسامي ابراهيم الشيخ خليل ، المزارع الكبير والتاجر والمقاول(١٦٣) فلم تقتصر دعوته اذن على فئة دون فئة ، وجماعة دون جماعة ، الا انه مع هذا كان يرى الخير في الفلاحين لبساطتهم وقربهم الى الفطرة كما قرأنا في حواره مع الكرمي .

اما عن علاقته بالمثقفين فهناك تضارب في الاراء حول هذه النقطة ، فبينما يرى امين سعيد ان القسام اعتقد ان الخير في ان تكون حركته مقتصرة على العمال والفلاحين وحدهم لانهم اكثر الفئات انقيادا واستعدادا للتضحية ، لذا فان الحركة لم تتجاوز هاتين الفئتين الى باقي الفئات من التجار والشبان «ومنهم المثقفين»(١٦٤) .

يرى حنا عصفور ، وهو محامي من حيفا ، ومن الذين دافعوا عن رجال القسام امام القضاء ، ومن المحبين الذين يحضرون بعض الدروس ، يرى ان القسام حاول اجتذاب الطبقة المثقفة لكنه لم يستطع(١٦٥) .

وفي اعتقادي ان رأي حنا عصفور هو الاصح ، لانه من غير المعقول ان يقصر القسام ثورته على فئة دون اخرى مع حاجته لجميع الفئات . اما لماذا لم ينجح في اجتذاب المثقفين فربما يكون السبب انتماء غالبية

---

* رشيد الحاج ابراهيم : ولد عام ١٨٩٠م ، وهو من زعماء مدينة حيفا ، كان رئيسا للجمعية الاسلامية ثم رئيسا في جمعية الشبان المسلمين . وعضوا في المجلس البلدي عام ١٩٣٥م . وهو من مؤسسي حزب الاستقلال (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣) توفي في عمان سنة ١٩٥٣م ودفن في دمشق(١٦٢) .

المثقفين الفلسطينيين في تلك الفترة الى مدارس فكرية متأثرة في المنهج الغربي . وقد تخرج اغلب هؤلاء المثقفين من مدارس علمانية ـ لبرالية ، مما خلق هوة في التفكير بينهم و بين الشيخ عز الدين القسام الخريج الازهري وعالم الدين .

على ان كل ما قلناه سابقا عن شعبية القسام ، لا يعني ان الرجل كان لديه الاستعداد لمجاراة العامة والسكوت عن ظواهر التخلف والجهل بالدين ، وهي الظواهر التي كانت منتشرة في المجتمع الفلسطيني آنذاك ، ولدينا مما كتبه الشيخ القسام في جريدة الكرمل عام ١٩٢٥ ، وفي الكتاب الذي اصدره مع الشيخ كامل القصاب ، دليل على هذا النهج لديه . ففي شهر ايار سنة ١٩٢٥ ، اثيرت في حيفا مشكلة حول رأي فقهي للقسام ، اتخذه من رأوا فيه منافسا لهم حجة لمنعه من الخطابة والتدريس في جامع الاستقلال ، مستندين الى ان القسام اثار فتنة في المدينة لمخالفته ما جرت عليه عادة العامة من الناس من التهليل والتكبير بصوت مرتفع اثناء الجنائز ، وحدثت مشادة كلامية بين احد انصار القسام و بين آخرين تطورت الى ملاكمة وشجار اثناء السير بجنازة احد الموتى . وكتبت جريدة اليرموك آنذاك تتهم الشيخ القسام بأنه السبب فيما حدث من اختلاف الرأي في المدينة وانقسام الناس ، وقالت ان مجموعة من العقلاء خافوا ان يتوسع الخلاف ، فهرعوا الى دار مفتي حيفا وطلبوا اليه منع الشيخ القسام من الخطابة والتدريس خشية حدوث فتنة بين المسلمين ، فلبى المفتي رغبتهم ومنع الشيخ من الخطابة في المسجد(١٦٦) ، وكتب رئيس تحرير الجريدة «كمال عباس» مقالا طويلا على الصفحة الاولى ●هاجم فيه القسام واتهمه بالسعي خلف المناصب والشهرة ، وانه افتى بحرمة رفع الصوت في الجنازة ليظهر امام الملأ بمظهر العلماء الذين يحاربون البدع ، وليؤثر على البسطاء لسفسطته ليتبوأ معقداً من الزعامة الفارغة(١٦٧) .

وكتب الشيخ عز الدين القسام رداً اديبا وقويا في نفس الوقت وأرسله للجريدة المذكورة ، فرفضت نشره ، فما كان من الشيخ الا وأن أرسله الى جريدة الكرمل (حيفا)* ، فنشرت رد الشيخ القسام على كمال عباس ، ومن قراءة الرد** يتضح ان الذين اثاروا المشكلة في المدينة هم بعض الانتفاعيين الكسالى الذين اتخذوا ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم على القبور تجارة لهم ، وهم الذين لفقوا التهمة ضد القسام بسبب تعطيله على تكاسلهم بفتوى سابقة يحرم فيها اخذ الاجر المعلوم من جراء قراءة القرآن على القبور ، وساعدهم في التحريض ضد القسام من ارادوا الحد من نفوذه الشعبي ومكانته بين الناس عن طريق منعه من الخطابة والتدريس في جامع الاستقلال(١٦٨) .

و يبدو ان الخلاف حول الحكم الشرعي في مسألة رفع الصوت خلف الجنائز ، اخذ ابعاداً اخرى ، وتحول النقاش فيه الى خلاف بين علماء مدينتي حيفا وعكا . اذ سأل أحد المسلمين الشيخ كامل القصاب حول حكم الشريعة فيه ، فأجاب بأنه مكروه تحريما وانه بدعه قبيحة يجب انكارها وازالتها ، وتوجه الرجل بالسؤال الى الشيخ عبد الله الجزار قاضي عكا ومفتيها فأجاب بالجواز ، مما حدا بالسائل الى ان يرسل نص فتوى القصاب وفتوى الجزار الى الشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ محمود محمد خطاب وهما من علماء الازهر ، فأفتيا بأن رفع الصوت خلف الجنائز بدعة منكرة ، مؤيدين فتوى القصاب ، وقام الزنكلوني بنشر الفتوى على صفحات جريدة الشورى المصرية(١٦٩) . فقام الشيخ محمد صبحي خزيران رئيس كتاب المحكمة الشرعية في عكا بطباعة رسالة بعنوان «فصل الخطاب في الرد على الزنكلوني والقسام والقصاب» انتصر فيها لاستاذه الشيخ عبد الله الجزار ، وضمنها اتهاما لمخالفيه بالزيغ والضلال . و بعد أن نشرت الرسالة ، قام الشيخ

● انظر نص المقال في الملحق رقم ٤ ، في القسم الاول من الملاحق .

* كان صاحبها نجيب نصار ، وهو احد المعادين للصهيونية والمتنبهين لها من اوائل القرن العشرين .

** انظر الملحق رقم (٥) ، في القسم الاول من الملاحق .

القسام والشيخ القصاب بتأليف كتاب اسمياه «النقد والبيان في دفع اوهام خزيران» وطبعاه على نفقتهما في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٢٥ ، وذكر المؤلفان في المقدمة ان الدافع وراء تأليف الكتاب هو الانتصار للدين وحفظا لشريعة سيد المرسلين(١٧٠) .

وذكرا أن السبب الحقيقي وراء فتوى الجزار وخزيران هو «على غالب الظن بغية المحافظة على مكانتهما الوهمية بين العامة حذرا من ان ينفر منهما رعاع الناس الذين اتخذوا الدين متجرا لو افتيا بالحق الذي يصادم منفعة اولئك المبتدعين»(١٧١) .

وهذه الجملة تدل على ان القسام اعتبر الشريعة الاسلامية فوق اهواء عامة الناس وميولهم ، ورغم انه كرجل مجاهد يهيىء الشعب لمواجهة مسلحة مع المستعمرين الا انه لا يتنازل عن الفكرة الحق والفكرة الصواب ، مقابل ان يرضى عنه الناس ، و يتبعوه فتزيد شعبيته ومكانته الاجتماعية ، ولهذا فهو ينعى على الجزار وخزيران اتباعهما مثل هذا المنهج الخاطىء .

يعطي الكتاب ككل فكرة اخرى تصلح شاهدا على فكر القسام ، فالمؤلفان يعتقدان ان اصلاح حال المجتمع بدفع المفاسد وجلب للنافع بواسطة تطبيق الشريعة الاسلامية يؤدي الى اهلية المسلمين لقيادة العالم* .

حسب ما يورد علي خلف فان الحاج خليل طه واعوانه قاموا بشراء كتاب القسام والقصاب من الاسواق وحرقوه(١٧٢) ، لمخالفته آرائهم في بعض المسائل** .

(٤ ـ ٦) خاصية الثورية :

ملئت حقيقة الاسلام نفس القسام فأخرجته شخصية قو ية العزم والايمان والاخلاص لله والحق ، فكان لا يفتر عن الجهاد بلسانه و يده ، «يجهر بالاستنكار لكل بدعة في الدين ولكل توقح على الحق ، وما برح هذا شأنه في العهد التركي»(١٧٣) ، وجاهد بسلاحه المستعمر الفرنسي في سوريا ، ثم اكره على الخروج الى فلسطين فبقي سائراً على نفس الخط ومنتهجا ذات السبيل والنهج ، واعتقد ان العرب اذا كانوا عربا فلا سبيل لهم الا السلاح ، والثورة بمفهومه هي الثورة التي تأكل الاخضر واليابس ، واعتقد كذلك انه لا حل لمشكلة فلسطين الا عن طريق الجهاد الاسلامي ، وقد وصفه صديقا له بقوله : «هذا الرجل كانت عنده النعم نعم ، واللا لديه لا»(١٧٤) . وكان ايمانه بالعمل يفوق كل ايمان ، وقد سئل مرة ان يخطب في حفلة لجمعية الشبان المسلمين في حيفا ، فلم يزد ان قال : جاء دور العمل فلنعمل»(١٧٥) ، ولم تكن اقواله وخطاباته لتخرج عن مجال التحضير والتحفيز على العمل . وطلب مرة للتحقيق حول تركيزه على : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

---

* لن نستطرد في الحديث عن الكتاب ومحتو ياته ، وانما نكتفي بايراد ملخص شديد له ، فالكتاب ينقل اراء علماء المذاهب الاربعة (الحنفي ، الشافعي ، المالكي والحنبلي) ، من كتب الفقه المعتمدة لكل مذهب ، وجميع النصوص الواردة في الكتاب تثبت حرمة رفع الصوت خلف الجنائز وتشنع على فاعلها ، بعدها يبدأ المؤلفان بتنفيذ اراء خزيران الواردة في رسالته ، ثم ينقلان فتاوى مؤيدة لفتواهما ، اهمها فتوى الشيخ محمد نجيب المطيعي الحسني مفتي الديار المصرية .

** يخطىء الباحث علي خلف حين يعتبر ان الكتاب ضد الطرق الصوفية ، فهو في الحقيقة لا يذكر الصوفية وطرقها الا مروراً ودون ان يهاجمها . كما ان بعض الكتب التي يستند اليها المؤلفان في الرد على رسالة خزيران هي لعلماء من الصوفية مثل الامام النووي .

رباط الخيل» في احدى خطبه ، وحين اجاب المحققين قال ان الاية جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم وان واجبه يحتم على شرح هذه الاية الكريمة في ظل الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد(١٧٦) .

وروت ابنته ميمنة حادثة حصلت بينها و بينه ، وللحادثة دلالتها في هذا المجال ، اذ رأته ذات صباح مهتاجا هياجا شديدا و يردد اشعارا حماسية حربية ، فخشيت من مغبة هذا الهياج ونتيجته فقالت له : «ان الطرق السلمية هي خير طريق يمكن ان يسلكه شعب اعزل كشعبنا ، لان القوة يجب ان تجابهها قوة مثلها ، ونحن لا قوة لدينا ولا مال ، فالاحسن ان نسعى الى حقنا بالطرق السلمية» ، وتصف ميمنة حالة ابيها قائلة : «ولكن الشهيد لم يتركني اتمم حديثي بل صاح بصوته الجهوري : «اصمتي يا ميمنة» ، ثم اطرق برهة رفع بعدها رأسه وانشد وهو ينظر الي نظرة ذات معنى :

واعلم ان عليك العار تلبسه من عظة الكلب لا من عضة الاسد»(١٧٧)

ان ثورية القسام وتشبعه بروح الجهاد جعلته اول ثائر في فلسطين يتحلى بالوعي و يتحمل مسؤوليته كعالم مسلم في قيادة المجاهدين فكان اول من اسس تنظيما مسلحا لقتال اليهود والانجليز ، وقد صدقت فيه كلمات عجاج نو يهض : «كان القسام اول ثائر من نوع جديد ، لو عرفته فلسطين من اول عهد الانتداب لتغير مجرى تاريخ العرب في فلسطين ولما كانت سنة ١٩٤٨»(١٧٨) . وكتب احمد الشقيري عن روح الجهاد عنده قائلا : لو ان قادة العرب استلهموا روح القسام في عام ١٩٤٨ لما وقعت الكارثة الاولى ، ولو انهم استلهموها في عام ١٩٦٧ لما وقعت الكارثة الثانية(١٧٩) . وفي مجمل تطور حركة الشيخ دليل على هذا الرأي ، فقد كانت استجابته لتمادي اطراف التحالف الغربي – اليهودي في الاعتداء على الارض والشعب الفلسطيني ، هي الاستجابة المطلوبة وهي الفعل الحقيقي القادر على رد العدوان ، ولولا قلة عدد رجاله مقارنة مع ضخامة قوة الاعداء وقلة سلاحهم ، لكان للقسام دور اخر في فلسطين .

ظروف الحركة عام ١٩٣٥ ، ودوافع معركة يعبد :

سبق وان اشرنا الى توقف حركة القسام عن نشاطها العسكري اواخر عام ١٩٣٢ بعد اعدام مصطفى الاحمد في اعقاب كشف منفذي الهجوم على مستعمرة نهلال ، واستمرت حالة السكون عند القسام حتى اوائل عام ١٩٣٥ ، و يبدو ان الظروف الصعبة التي اخذت تمر بها البلاد في تلك الاعوام هي التي دفعت الشيخ للعودة الى العمل مجددا مع علمه بشدة المراقبة البوليسية على تحركاته ، فقد دخل فلسطين خلال عام ١٩٣٤ وما قبله حوالي ٤٢٫٣٥٩ يهودي ، استوطنوا باشراف الحكومة ومباركتها ، ناهيك عن الاعداد التي دخلت بهجرة غير شرعية . وامتلك اليهود مع بداية العام نفسه ٦٢٫١١٤ دونم من الاراضي الفلسطينية تسربت اليهم عن طريق الحكومة والسماسرة ، وكان هذا يعني المزيد من التشريد للفلاحين وتهديد اخرين بقرب تشريدهم .

اعاد القسام في بداية عام ١٩٣٥ اتصاله مع جمعية الشبان المسلمين في صفورية ، وارسل اليهم خمس بنادق وعدة قنابل ، واوعز الى المجاهدين هناك بالانتظار الى ان تصل اوامر اخرى بتنفيذ العمل(١٨٠) ، وحين حضر مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في شهر كانون الثاني ١٩٣٥ ، ناقش في لقاء سري مع عدد من العلماء

ومنهم المفتي ضرورة تنفيذ اعمال مسلحة ضد اليهود والانجليز، وقد عارض جميعهم مقترحاته ما عدا المفتي*(١٨١) .

واستمر القسام في اختيار العناصر الشابة للجهاد ، وذكر في احدى الاجتماعات «خلال كانون الثاني سنة ١٩٣٥» ان ما يزيد عن مائتين من الشباب الجيدين قد انتظموا عنده في المنظمة السرية(١٨٣) . وارسل في السنة ذاتها و بمعرفة رشيد الحاج ابراهيم وصبحي الخضرة** ارسل المجاهد حسن ابراهيم البايراني الى تركيا ، فجلب معه من هناك ضابطا تركيا معروفا ، وكان هذا الضابط قد عمل على تنظيم المجموعات العسكرية في تركيا قبل صعود مصطفى كمال الى الحكم ، وحين وصل فلسطين عينه القسام مرشدا لعصبته ، وحدد له راتبا شهريا(١٨٤) ، و يشير كوهين المسؤول في الوكالة اليهودية الى وصول معلومات ، منذ مطلع عام ١٩٣٥ ، حول وجود تنظيمات سرية في شمال فلسطين تقوم بالتدرب على السلاح من قبل ضباط خدموا في الجيش التركي او ضباط كان لهم دور في الثورة العربية في عهد فيصل .

لم يتوفر لدينا معلومات تتحدث عن نشاط القسام خلال الفترة التي تلي مطلع سنة ١٩٣٥ وحتى شهر اكتوبر ، وهو الشهر الذي قرر فيه الشيخ عز الدين الخروج من حيفا الى القرى والدعوة الى الثورة علانية . وقبل ان ندخل في تفاصيل الخروج ، لابد من ذكر الدوافع الاساسية خلفه .

دوافع الخروج : يمكن تلخيص اهم دوافع اعلان الثورة بما يلي :

١ ــ ازدياد الهجرة اليهودية واتساع مساحة الاراضي التي استولى عليها اليهود .

٢ ــ وصول الحركة الوطنية الفلسطينية الى حالة يرثى لها من الخلافات والمهاترات الحزبية ، و بالذات بين انصار المفتي الحاج امين الحسيني «الحزب العربي الفلسطيني» ، وانصار راغب النشاشيبي «حزب الدفاع» ، ولم يكن بعد احداث ١٩٣٣ والاضرابات التي حصلت فيها اي نضالات تذكر ، وقد وصف عجاج نو يهض وضع الحركة الوطنية قبل ثورة القسام في مقال نشره في ١٩٣٦/١/٥ فقال فيه : ان نار القومية «ظلت سنتين طو يلتين هاجعة ، راقدة راكدة ، مسلمة ، مستسلمة للغاصب المحتل ، تتلهى بالقشور والاعراض ، وتدار بيد صاحب السلطان كما تدار الكرة بيد اللاعب ، حتى اقسم القسام يمينه هو واخوانه ، وتقلد سلاحه ولقي وجه ر به في يعبد»(١٨٦) .

وكتب احمد الشقيري في مذكراته عن الوضع قائلا : «وقد مضت بضعة شهور والبلاد تترنح بين دعوات الاحزاب ومهاتراتها حتى اقبل عام ١٩٣٥ ، وانطلقت دعوة الثورة والجهاد على يد عالم جليل ومجاهد كبير خط بدمه الزكي صفحة جديدة في تاريخ الكفاح»(١٨٧) .

---

* في حوار دار بين القسام و بين بعض العلماء ، لامهم على تهاونهم في الدعوة الى الجهاد ، وحملهم مسؤولية الوضع الجائر الذي تنوء فلسطين تحت اثقاله ، ثم قال لهم : لقد كانت اكوار العمائم في صدر الاسلام تنزف دما عبيطا ، اما الان فهي لا ترشح الا قيحا وصديدا(١٨٢) .

** صبحي الخضرة : ولد في صفد وتعلم في مدارسها ، واصله من المغرب وفدت عائلته الى صفد قبل مئات السنين ، اكمل تحصيله العلمي في المدرسة السلطانية العثمانية في بيروت ، وجند عام ١٩١٤ مع الجيش العثماني للمشاركة في الحرب الاولى ، ثم دخل الكلية الصلاحية في القدس التي انشاها جمال باشا ، وعند نشوب الثورة العربية ١٩١٦ فر من الجيش العثماني والتحق في صفوفها وكان مع جيش فيصل الذي دخل دمشق ١٩١٨ . حكم عليه بالاعدام بعد سقوط حكومة فيصل ، فعاد الى فلسطين ١٩٢٠ ، وعمل مديرا للاوقاف الاسلامية في شمال فلسطين(١٨٥) ، عرف بمشاركته في ثورات فلسطين قبل النكبة ، وكان من اصدقاء القسام المقربين .

٣ ــ خشي القسام من اعتقاله او اعتقال النخبة الصالحة من اخوانه بعد ان رأى شدة ملاحظة الانجليز له ومراقبتهم لتحركاته . يقول ابراهيم الشيخ خليل مؤكدا هذا السبب :

«في اوائل ١٩٣٥ رأى القائد ان المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة ، وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من اخوانه و يفسد جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين ، وكان يرى الخروج للجبال والطواف بالقرى ، وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة» . (انظر مجلة شؤون فلسطينية العدد السابع ، ص ٢٦٧) .

وفي معرض رد القسامي حسن شبلاق على سؤال وجه اليه : لماذا خرج القسام يومذاك ؟؟

قال شبلاق : «خاف ان يعتقل ، فخرج الى الجبل» . (رابع القيادات والمؤسسات السياسية ، ص ٣٢٦) .

وفي هذا تأكيد من معاصري الاحداث ومن القريبين من الشيخ ان الحركة كانت في وضع حرج وكانت معرضة لضربة من الانجليز قبل ان يكون لديها المجال للدفاع عن وجودها ، واحساس القسام بهذا الامر دفعه لاتخاذ قرار الخروج .

٤ ــ تهريب الاسلحة لليهود :

وكان هذا العامل من اشد العوامل تاثيرا وتحفيزا على اعلان الثورة ، فقد تم اكتشاف عملية تهريب ضخمة للاسلحة الحديثة مرسلة لليهود عن طريق ميناء يافا ، وكان هذا بتاريخ ١٦/١٠/١٩٣٥ ، وقد اجمعت المصادر التاريخية على كون هذا الحادث من اقوى دوافع ثورة القسام ، واشار القسامي عربي البدوي الى ان الشيخ القسام قال بعد اكتشاف الاسلحة المهربة : «اذا لم نهاجم اليهود فانهم سوف يهاجموننا»(١٨٨) .

اما تفاصيل الحادثة فان السفينة «ليوبولد الثاني» والتي رست في ميناء يافا في ١٦/اكتوبر ١٩٣٥ ، والتي كانت تحمل بضاعة قيل انها ٥٣٧ برميلا من الاسمنت ، لم تكن في حقيقتها سوى احدى الوسائل التي استعملها اليهود لتهريب السلاح الى فلسطين . وتبين اثناء انزال الاسمنت البلجيكي !! المرسل من بلجيكا الى المدعو أ. كاتان من تل ابيب ، ان البراميل تحوي كمية قليلة من الاسمنت تشكل غطاء تمو يهيا لالاف المسدسات والبنادق ، وعشرات الرشاشات والكميات الهائلة من الرصاص . فعندما انكسر احد البراميل نتيجة لوقوعه على الارض لوحظ ان محتواه هو السلاح وليس الاسمنت . فقامت ادارة الميناء باعادة الكمية التي كانت قد وضعت في المخازن تمهيدا لتسليمها لكاتان واجرت عملية تفتيش تبين بعدها ان «٣٥٩» برميلا من اصل «٥٣٧» تحتوي اسلحة وذخيرة(١٨٩) وقدر عدد البراميل التي وصلت ميناء يافا قبل هذه الحادثة و بحجة احتوائها على الاسمنت بـ«١٦٦٦» برميلا(١٩٠) ، اي انه دخل البلاد كميات هائلة من الاسلحة لليهود دون ان يدري بها احد .

وكانت قد اكتشفت في عام ١٩٣٠ طريقة اخرى استعملها اليهود لتهريب الاسلحة ، وهي ارسالها في صناديق حديدية لحفظ الاموال ، و وصلت هذه الصناديق الى ميناء حيفا ، وحين فتحت الصناديق وجد بها مئات البنادق والاف الخراطيش ، ولم يكن موقف السلطات البريطانية ليبتعد كثيرا عن جوهر وعد بلفور ، فبعد ان اعتقلت اليهودي المرسلة باسمه وموظف الجمارك الضالع بالتهريب ، عادت واطلقت سراحهما ثم اقفلت الملف . وفي عام ١٩٣١ قامت السلطات البريطانية بتسليح المستعمرات اليهودية ، واباحت لسكانها التمرين عليها ، وحين عقد في نابلس مؤتمر لمعالجة تسلح اليهود ، قبضت الحكومة على بعض المشاركين في المؤتمر ، وحظرت على الصحف ذكر كلمة سلاح او تسليح مما اضطرها الى الاضراب اسبوعا(١٩١) .

احدث انكشاف امر براميل الاسمنت دو يا هائلا في فلسطين من اقصاها الى اقصاها ، ودعا الحاج امين الحسيني الاحزاب الفلسطينية الى الائتلاف في ظل هذا الوضع الخطير على مستقبل البلاد ، وفعلا تشكلت لجنة موحدة للاحزاب في ٢١/١٠/١٩٣٥ ، ضمت رؤساء جميع الاحزاب باستثناء حزب الاستقلال الذي كان

مجمدا وقتها . وقابلت لجنة الاحزاب المندوب السامي وطالبته بسحب الاسلحة من المستوطنات اليهودية ، ومواصلة التحقيق للقبض على المهربين وشركائهم ، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع ادخال السلاح في المستقبل ، بالاضافة الى انشاء حاميات عربية لحراسة السواحل . ووقفت الاحزاب عند حد هذه المطالب وبقيت تنتظر رد المندوب السامي البريطاني عليها . وقد شنت الصحافة اليهودية حملة على هذه المطالب ، واقترحت على الحكومة وضع حد للتحرك العربي الجديد . الا ان ائتلاف الاحزاب وكل هذا التحرك العربي الذي ارعب اليهود لم يسفر سوى عن طلب مهين تقدمت به اللجنة من المندوب السامي بالسماح لها باعلان الاضراب في فلسطين في ٢٦/١٠/١٩٣٥ . ولكن المندوب رفض الطلب لتتوسع الهوة بين الجماهير الغاضبة وبين الزعامات المستكينة ، فزادت حراجة موقف الاحزاب امام الجماهير بعد الرفض البريطاني للاضراب .

قرار الخروج :

وجد الشيخ عز الدين القسام في حادثة التعريب وما حصل من غضب جماهيري عام ، الفرصة الملائمة لاعلان الثورة ضد الانجليز ، وحين طرح الشيخ موضوع اعلان الثورة على اصدقائه المقربين امثال رشيد الحاج ابراهيم ، كان ردهم انه لمن المفضل انتظار رد المندوب السامي على مطالب الاحزاب العربية بالنسبة لاكتشاف الاسلحة في يافا ، الا ان الشيخ رأى ضرورة عدم فقدان هذه الفرصة وانه يجب القيام فورا بما من شأنه زعزعة الانجليز واليهود سوية . وقرر العمل لوحده(١٩٢) . فابتدأ بتهيئة اهل بيته وزوجته لخروجه ، «فكان يقول لزوجته كلاما يهيأها به لتلقي الصدمة اذا بلغها خبر مصرعه . واستقرض منها كل ما كان معها من مال ومصاغ وحلي واشترى به سلاحا»(١٩٣) ثم بدأ بجمع اتباعه من المجاهدين ، والتحدث معهم بشأن قراره اعلان الثورة ، يقول عربي البدوي : «قبل الخروج كنا لمدة اسبوع نتباحث ، ونجتمع في بيوت متفرقة ، واخيرا قررنا الخروج» . وارسل القسام حسن الباير الى «ابو ابراهيم الكبير» ليستشيره في الامر ، وكان ابو ابراهيم قد خرج من السجن ، بعد ان امضى فترة في المعتقل بسبب حادثة نهلال ، و يصف ابو ابراهيم خروج القسام للثورة واتصاله به فيقول : «كان الشيخ (القسام) قد اعد جماعة غيرنا (الذين سجنوا بعد نهلال) ، واتفق معهم على الخروج الى الثورة ، وكنت ذات يوم في البيت عندما جاءني قبل الغياب حسن الباير ، ومن الذين هيأهم الشيخ بعد سجننا ، قال حسن الباير ارسلني لك الشيخ في خبر ، قلت ما هو ؟ قال : ان الشيخ يريد رأيك في الخروج ، قلت : عندما يقرر الشيخ شيئا فعلينا التنفيذ . قال : ولكنه يريد رأيك . فلم اعطه رأيي» وعلل ذلك بقوله : «لاننا كنا تلاميذه» ، ثم اضاف : «ولقد عاد الباير واخبر الشيخ بما حصل ، وقال الشيخ : نصلي غدا في جامع الحاج عبد الله (من جوامع حيفا) ، ونرى ابا ابراهيم ، وفي الفجر التقينا في الجامع وصلينا الفجر ، واجتمعنا في غرفة هناك . قال الشيخ : نريد الخروج فما رأيك ؟ قلت : ليس لي رأي . ولكن الشيخ امر علي فقلت له : فما رأيك ؟ قلت : ليس لي رأي . ولكن الشيخ امر علي فقلت له : يا شيخ ماذا لدينا من السلاح؟

نحن خارجون لاعلان ثورة ، وهذا يحتاج الى السلاح والمال ، والثورة تحتاج الى ذخائر كل يوم ، والى مصروفات كل يوم ، فماذا لدينا من كل ذلك ؟

قال :ليس عندنا من الذخائر والسلاح الا ما في ايدينا ، قلت : اننا بما في ايدينا لا نستطيع الوقوف في وجه الانجليز ، فعلينا الاستمرار في عملنا كما هو الان ؟ اي الاستمرار بالغارات ليلا والعمل نهارا .

قال : نحن لا نريد ان نعلن الثورة* ، انما نريد ان نتسلح ونخرج الى القرى ، كي نحثها ونحضها على الجهاد .

---

* اي منذ اول يوم من خروجنا ، لان الهدف من خروج القسام بالاساس هو اعلان الثورة .

قلت : ولكن يا شيخ ان الجواسيس لن يتركونا .

قال : سنكون حذرين ، واردف : سنخرج نحن والجماعة اما انتم فعليكم ان تبقوا حيث انتم (في حيفا) لكي تساعدوننا»(١٩٤) .

كان من افراد المجموعة الذين قرروا الخروج للجهاد ، محمد ابو قاسم خلف ، الذي باع في الخامس من تشرين الثاني ١٩٣٥/١١/٥ ، كل اغراضه ، وودع زميله في الشقة بالقبلات ، وعندما سأله الى اين سيتجه ؟ قال : انه سيذهب الى الموت في سبيل الوطن ؟ وحين سخر زميله منه قال محمد : لا تضحك بعد اسبوع ستصلك الاخبار(١٩٥) . اما عطيفة احمد المصري* فكان «قد استصنع لزوجه اساور من ذهب بنحو ٨٠ جنيها مما اقتصده من مياومته ، فلما دعاه داعي الجهاد لبى بنفسه ونفيسه ، وسلت الاساور من يدي زوجته و باعها واشترى بأثمانها بضع بندقيات له ولاخوانه المجاهدين وترك زوجته حاملا(١٩٦) . وهو من كان قبل تعرفه بالقسام من المنحرفين بتعاطي المخدرات وتهريبها .

ولاستكمال لوازم الثورة وشراء الاسلحة ، ارسل الشيخ القسام رسالة الى الحاج امين الحسيني بواسطة محمود سالم المخزومي قال له فيها : «الامور لا تطاق ، واليهود يتسلحون ، وقد اصبح الجهاد فرض واعلانه فرض ، وانا سأقوم باعلان الجهاد . وانت عليك كرئيس للمجلس الاسلامي الاعلى وحسب امكانياتك وميزانية الاوقاف ان تمدنا بثمن الاسلحة»(١٩٧) . يقول البدوي ان الحاج امين ارسل مبلغا من المال للقسام ، دون ان يبادر الى اعلان الثورة في منطقة الوسط حيث كان نفوذه القوي و بعد هذه الاستعدادات ، استقال القسام من رئاسة جمعية الشبان المسلمين بحيفا(١٩٨) . ثم وقف للمرة الاخيرة خطيبا في جامع الاستقلال ، «وخطب في جمع من المصلين وفسر لهم الاية الكريمة : «الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم اول مرة . اتخشونهم ؟ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين» (التوبة ١٣ ــ ١٤) «وكان في صوته تهدج وحماسة وفي نبراته رنين الم ممض، وفي عينيه بريق من بأس وقوة»(١٩٩) .

ولا زالت ذاكرة يوسف الشايب الذي استمع الى الخطاب الاخير تحفظ لنا اخر كلمات قالها القسام في خطبته «ايها الناس : لقد علمتكم امور دينكم ، حتى صار كل واحد منكم عالما بها ، وعلمتكم امور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . فالى الجهاد ايها المسلمون ، الى الجهاد ايها المسلمون»(٢٠٠) و يكمل الصورة لدينا رجل اخر كتب في دفتره معلومات عن الشهيد القسام ، نشر بعضا منها عام ١٩٣٦ ، ومما قاله بعد ان اورد جوهر الخطبة الاخيرة (كما سبق وذكر في الصفحات السابقة) ان القسام «ما ان انهى خطابه حتى كان الحاضرون قد اجهشوا بالبكاء وأقبلوا على يديه يقبلونهما وعاهدوه على القتال في سبيل الله . و بعد ساعة من القاء الخطبة اخذت السلطة تفتش عن الشيخ القسام للقبض عليه ومحاكمته ولكنه كان قد ودع اهله وعشيرته ، وحمل بندقيته وذهب وصحبه الى الجبال ليجاهدوا وليستشهدوا»(٢٠١) و يؤكد الشايب خروج القسام واختفائه بعد هذه الخطبة* ، و يضيف ان سيارة كانت تنتظره خارج المسجد لم

---

* هناك اسماء مختلفة ذكرت لهذا المجاهد منها ما ذكره عبد الله مخلص في الرابطة العربية ان اسمه حنفي عطية احمد ، و بعضها ذكر احمد عطيطه المصري كجريدة الاهرام . والبعض ذكر احمد عطيفة . والراجح حسب ما نشر في الصحف الفلسطينية وقتها وحسب ذاكرة عربي البدوي ان اسمه عطيفة احمد المصري .

* اختلفت المراجع التاريخية في تحديد تاريخ خروج القسام من حيفا ، فقد ذكر صبحي ياسين (الثورة العربية) وعرفات حجازي (فلسطين ــ ارض البطولات) انه خرج في ١٩٣٥/١١/١٢(٢٠٢) وذكر اهرون كوهين (احداث تشرين الثاني) ان المجموعة تركت حيفا في ١٩٣٥/١١/٧(٢٠٤) ، وهناك مصدر معاصر ذكر ان الخروج كان في منتصف شهر اكتوبر(٢٠٥) واكد كامل خله كون الخروج حصل في اكتوبر ، وقال انه ربما خرج في ليلة ٢٧/٢٦ منه(٢٠٦) ، بينما ذكر البلاغ الرسمي البريطاني التاريخ على انه منذ بداية شهر تشرين الثاني (١١) وجاء في جريدة الجامعة الاسلامية على لسان المجاهد نمر السعدي ان الجماعة تركت حيفا قبل ١١/٢٠ بشهر تقريبا(٢٠٧) .

يشاهد مرة اخرى بحيفا بعد ركوبه فيها .

وكتب القسام قبل مغادرته حيفا لرشيد الحاج ابراهيم يقول : «انني واثق من نفسي وان صوتي سيجد صداه في كل مكان عند اول صيحة ، ونستودعك الله راجين من المولى تعالى ان يوفقنا في اعمالنا في سبيل الوطن»(٢٠٢) .

الطريق الى يعبد :

غادر حيفا مع الشيخ عز الدين مجموعة من المجاهدين ، لم تتفق المصادر التاريخية على تحديد عددهم ، ولكن استنادا الى ذاكرة عربي البدوي ومن خلال جرد الصحف الفلسطينية في تلك الفترة ، نستطيع تحديد التالية اسماؤهم ضمن الذين تركوا المدينة ورافقوا الشيخ :

١ ـ	يوسف عبد الله الزيباوي	من قرية الزيب
٢ ـ	عطيفة احمد المصري	من سكان حيفا واصله من مصر
٣ ـ	محمد ابو قاسم خلف	اصله من قرية حلحول
٤ ـ	نمر السعدي	من شفاعمرو
٥ ـ	حسن الباير	من برقين
٦ ـ	احمد الحاج عبد الرحمن حسن	من عنبتا
٧ ـ	محمد يوسف	من سولم
٨ ـ	اسعد مفلح الحسين	من ام الفحم
٩ ـ	محمود سالم	من سكان زرعين
١٠ ـ	صالح اسعد	من صفورية
١١ ـ	داود خطاب	من الكبابير
١٢ ـ	معروف الحاج جابر	من يعبد
١٣ ـ	يوسف ابو درة	من سيلة الحارثية
١٤ ـ	داود الشيخ احمد	من بيتا
١٥ ـ	الحاج احمد الخليل	
١٦ ـ	عربي بدوي	من قبلان

وكما يلاحظ فان المجاهدين ينتمون الى عدة قرى تنتشر في قضاء جنين وسهل مرج بن عامر ، ولعل القسام قصد من خروج هؤلاء معه ، تسهيل عملية الطواف في القرى مع تجميع الرجال وتسليحهم ثم بعد استكمال الاستعدادات مهاجمة مدينة حيفا واحتلالها(٢٠٨) . و ينقل صبحي ياسين عن مجموعة من اخوان القسام القياديين بأن القيادة المجاهدة قررت ان تبدأ المعركة الاولى باحتلال حيفا اكبر ميناء فلسطيني ، ومنطقة الصناعات البترولية ، بقصد احراز مكسب عسكري كبير يكون حافزا للجماهير العربية للالتحاق بالثورة منذ بدايتها ، ثم لارهاب السلطات البريطانية منذ الضربة الاولى واشعار الصهيونية بقوة الثورة ، و يضيف ياسين «بأنه جرى للخطة دراسة كاملة ، واحصاء لقوات بريطانيا ، واسلحتها ــ انواعها وكمياتها ــ فقدروا ان باستطاعتهم الاحتفاظ بالمدينة لمدة ثلاثة ايام»(٢٠٩)* .

*يزيل هذا التوضيح من ياسين حول خطة القسام وهدفه احتلال حيفا ، يزيل الدهشة لدى الدكتور كامل خلة ، الذي اعتبر امر احتلال حيفا مشكوكا فيه لان القسام عاش في حيفا نحو اربع عشرة سنة ، شهد فيها اتساعها وتحولها الى ميناء فلسطين الاول ، كما شهد تحولها الى قاعدة حربية بريطانية ، ترسو فيها باستمرار ، بعد ==

توجهت المجموعة من حيفا الى نورس حيث كان ينتظرهم هناك الشيخ فرحان السعدي(٢١١) ، و يقال بان القسام في البداية اخذ رفاقه الى «عين جالود» حيث وقعت المعركة الفاصلة بين المغول بقيادة نائب هولاكو «كتبغا» و بين المسلمين بقيادة الظاهر بيبرس ، وهناك قال لهم «الله اكبر و باسم الله ، نبدأ ثورتنا ضد الانجليز من هذا المكان التاريخي»(٢١٢) . ثم توجه بهم نحو نورس وهناك اقاموا في مغارة تقع في احدى جبال القرية . «بناء على ما ذكره ابو ابراهيم الكبير» خلال الفترة الاولى هذه لم يكن عربي البدوي مع المجموعة والسبب حسب روايته يعود الى والده ، يقول عربي : «اتى ابي الى حيفا (قبل خروج المجموعة) ، فأدركت انه سيمنعني من الخروج ، كنت لا اريد السلام عليه او مقابلته ، وحدثت الشيخ عز الدين بالموضوع ، فأمرني باستقبال والدي والسلام عليه ، وقال لي اذا اعترضك فاحضره لعندي ، و بمجرد مقابلتي له طلب مني ان يقابل القسام ، وعندما قابله اقنعه الشيخ عز الدين بعدم الاعتراض على رغبتي ، فطلب ابي من الشيخ ان يسمح لي بالذهاب الى قبلان لكي اودع امي واخوتي» . وذهب عربي الى قريته بعد ان تواعد مع الشيخ على اللقاء في قرية كفر دان المحطة التالية للمجموعة .

خلال الفترة التي عملت المجموعة فيها دون وجود «عربي» معها ، ذكرت عدت مصادر روايات مختلفة عن مسار الاحداث وتتابعها ، وغياب «عربي» يجعلنا غير قادرين على تأكيد صحة رواية معينة ، وان كان هذا لا ينفي امكانية الترجيح .

اولى هذه الروايات ما كتبه «اهرون كوهين» اذ يقول انه في السابع من تشرين الثاني توجه القسام مع المجموعة «وهي حسب معلوماته مكونة من سبعة افراد» الى قرية فقوعة ومكثوا هناك ساعة واحدة ، بدل خلالها محمود سالم ملابسه مع رجل من فقوعه ، ومن هناك توجهوا الى جبل فقوعه و وضعوا حاجياتهم في مغارة تقع على الجبل «قد تكون هي نفس المغارة المذكورة في اقوال ابو ابراهيم الكبير والتي تقع قرب نورس ، لان فقوعة ونورس تقعان على جبال واحدة هي جبال فقوعه» ، و بعد دخول الظلام بساعة واحدة اطلقوا عشر رصاصات في الهواء بقصد اخراج رجال «كيبوتسات هحوجيم» من بيوتهم وايقاع عدد من الضحايا في صفوفهم . لكن نتيجة لعدم خروج احد ، نزلوا الى بيارة عين حارودة «عين جالود» ، وقطفوا «كريبفروت» ونثروا الثمر في الطريق الذي يؤدي الى المغارة المعدة لنومهم . توقعا منهم ان رجال المستوطنة سيصعدون بأنفسهم الى الجبل للبحث عن قاطفي الثمار دون اللجوء الى الشرطة لانهم يعتقدون ان هؤلاء الموسكو بيون «الطلائعيون» يحبون الصدام مع العرب بأنفسهم .

وحين صعد «موشيه روزنفلد» برفقة شرطي عربي الى جبل فقوعة ، مر عن اثنين من اعضاء الجماعة اللذان كانا جالسان في ظل شجرة ، و بعد ذلك اقترب من اربعة آخرين كانوا مسلحين و يقفون بجانب عين الماء ، وقد اعتقدوا في اللحظة الاولى انه انجليزي ، و بعد تبادل بعض الكلمات القصيرة عرفوا انه يهودي فأطلقوا النار عليه»(٢١٣) .

الرواية الثانية تقول ان الجماعة اعدت كمينا للشاو يش روزنفلد بتدبيرها عملية قطف الثمار من المزروعات التابعة للمستعمرة ، وعندما وصل روزنفلد الى المغارة ، سقط في الكمين وتم اغتياله .

وتبين حسب تحقيقات الشرطة التي اجريت بعد مقتل «روزنفلد» وجود الشيخ القسام ومحمود سالم وشخص ثالث من قرية «زرعين» اثناء عملية الاغتيال ، حيث عقدوا فيها اجتماعا ، قرروا فيه اغتيال شخصيات يهودية عديدة بينها «روزنفلد» ، وكذلك مهاجمة «١٥» مستعمرة يهودية ، وعندما سمع القسام حادث الاغتيال غضب لتلك الخطوة التي كانت متسرعة وتتناقض مع خطته . وقد عرف القسام انه اذا عاد

= سبتمبر «ايلول» ١٩٣٥ ، بوارج حربية بريطانية فكيف يعقل ان يقدم على احتلال المدينة ، وهو يعلم ان ما جنده للحركة لا يزيد على ٢٠٠ رجل مقاتل ؟(٢١٠) .

الى حيفا فسيتم القبض عليه ومحاكمته بتهمة الاغتيال ، لهذا فليس امامه الان الا المواجهة المكشوفة مع القوات الحكومية بعد ان افسدت عملية الاغتيال خططه(٢١٤) .

الرواية الثالثة رواها خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير» ، وهو ضمن المجموعة التى بقيت في حيفا ، و يصف فيها ما حدث بقوله : «في احدى الليالي هاجم مجهولون احدى المستعمرات ، ومروا اثناء رجوعهم بالقرب من مركز الشيخ «في مغارة نورس» . وفي الصباح مرت دورية من ثلاثة اشخاص : انجليزي و يهودي وعربي ، مع كلب اثر . فما كان من محمود سالم الا ان اطلق النار ، فقتل الشاو يش (اليهودي)* . وعندما سمع الشيخ اطلاق النار ، استفسر عن السبب ، فأخبر بما جرى ، فنادى جماعته وقال لهم : لنرحل على الفور ، حتى لا نصطدم بالقوات البريطانية ، ومنذ تلك اللحظة بدأت الجماعة مسيرتها ولكن الجواسيس انتشروا في المكان ، فما ان وصلت جماعة الشيخ الى احراش يعبد حتى كانت مطوقة»(٢١٥) .

الرواية الرابعة وهي لشرطي عربي قابل افراد من الجماعة القي القبض عليهم بعد معركة يعبد ، وتستند الى اقوالهم ، تقول ان الجماعة وكان معها الشيخ فرحان السعدي ، صادفت دورية بوليس يهودية بينهم ضابط صف انجليزي ، فأمر القسام باطلاق النار عليهم ، حينها عارض الشيخ فرحان ذلك وقال ان هذا سيؤدي الى كشف الجماعة ، وهي لا زالت في مرحلة تجميع وتنظيم المجاهدين ، ولكن القسام اصر على الامر ، فأطلقت النار وقتل الشاو يش اليهودي روزنفلد(٢١٦) . حينها انفصل فرحان السعدي عن القسام وعاد الى قريته و يؤكد انفصال السعدي عن جماعة القسام مراسل جريدة فلسطين في جنين ، اذ يقول ان البوليس سأل احد المقبوض عليهم من المجاهدين «بعد معركة يعبد» عن الشيخ فرحان السعدي واين مقره ، اذ لدى البوليس معلومات انه من اعضاء الجماعة فأجاب ان الشيخ فرحان ترك الجماعة بعد مقتل روزنفلد(٢١٧) ولا يعلم اين مقره .

في الحقيقة انه من الصعب القول بصحة رواية واحدة من هذه الروايات الاربع ، لان الذين ذكروها لم يعيشوا الاحداث ولم يشاهدوا كيف حصلت . و يمكن من خلال مقارنة الروايات مع بعضها البعض ، وملاحظة توافقها مع خطة القسام من الخروج استنتاج الامور التالية :

١ ــ قتل الشاو يش اليهودي دون علم القسام ودون اطلاعه ، و يبدو ان الذين قطفوا من ثمار المستعمرة اليهودية هم مجموعة غير مجموعة القسام ، ومروا اثناء هروبهم من المغارة التي تمركزت فيها الجماعة ، وعندما وصل البوليس الى المكان حصل الصدام مع المجاهدين دون وجود القسام في الموقع «الراجح انه كان في زرعين» ، فتصرف احد المجاهدين «وهو احمد عبد الرحمن حسن» بناء على اجتهاده الخاص فأطلق النار على روزنفلد . و يثبت هذا الاستنتاج عدة امور اولها ان القسام لم يكن قد مضى على خروجه سوى فترة قصيرة ، وهذا يعني ان خطته بتجميع المجاهدين وتسليحهم للثورة ، لم تنفذ بعد . و بالتالي يكون من شأن اي خطوة متسرعة كشف مكان وجوده ومجموعته . . ثانيا : يمكن الاعتماد على تحقيقات الشرطة في تلك الفترة والقول معها ان الشيخ لم يكن وقتها موجودا في مكان الحادث وهذا الامر مؤكد في رواية ابو ابراهيم الكبير و يؤكد بيان ادارة الامن العام (١١/٩) ان الحادث لم يكن مخططا له .

---

* يؤخذ من البيان الذي اذاعته ادارة الامن العام في ١٩٣٥/١١/٩م ، ان هذا الحادث حصل يوم ١٩٣٥/١١/٧ وقال البيان ان روزنفلد مع اثنين من رجاله ذهبوا من مخفر «شطه» للتحقيق في حادث سرقة قطف اثمار من بساتين مستعمرة عين حارود ، فتعقبوا الاثر الى ان وصلوا الى شرق المستعمرة ، وعندما ارسل الشاو يش روزنفلد احد رجلي البوليس الى جهة قريبة وابقى الاخر معه ، وذهب هذا للبحث عن رجل شاهده وما كاد يبتعد حتى سمع عيارين ناريين ولما عاد مسرعا وجد الشاو يش طريحا على الارض وبه جرح قاتل . «انظر جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/١٠م» .

٢ ــ لم يحدث خلاف بين الشيخ القسام والشيخ فرحان السعدي ، وحقيقة ان السعدي لم يواصل السير مع الجماعة بعد مقتل روزنفلد ، ولكن هذا لا يثبت وجود خلاف او انفصال بين الاثنين . فحسب رواية عربي بدوي كان السعدي في نورس بانتظار تعليمات الشيخ القسام واكد هذا الامر سامي الاحمد ، الذي قابل المجموعة في خربة الشيخ زيد وعلم من القسام ان السعدي في نورس ينتظر تعليمات الشيخ القسام . اما لماذا لم يواصل السعدي سيره مع الجماعة ؟ فيتضح انه لم يكن مقررا من الاساس ان يكون فرحان مع المجموعة في تجوالها المتواصل ، و يبدو ان علم السعدي والقسام بأن المواجهة المكشوفة مع الانجليز باتت قريبة ، جعلت من الافضل بقاء فرحان السعدي بعيدا عن المجموعة لقيادة المقاتلين في حالة حدوث امر يستدعي غياب القسام .

ماذا حدث بعد مقتل موشيه روزنفلد ؟

اهتمت دائرة البوليس بالحادث اهتماما بالغا فسافر من القدس معظم ضباط البوليس الى الشمال للتحقيق ، وسافر بصفة خاصة «المستر رايس» مدير البوليس لهذه الغاية(٢١٨) . و يبدو ان ادارة البوليس ربطت بين غياب القسام عن حيفا و بين الحادث ، وقد كانت لديها شكوك حول علاقته بالعمليات المسلحة التي حدثت في الثلاثينات .

وقامت الشرطة بوضع حوافز مادية لتشجيع القرو بين على الادلاء بمعلومات للبوليس فوضع «المستر سبايسر» مفتش البوليس العام مكافأة قدرها «٢٠٠» جنيه لاي شخص يقدم اخبارا تؤدي الى اعتقال قاتل او قاتلي روزنفلد(٢١٩) . في هذه الاثناء كانت المجموعة المجاهدة تواصل تنقلها بين القرى عبر الجبال المحيطة بها وانضم اليها عربي بدوي بعد ان ودع اهله في قبلان . وقابلهم في برقين حيث كانوا يقيمون في احدى المغائر .

قامت الشرطة باقتفاء أثر المجموعة بواسطة كلاب الاثر ، ولكنها لم تنجح في الوصول الى اية نتيجة فعلية ، الا انها عثرت على اغراض مختلفة في المغارة التي سكنتها الجماعة ، في جبال فقوعة ، ومن بين الاغراض وجدت بطاقة لعامل في قطار حيفا «محمود سالم» مكتوب عليها إسماء ثمانية مجاهدين هم :

١ ــ الشيخ عز الدين القسام
٢ ــ الشيخ فرحان السعدي
٣ ــ محمود سالم
٤ ــ الشيخ نمر حسين السعدي
٥ ــ الحاج عبد الله يوسف زيباوي
٦ ــ حسن ابراهيم باير
٧ ــ محمد يوسف محمود
٨ ــ عربي بدوي

قامت الشرطة بالبحث عن هؤلاء الثمانية في بيوتهم ، لكنها لم تعثر على احد منهم . الاشعار الوحيد الذي ابقاه كل واحد منهم في بيته انه سافر ولا شيء غير ذلك(٢٢٠) . وحين سئلت زوجة فرحان السعدي عن مكانه قالت انه غادر منذ «١٢» يوما متوجها الى الحجاز لاداء فريضة الحج مشيا على الاقدام*(٢٢١) .

---

* فرحان السعدي من سكان قرية المزار وكانت له املاك في نورس وقد بقي مختفيا عن الانظار رغم انه لم يواصل السير مع المجموعة .

قيل في التحقيق الذي جرى خلال اسبوع ان المجموعة ذهبت لتنظيم تمرد ضد الحكومة وتطلق سراح السجناء بالقوة ، بداية من سجن نور شمس «قضاء طولكرم» ، وقال يونس الخطيب بسذاجة «شيخ معروف من حيفا» ، ان الشيخ عز الدين القسام قد جمع مبالغ كبيرة من المصلين في مسجد الاستقلال الذي هو امامه ، وتعهد بجلب السلاح لهم مقابل هذه الاموال ، وقد مرت عدة ايام دون ان يفي بتعهده ، لذا اثار الامر الغضب في المسجد وقال الكثيرون انهم سيقدمون شكاوى ضد الشيخ القسام لتقديمه للمحاكمة(٢٢٢) . بغية التسهيل على اعمال التحقيق ، نشرت الشرطة خبراً ان المجموعة المطاردة في جبال جنين هي عصابة لصوص . وساعد هذا في تقبل الفلاحين لرجال التحقيق الانجليز ، وحدثوهم دون تردد عن مشاهداتهم ، واخبروهم بما يعرفونه .

نعود الى جماعة المجاهدين ، فمن كفر دان توجهوا الى برقين ومنها الى جبال قريتي البارد وكفر قود . و يصف عربي البدوي ما حصل هناك فيقول : «اثناء النهار كنت حارسا على الجماعة في موقعه البارد ، وكان الشيخ و بقية المجاهدين يستريحون في مغارة ، بينما كنت اراقب الطريق ، اتى رجل معه عصى طو يلة في رأسها قطعة حديد يجر بها الارض اثناء سيره . اوقفته وسألته ماذا يريد ؟ وكان متجها نحو المغارة . فقال انه حارس لمزروعات القرية . فأبلغت الشيخ القسام بالخبر فأمرني بتركه ، فتركته .

و بعد برهة ادركت انه جاسوس جاء يتجسس علينا «يبدو ان الرجل كان مقتنعا بأن المطاردين هم عصابة لصوص» ، وكان البوليس على الجبل المقابل لنا يتعقبوننا دون ان يعرفوا المكان بالتحديد . ارسلوا عسكريا كي نشتبك معه و ينكشف مخبؤنا امر الشيخ القسام كلا من معروف الحاج جابر ، ومحمد ابو قاسم خلف ، بالذهاب واخذ بارودة العسكري ، وحين اصطدموا معه ، ابتدأت المعركة بينهم و بين باقي افراد البوليس ، وسمعنا اطلاق النار ، فهيأنا انفسنا وتوزعنا بانتظارهم . واستشهد اثناء المعركة محمد ابو قاسم خلف الحلحولي ، واستطاع معروف الحاج جابر الانسحاب والعودة الى حيفا»(٢٢٣) . اما كيف عرف البوليس ان الجماعة موجودة قرب كفر قود ؟

فان كوهين يقول ان اخبارية وصلت للشرطة في السابع عشر من تشرين الثاني تفيد ان هناك حوالي «٣٠» مسلحا يختبأون في مغارة موجودة قرب قرية «كفر قود» بالقرب من جنين . فخرج من حيفا حوالي ٢٠٠ شرطي مسلح ، نصفهم بقي في شرطة جنين قوة احتياط ، والباقي توجه الى المكان(٢٢٦) . وحسب وصفه لتتابع الاحداث فان محمد ابو قاسم خلف كان مع اثنان أخران من المجموعة نائمين في المغارة ، بينما نجح «٢٥» واحدا منهم بالتمركز في مواقع خلف الزيتون ، حين عرفوا بوجود البوليس في المكان .

وحين سمع اطلاق النار ، فر الاثنان الموجودان مع ابو قاسم ولحقوا بالبقية ، بينما تأخر محمد الى ان استيقظ ، ولم يجد مفرا ، فوجه بندقيته حالا نحو الشرطة واطلق عدة طلقات ، فأطلق عليه شرطي بريطاني النار من مسدسه وارداه قتيلا . ثم بدء بعدها سماع طلقات من طرف الجماعة على الشرطة . فأصدر الضابط

---

* بقي الرأي العام على ان المطاردين هم عصابة لصوص حتى بعد مقتل محمد ابو قاسم خلف ، فنشرت صحيفة فلسطين اليافية بيانا حول مقتل الحلحولي من دائرة البوليس جاء فيه : ان دائرة البوليس علمت بوجود عصابة «اشقياء !!» بين نابلس وجنين ، وهي تظهر باسلحتها الكاملة وتهدد الامن العام ، فارسلت قوة من البوليس بعد ظهر امس «١٩٣٥/١١/١٧» وعلى راسها المستر هاوس واخذت تقوم بالتحري عن العصابة . وفي سفح جبل واقع على بعد «٨» كم عن جنين عثرت على آثار لافرادها فتابعت السير حتى وصلت الى كهف في الجبل فرات واحدا يخرج منه و يطلق النار من بندقيته عليها ، فقابلته بالمثل وقتلته . ثم تقدمت القوة الى داخل الكهف فلم تجد فيه احدا . ولكنها عثرت على بقايا طعام وآثار واضحة تدل على انه كان هناك عدة اشخاص سكنوه حديثا(٢٢٤) . واستطردت الصحيفة بعد ان نقلت فحوى البيان قائلة ان الاشاعات عن هذه العصابة كثيرة . وان البوليس يتكتم كثيرا في ابحاثه(٢٢٥) .

الانجليزي «هاوس» الذي كان قائدا للفرقة ، اصدر امرا بعدم اطلاق النار تخوفا من وقوع كارثة بين افراد الشرطة لان الظلام قد حل واصبح هناك خطر بأن يطلق افراد الشرطة النار على بعضهم ، ولم يكن معهم فتاشا يضيء المنطقة حولهم»(٢٢٧) .

في الثامن عشر من تشرين الثاني كان القسام يقود جماعته بعد ان انسحبوا اثناء الليل من جبال كفر قود ، وكانت وجهته خربة الشيخ زيد قرب يعبد حيث الشيخ سعيد الحسان وهو احد افراد جماعة المجاهدين . وفي الطريق لاحظ عربي البدوي متابعة الجواسيس لخطواتهم ، فطلب من القسام التريث قليلا لاخذ قسط من الراحة ولبحث مشكلة الجواسيس ، يقول عربي : «كان القسام يحترم افكاري رغم صغر سني أخبرت الجماعة عن ملاحظتي وان هذه القرى مليئة بمن يتعقبون آثارنا ، واقترحت ان ننقسم الى قسمين ، قسم الى الشمال ، يعود الى حيفا والناصرة ، يقوم اثناء سيره بتخريب سكك الحديد وقطع خطوط الهاتف «التابعة للانجليز واليهود» ، ثم يذهبوا الى نورس حيث الشيخ فرحان السعدي و يأتوا به لملاقاتنا في الوادي الاحمر بين نابلس والغور ، وهناك نملك حرية اكثر وتخف ملاحقة الجواسيس لنا . فأعجبت الفكرة الشيخ القسام وطلب الانقسام الى مجموعتين :

ذهبت الاولى الى الشمال وهي مكونة من عشرة افراد ، و يدلهم على الطريق الشيخ داود الخطاب واذكر منهم «الكلام لعربي» الشيخ احمد من بيتا ، يوسف ابو درة ، محمود سالم ، صالح اسعد وداود خطاب . اما الباقون فهم : الشيخ القسام ، حسن البابر ، عربي البدوي ، احمد عبد الرحمن جابر ، محمد يوسف ، نمر السعدي ، عطيفة المصري ، اسعد المفلح ، و يوسف الزيباوي ، فقد توجهنا نحو الغرب الى يعبد وفي الطريق نفذ الماء وكانت احمالنا ثقيلة ، فكل رجل منا يحمل بندقية ، (٦٠) مشط فشك ، وحربة «صنعها الشيخ القسام عند احد الحدادين وكانت على طريقة الصحابة للاقتداء بهم» بالاضافة الى الاغطية وادوات السفر الاخرى والطعام .

في الليل ارهقنا التعب والعطش فطلبت من الشيخ ان نستريح لنشرب فقال لي لا يوجد لدينا ماء ، ولن نستطيع ان نشرب ، فأصررت على ان نرتاح ونشرب فكرر الشيخ سؤاله : ومن اين سنشرب ؟

كان الشيخ حسن البابر يعرف المنطقة شبرا بشبر ، وقال للقسام لا يوجد هنا ماء ، واقرب منبع للماء يبعد عنا حوالي «١٠ كم» .

رغم هذا أمرنا الشيخ بالراحة وأرسل معي اثنين حملوا اوعية الماء وقال لهم الحقوا به ، فسرت امامهم دون ان ادري اين انا سائر ولم نكد نقطع مسافة «٦٠» مترا ، حتى اتينا صخرة واذ بها حفرة «معصرة» حجمها م٢ مليئة بالماء فشربنا وملأنا الاوعية ورجعنا ، فشرب اخواننا واسترحنا ، ثم واصلنا السير حتى وصلنا خربة الشيخ زيد»(٢٢٨) .

في التاسع عشر من تشرين الثاني اصبحت تحركات الجماعة تلاقي صعوبة شديدة ، فالمعلومات التي حصل عليها البوليس الانجليزي نتيجة للتحقيقات المكثفة اصبحت تساعد اكثر فأكثر على تحديد مكان الجماعة ، افرادها ــ عددهم واسماؤهم واسلحتها . وقد ابتدأت التحقيقات من قرية فقوعة المحطة الاولى التي ابتدأ القسام رحلته منها ، فاستدعى البوليس في «١٨/١١» ثمانية اشخاص من القرية وحقق معهم(٢٢٩) في شأن المجاهدين ووصل الى جنين عدد كبير من رجال التحقيق وانبثوا بين القرى و بين الناس ومعهم عدد من الضباط ليسترقوا الاخبار عن المجاهدين وكان كل واحد منهم يلبس زيا خاصا كعامل او فلاح او زبال(٢٣٠) ... الخ ، ووصف مراسل صحيفة فلسطين في جنين قضاء المدينة بقوله(٢٣١) انه اصبح

---

* تطابق رواية كوهين هذه ما ورد في بيان ادارة الامن العام حول استشهاد ابو قاسم خلف ، و يبدو ان هناك تناقضا بين هاتان الروايتان و بين ذاكرة عربي البدوي للاحداث .

ساحة حرب لكثرة استعدادات البوليس وتضخم عدد رجاله من رسميين وسريين .

وفي نفس اليوم شيعت مدينة جنين الشهيد محمد ابو قاسم خلف ، وكانت الشرطة قد أبقت جثته مكانها بعد استشهاده يوما كاملا الى ان تم تشخيصها* . وقد سار في الجنازة عدد كبير من تجار ، وجهاء وشباب مدينة جنين وقضائها ، واظهر المشيعون تعاطفا مع الشهيد رغم انه لم يكن معروفا وقتها ان المطاردين هم جماعة سياسية مجاهدة وليست عصابة لصوص ، وكانت للاقوال التي انطلقت من افواه الناس دلالتها بشأن احترام الخارجين عن قانون الانتداب والمتحدين له بقوة السلاح ، فمما قيل وقتها : «هكذا يجب على كل عربي في هذه البلاد ان يموت» و «هذا رائع وجميل»(٢٢٣) وتعمد القائلون اسماع كلماتهم لافراد الشرطة العرب الذين كانوا في المكان** .

معركة يعبد :

وصلت الجماعة خربة الشيخ زيد في التاسع عشر من تشرين الثاني ، ومكثت في منزل الشيخ سعيد الحسان حتى صبيحة الاربعاء «٢٠/١١/١٩٣٥» ، وفي هذا اليوم كانت قوات البوليس التي تجمعت من حيفا ، نابلس ، الناصرة ، بيسان وطولكرم قد وصلت الى المنطقة القريبة من يعبد ، بعد ان ابتدأت تحركها الساعة «٣٠ر٢» صباحا(٢٣٥) بناء على معلومات وصلت لدائرة بوليس نابلس تفيد ان افراد الجماعة موجودون في احراج يعبد*** .

---

* كان منظر محمد خلف «حسب وصف كوهين» يدل على ان عمره حوالي «٣٢» عاما ، له شنب اسود وذقن لم يحلقه منذ ما يقارب عشرة ايام .

كان يرتدي بنطلون «كاكي» عليه ربطات مثلما على سراويل الجيش التركي . في رجليه حذاء عمل جديد وعلى خاصرتيه حزام صوفي . ولبس قميصا من الصوف مع سحاب وعلى راسه كوفية وعقال اسود .

عثر في ملابسه على «٩٠» رصاصة ، بعد ان نجح باطلاق «١٠» رصاصات على البوليس ، واخذت منه ايضا بندقية المانية .

يقال ان الضابط «رايس» المسؤول عن التحقيق وبخ ضباط الشرطة بسبب قتل خلف ، لانه كان من الممكن ـ حسب رايه ـ القبض عليه والحصول منه على معلومات(٢٢٢) .

** علقت جريدة فلسطين على اشتراك عدد كبير من الناس في تشييع خلف وتكريم الناس له ـ وكانت تعتقد انه خارج عن القانون ، قاطع طريق ـ بقولها : «والشهادة التي يتمتع بها هؤلاء الافراد لدى الجمهور ، واعجابه بهم ، هما في رأينا وسيلة فقط من وسائل تحدي الحكم القائم ، اضطر اليها الشعب حين تعسرت عليه الوسائل الاخرى»(٢٢٤) .

*** اثيرت في تلك الاثناء عدة شائعات عن مصدر الاخبار التي وصلت للشرطة عن مكان القسام وجماعته منها . ان عبد القادر اليوسف عبد الهادي وهو وجيه معروف من قرية عرابة هو الذي سلم الجماعة لايدي ابن عمه «الضابط في البوليس» «شفيق عبد الهادي»(٢٢٦) ، وقد اعتقلت الشرطة عبد القادر يوم (١١/١٩) اثناء وجوده في بيارته «الحفيرة» الواقعة بين جنين وعرابة(٢٢٧) ، ويقال ان عائلة عبد الهادي هي التي طلبت من الشرطة اعتقاله واتهامه بالانتماء للجماعة من اجل الحفاظ على حياته(٢٢٨) .

وفيما بعد نشرت صحيفة فلسطين نص رسالة بعث بها عبد القادر الى الشيخ القسام ، قيل انها السبب في اعتقاله بعد ان ضبطها البوليس مع احد افراد الجماعة ، وفيما يلي نص الرسالة : «بسم الله الرحمن الرحيم : مرسل لكم مع الناقل ..٢ حبة برتقال جعلها الله ماكول الهنا والعافية ثم اني متأسف كثير الاسف لعدم استطاعتي مساعدتكم ماليا ولكني مستعد لان امدكم بالرجال ، وارجو اذا كان يوجد لديكم بندقية ان ترسلوها الى لاحملها الى شاب ارسله اليكم وتأكد انني اعرف الا اتأخر عن مساعدتكم بكل ما يمكنني . وتفضلوا حاشية : المرجو ==

وصلت الشرطة قرية الشيخ زيد «الطرم» عند الفجر، وقامت بتفتيش المنطقة بحثا عن المجاهدين، و بعد ذلك بقليل قامت جماعة القسام ــ وكانت قد انتقلت بعد صلاة الفجر الى الاحراج ــ باطلاق النار باتجاه فصيل من الشرطة، وكان ظن الشيخ ان هذا فصيل منفرد، ولكن تبين انه فصيل متقدم كشاف للطريق امام قوة هائلة من الشرطة(٢٤٣) ومع بداية اطلاق النار استطاعت الشرطة تحديد موقع اطلاق النار، فقامت بمحاصرة المكان و بدأت المعركة بينها و بين المجاهدين.

قدرت بعض المصادر عدد افراد البوليس المهاجمين بـ«١٥٠» فردا من الشرطة العرب والانجليز بالاضافة الى قوة الاحتياط التي بقيت في نابلس وجنين، وكان هناك عشرة من افراد شرطة «حرس السهل» بقوا في المكان القريب من موقع المعركة لحراسة الشارع(٢٤٤) الذي كان من الممكن ان يستعمل لهرب المجاهدين

= حرق هذا الكتاب بعد قراءته(٢٢٩).

و يتضح من هذا النص ان القسام ارسل يطلب معونة مالية من عبد القادر اثناء وجوده في جبال جنين، فارسل له الرد الوارد انفا معتذرا عن تلبية الطلب. وقد بقي عبد القادر في السجن رهن التحقيق مدة (١٥) يوما وافرج عنه في اوائل كانون الاول ١٩٣٥م، مقابل كفالة مالية بلغت ١٠٠٠ جنيه فلسطيني(٢٤٠).

قيل ايضا ان احمد الشيخ سعيد الحسان هو الذي بلغ البوليس عن وجود القسام في منزل والده وانه كان عميلا للشرطة(٢٤١)، واثناء عودته الى بيته بعد قيامه بالابلاغ اطلق البوليس عليه النار وقتلوه ظنا منهم انه من افراد الجماعة(٢٤٢).

وقد اثبتت مشاركة عبد القادر في ثورة ١٩٣٦، واعتقاله من قبل الانجليز في معتقل صرفند، انه لا صحة للاشاعة التي صدرت في تلك الفترة، وقد تكون الخلافات العائلية في منطقة جنين هي احدى دواعي رواج مثل هذه الاشاعة وانتشارها.

اما بالنسبة لاحمد الحسان فان ما اوردته الصحف الفلسطينية على لسان مراسليها وما تحدث عنه معاصرو الاحداث و بالذات عربي البدوي كافٍ لتبرئته من التهمة التي نسبت اليه، وسناتي على ذكر حادثة مقتله لاحقا.

واتهم شخص من قرية برقين يدعى رشيد الجربا بانه هو الذي اعطى الخبر للبوليس عن مكان وجود الجماعة في قريته، وقد اعتقلته دائرة البوليس واطلقت سراحه يوم (١١/١٩) بعد تقديم كفالة، وقيل ان اعتقاله جاء للتغطية على مساعدته وقيل انها لسبب اخر. «انظر جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٠»، وقد اضطر رشيد هذا لترك قريته برقين الى مكان مجهول بعد استشهاد القسام وجماعة من رفاقه في يعبد لاستحالة بقائه فيها وخوفا على حياته من الغضب العام «انظر ايضا جريدة فلسطين ١٩٣٥/١٢/١».

وقد بقيت الاشاعات حول الواشي عن القسام تتردد في منطقة جنين وزادت حدتها في المدينة نفسها بسبب اتهام وجهاء معروفين» بهذا الامر، وسافر «المستر فوت» مساعد حاكم لواء نابلس ومعه «فتسجرالد» مدير البوليس فيها الى مدينة جنين في «١٩٣٥/١٢/٢١» ودعي لمقابلتهما كل من الوجهاء السادة اديب الخالدي مفتي المدينة، عبد القادر يوسف عبد الهادي، فهمي العبوشي رئيس البلدية، توفيق الطاهر، محمد مسعود جرار، سليم مصطفى الاحمد، فؤاد القاسم عبد الهادي، عبد السلام البرقاوي ورشيد مرعي.

وكان الاجتماع بمكتب قائممقام القضاء وحضرة مساعد مدير البوليس في جنين، وخاطب المستر فوت المجتمعين وقال لهم ان الحكومة تأسف لان يقوم اناس بترويج الاشاعات الباطلة حول من دل على القسام وصحبه وانه يعتقد ان الذين يروجون هذه الاشاعات ما هم الا فئات منحطة، وانه يخشى ان تمتد هذه الاشاعات فيلحق ضررها بوجهاء القضاء. وطلب من المجتمعين ان يحولوا دون رواج هذه الاشاعات. «راجع جريدة فلسطين ١٩٣٥/١٢/٢٢»

ولا نستطيع الجزم في هذا البحث بعلاقة احد ممن روجت الاشاعات حول علاقتهم بالوشي، ولكن من المؤكد ان نشاط وجهود حليم بسطه واحمد نايف واستخدامهم للكثيرين من البسطاء الذين لم يدركوا حقيقة وهوية الجماعة المطاردة هي التي ساعدت بالكشف السريع والمبكر عن القسام ورفاقه.

وقد يكون في وثائق حكومة الانتداب ودائرة البوليس المحفوظة في لندن ما يساعد على تجلية قضية الوشاة والجواسيس المتعاونين مع الانجليز.

المحاصرين ، وفي الساعة السادسة صباحا تجول الكابتن «رايس» (نائب مدير الشرطة) مع احد افراد المخابرات في الشمال فوق المنطقة داخل طائرة ، واعطوا الاشارات حول مكان(٢٤٥) المجاهدين .

وحين عرف الشيخ عز الدين القسام ان افراد الشرطة يقتربون من مواقعهم اعطى لاتباعه امرين :

أ ـ عدم الخيانة حتى لا يكون دم الخائن مباحا

ب ـ عدم اطلاق النار بأي شكل من الاشكال على افراد الشرطة العرب بل اطلاق النار باتجاه الانجليز(٢٤٦) .

وكان الضباط الانجليز قد وضعوا البوليس العربي في ثلاثة مواقع امامية(٢٤٧) ولم يكن هؤلاء عارفين بحقيقة الجهة التي احضروا اليها(٢٤٨) وحقيقة الجماعة التي يطاردونها .

اتخذت المعركة بين الطرفين شكل عراك متنقل ، وساعدت كثافة الاشجار على تنقل افراد الجماعة من موقع الى اخر واستمرت حتى الساعة العاشرة صباحا* . وكان الشيخ عز الدين القسام من الفعالين في القتال ، فقد حارب ببندقية ومسدس بالتناوب ، في الوقت الذي كانت شفتاه تتفوهان بالدعاء(٢٤٩) .

---

* يخالف عربي البدوي هذا القول ، وهو حسب ما يتذكره من احداث حصلت في معركة يعبد يقول ان المعركة استمرت لما قبل العصر بقليل ، و يصف احداث المعركة بكلماته فيقول : «كان يوم اربعاء وكنت اقف خفيرا على طرف الحرش ، حرش يعبد قرب خربة الشيخ زيد ، ورفاقي داخل الغابة ، الشيخ عز الدين القسام وعصبته ، ومع طلوع الشمس رايتهم يهجمون علينا وهم على ظهور الخيل و يتصايحون «عليهم ، عليهم» ، اوعزت لرفاقي ان يتوزعوا وان ياخذوا اماكنهم ، وباداتهم بالرصاص ، فجعلوا يتركون الخيل و ياخذون مواقع لهم على بطونهم خلف الحجارة والرجوم من اكوام الحجارة .

وابتدات المعركة ، المعركة غير متكافئة ، نحن تسعة وهم جعلوا يتوافدون عشرات ، عشرات وعشرات الى ان اكتمل عددهم من مئتين الى اربعمائة ، معظمهم يحمل شارة بندقتين على ذراعه وهذا يعني انه صياد لا يخطأ ، مكثت مدة لا تزيد عن «٢٠» دقيقة او نصف ساعة وانا اطلق الرصاص واقفا بطول قامتي لا يحجبني عنهم حجرا او سلسال او شجرة والمسافة بيني و بينهم لا تزيد عن «٥٠» مترا ، اقف هدفا لمئات البنادق من بنادق الصيادين ، وعبثا حاولوا ان يقتلوني او يصيبوني برصاصة واحدة .

الرصاص ينهمر يـاز و يصفر و يرن و يطن حول اثناي وفوق راسي وحول جسمي ، بين ارجلي ومن تحت ابطي وحول عنقي ، تماما لو هاجت علي مئات الخلايا من النحل الهائج في يوم شديد الحرارة . لم اصب ولم اجرح !! لم اقتل !! ، لانه ليس مكتوب لي او مقدر علي ان اموت في ذلك اليوم او على وجه تلك الارض ، واخيرا انتبه الشيخ رحمه الله ، صاح باعلى صوته : خذ الارض ، لن تموت شهيدا اذا مت على هذه الحالة ، انت منتحر اذا لم تاخذ الارض .

لقد كنت فعلا اتمنى الشهادة واحاول عبثا الحصول على هذه الشهادة . فلم ينطل الامر على الشيخ وهو اخبر من غيره بشروط الشهادة ووسائل الحصول عليها .

تلقينا الامر بالانسحاب والتوغل داخل الغابة ، وجرح الشيخ اسعد المفلح من ام الفحم ، حاولت حمله فرفض الشيخ قائلا : اتركه واعتني بنفسك . وفي داخل الغابة وجدنا صخورا تصلح لان تكون استحكامات متينة . ضيقوا علينا الخناق واحكموا نطاق الطوق الا من جهة واحدة ، جهة الشمال وكانت مكشوفة والانسحاب منها معروفة نتائجه . فقررنا المقاومة حتى مجيء الظلام» .

ثم يصف عربي مقتل الشرطي الانجليزي «ر.س.موت» وجرح رفيقه «فرانك ريدر» ، بعد ان حاول الوصول لمكان الجماعة والاقتراب اكثر من ذي قبل ، و يقول انه بعد مقتل موت استشهد الشيخ القسام فالزيباوي وعطيفة المصري وجرح نمر السعدي جروحا بليغة . ثم سلم الباقون انفسهم وهم حسن الباير ، عربي البدوي ، احمد عبد الرحمن جابر ومحمد يوسف ، بعد ان وجدوا انه لا مجال للمقاومة ، وكان الوقت قبل العصر بقليل .

هناك من الوثائق المكتوبة ما يرجح انتهاء المعركة قبل هذا الوقت بكثير ، فالبيان الرسمي عن الحادث يقول ان المعركة انتهت الساعة العاشرة ، و يؤكد هذا التقرير كوهين ـ المشار اليه سابقا ـ ، وذكر مراسل صحيفة فلسطين ان المعركة انتهت الساعة التاسعة ، اما الجامعة الاسلامية فقالت ان المعركة استمرت ساعتين . ومنها ما يقول ان المعركة استمرت ثماني ساعات كاملة ، انظر «الرابطة العربية العدد ١٧» . وحسب يوميات اكرم زعيتر ==

ورغم المقاومة الباسلة التي ابداها القسام ورفاقه ، فقد كانت نتيجة المعركة استشهاده واثنان من رفاقه المجاهدين وهم : الشيخ يوسف الزيباوي وعطيفة المصري . وكان قبلهم قد استشهد الشاب احمد سعيد الحسان ، وحسب اقوال عربي بدوي فان احمد حين رافق المجاهدين وهم في منزل والده طلب من عربي السماح له بحمل بندقيته فسمح له و بقيت معه الى صبيحة المعركة(٢٥٢) وحين ذهب لاحضار طعام الافطار للمجاهدين فوجيء اثناء عودته برجال البوليس يقفون بجوار بيته بعد ان فتشوه ، وعندما رأى الانجليز الشاب ومعه البندقية ، صوبوا بنادقهم لاطلاق النار عليه ، فصرخ والده : هذا ابني وسأحضره اليكم الان . فأمتثل رجال البوليس العرب وتقدم اثنان من الاهالي لامساك الشاب ، الا ان بوليسا انجليزيا اطلق عليه النار ، غير ملتفت الى اعتراض ابيه ووعده باحضاره فسقط الشاب قتيلا(٢٥٣) .

بعد انتهاء المعركة ، تعمد قائد قوات البوليس مدير بوليس نابلس «فتسجيرالد» اهانة جثة الشهيد القسام ، و يقال انه داس على رقبته*(٢٥٤) ، و يقال ايضا ان احد الشرطة العرب و يدعى ميخائيل ابو الزلف ، شتم القسام ، والشهداء الاخرين(٢٥٥) وقال هذا جزاؤكم يا كلاب** .

حصيلة المعركة ونتائجها :

قتل من الانجليز الشرطي «ج.ر.س موت»*** ، بعد اصابته بالرئة . وجرح شرطي اخر جاء لمساعدة

** فان خبر استشهاد القسام بلغ مسامعه وهو في نابلس الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ١٩٣٥/١١/٢٠ فقام بالاتصال بماجد القطب مراسل صحيفتي الجامعة الاسلامية وفلسطين الذي غادر الى جنين لاعداد تقرير عن الحادث(٢٠٠) . بعد الساعة الخامسة مساء . «يدعي المراسل انه امتطى سيارة خاصة عندما تحقق لديه اهمية الخبر وصحب الجنود حتى وصل الى قرية يعبد حيث كان ازيز الرصاص يصم الاذان و يبدو من خلال مقارنة ما ورد في يوميات زعيتر مع باقي المصادر ان المراسل يبالغ لانه علم عن حصول المعركة بعد انتهائها ، فكيف يستطيع والحالة هذه مرافقة الجند الى المعركة ؟ وذكرت صحيفة البالستين بوست اليهودية بناء على معلومات من البوليس ، ان الحديث الذي نشر في الجامعة الاسلامية وفي جريدة فلسطين وادعى فيه المراسل المذكور انه تحدث مع نمر السعدي ، هو حديث مختلق وغير صحيح ، لان نمر السعدي كان في حالة غيبوبة لا تسمح له بالكلام(٢٠١) ، ووضعه الصحي كان متدهورا وحياته في خطر» .

* حاول ثوار نابلس سنة ١٩٣٦م رد الاهانة واغتيال فتسجيرالد ، فقام المجاهد «رامز خريم» بصنع قنبلة والقاها على منزل مدير البوليس في محاولة لقتله الا انه لم ينجح(٢٠٦) .

** اغتال القساميون ميخائيل ابو الزلف وهو على كرسي الحلاقة في مدينة جنين اثناء الثورة عام ١٩٣٧م(٢٠٧) .

*** جاء الشرطي موت الى فلسطين عام ١٩٣٣م ، واظهر منذ وصوله شجاعة فائقة في الدفاع عن اليهود ، فقد انقذ حياة الكثيرين منهم في تلك السنة ، اذ حاول جمهور عربي ان يندفع اثناء اضطرابات في مدينة القدس ، نحو حي اليهود في البلدة القديمة .

وكان موت هو الشرطي البريطاني الذي يحرس مدخل الشارع يرافقه شرطي عربي وهناك وقف امام جمع غفير من العرب الذي هاجموه .

ومع ان حياته كانت في خطر الا انه لم يتراجع ونجح بمعاونة الشرطي العربي اجبار المهاجمين العرب على التراجع ، فانقذ حي اليهود من غضب عربي شديد .

لذلك منح على هذه الحادثة لقب (M. B. E) «عضو الامبراطورية البريطانية» . وهو من مواليد ساوتهاوم القريبة من شاطىء البحر جنوب انجلترا ، وخلف وراءه اما عجوز . وكان اعزب ابن (٢٨) سنة ، وقبل مجيئه الى فلسطين خدم مدة سبع سنوات في الجيش البريطاني في انجلترا والهند ، وعمل قبل موته في شرطة نتانيا(٢٠٨) . دفن في المقبرة البروتستانتية في القدس على جبل صهيون .

«موت» بعد ان اصيب ، و يدعى هذا الشرطي فرانك ريد وقد كانت اصابته في يده .

• أما بالنسبة للمجاهدين فبالاضافة للشهداء الخمسة* ، فقد اصيب الشيخ نمر السعدي بثلاث رصاصات اثنتان كانتا في قلبه مما ادى الى تدهور حالته .

كما جرح اسعد المفلح ، و بقي مختفيا الى ان اضطر الاستسلام للشرطة بسبب معاناته الشديدة من آلام الجرح .

وتعود قلة خسارة الانجليز الى اصرار القسام وجماعته على عدم اطلاق النار باتجاه الشرطة العرب ، وتوجيه بنادقهم نحو الانجليز ، فقط الذين اخذوا مواقع خلفية(٢٥٩) . اضافة الى سببين آخرين كان لهما الدور في خسارة القسام ورفاقه المعركة ، وفشله في تنفيذ خطته التي خرج من حيفا عازما عليها :

السبب الاول : ان اغتيال موشي روزنفلند ــ والذي حدث خلافا لارادة القسام ــ قد لفت انظار الشرطة الى المكان الذي تختفي فيه الجماعة(٢٦٠) ، وافسد امكانية التجول بين القرى دون ملاحقة البوليس . واضاع ايضا عنصر مباغتة الانجليز ومفاجأتهم بثورة مسلحة دون ان يكونوا على علم مسبق بها .

السبب الثاني : الاشتباك الاولي في الاحراش مع الفصيل الصغير من الشرطة ، ظنا من المجاهدين انه يضم جميع عناصر البوليس المطاردة لهم(٢٦١) ، وحين كشفوا باطلاقهم النار عليه عن موقعهم ، اصبحوا في مواجهة عدد ضخم من الشرطة المدججين بالاسلحة والمستعدين اتم الاستعداد ، بينما لم يكن عددهم سوى تسعة افراد .

السؤال الذي ينبغي ان يطرح في محاولة لتقييم القسام وجهاده هو :

هل كانت معركة يعبد مرحلة النهاية للحركة ولجهود القسام ؟

وقبل ان نجيب على السؤال بالنفي او الايجاب ، من المفيد دعما للاجابة وحتى تكون متوافقة مع الاحداث وغير مناقضة لها ، ملاحظة الامور التالية :

اولا : اظهرت الجماعة روحا اسلامية عالية ، وعرف الفلسطينيون ان هؤلاء المجاهدين قد ارادوها جهادا في سبيل الله ، ودفاعا عن عقيدة الاسلام ، فهم قد التزموا اثناء تجوالهم بين القرى بالصلوات الخمس ، وكانوا في الليل يشعلون النار و يجلسون يتلون القرآن و يسمعون من شيخهم احاديث الجهاد والشهادة في سبيل الله(٢٦٢) وحين استشهد من استشهد منهم ، واسر من اسر ، وجد مع كل واحد منهم نسخة من كتاب الله المجيد «القرآن الكريم»(٢٦٣) ووجد مع الشيخ القسام دعاء ــ نشرت صيغته بعد استشهاده● ــ كان الشيخ يضعه في عمامته وفي هذا تعليم للناس ان الدعاء مقرون في الاسلام بالعمل ، فهذا عالم ازهري يحمل ورقة الدعاء والبندقية فلا يستغني بأحدهما عن الآخر .

كما ان احد المجاهدين كان يحمل معه كتابا في الفقه الحنبلي وجد معه حين استشهاده(٢٦٥) وحين صاح عربي من رجال البوليس طالبا من المجاهدين الاستسلام ، اجابه الشيخ عز الدين القسام بصوته الجهوري قائلا : «اننا لن نستسلم ، ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن» والتفت الى زملائه وقال : «موتوا شهداء»(٢٦٦)

---

* الشهداء هم الشيخ عز الدين القسام ، يوسف الزيباوي ، عطيفة المصري ، احمد الشيخ سعيد ومحمد ابو قاسم خلف الذي استشهد في ١٩٣٥/١١/١٧م .

● كتب الشيخ القسام دعاءه على النحو الاتي : «اعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم في كل ما انا عازم عليه ، اعوذ بعزة الله وقدرته من قدرة الكافر والاته النارية ، ومما يقدرون . اعوذ بعزة الله وقدرته من كل عزة وقدرة تعاديني في امري . سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، سألت الله ان ينصر دينه»(٢٦٤) .

وفهم الشعب الرسالة التي بلغها القسام فالموت الشريف خير من الحياة الذليلة المستكينة .

ثانيا : ان معركة يعبد هي اول مواجهة مسلحة بين العرب و بين الانجليز منذ بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين ، وقد اثبتت هذه المواجهة ان الانجليز هم سبب نكبة البلاد وهم العدو الاول ، وفي هذا انتقاد شديد للزعامة العربية التي ابقت على جسور التفاهم والحوار مع الحكومة الانتدابية .

و بعد المعركة بأيام وجدنا صحيفة الجامعة الاسلامية وهي من اوسع الصحف الفلسطينية انتشارا آنذاك ، تهاجم في مقال رئيسي لرئيس تحريرها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي زعماء فلسطين وتقول انهم يسعون خلف مصالحهم ، وانهم غير مخلصين للوطن .

ووصفهم الفاروقي بصفات عدة بين فيها عدم قيامهم بالواجب الذي نصبوا انفسهم قائمين عليه ، وهاجم الائتلاف الحزبي الذي يتزعمه الحاج امين الحسيني لانه ضعيف ، وهزأ باجتماعاته لعدم جدواها : «واذ بالقوم* يجتمعون ليكتبوا كتابا او ليستجدوا جوابا او ليسألوا مقابلة او زيارة»(٢٦٧) وكل هذا الانتقاد بوحي من بطولة القسام وسلوكه طريقا جديدا .

وكتب «ابن الوليد» عن الاستعمار وانتكاب الامة العربية به ، وقال ان حادث الشهيد عز الدين القسام وصحبه الابرار خير دليل على فشل سياسة الانتداب في فلسطين ، وعلق على محاولة الانجليز انتقاص قيمته وتشو يه غايته ، بقوله : «ان الامة قد تيقظت له واحسنت الظن به ورفعت ابطاله الى المرتبة التي يستحقونها من التمجيد والاجلال ، وتلك ظاهرة نفسية لها دلالتها الصريحة التي يدركها كل متتبع لتواريخ نهضات الامم»(٢٦٨) وقال ان ظاهرة يعبد هي آكد في نفع القضية ، واقض لمضاجع السلطة الاستعمارية من الف مذكرة ومذكرة !!

«فليتدبر هذا (المؤتلفون) المفاوضون وليعلموه فهو اجدى عليهم من كل ما يطمعون فيه من غنم هو العزم بعينه لو يعلمون»(٢٦٩) .

وعلقت صحيفة فلسطين على تقدير الامة للمجاهدين القساميين بمقالها الافتتاحي يوم السبت ١٩٣٥/١١/٢٣ فقالت مبينة اهمية عمل القسام : «خطأ السياسة البريطانية في حكم العرب هو اعتمادها على قوتها واعتزازها بأساطيلها البحرية والجو ية ، دون اقل عناية بارادة العرب ، ومصلحتهم ، وحقوقهم في الحياة .

ومن سخرية القدر بهذه السياسة الخاطئة ومبالغته في العبث بها ان لا يثور المتمرد الشهيد المرحوم الشيخ عز الدين القسام على السياسة الانجليزية في البلد حتى تتم انجلترا انشاء مرفأ حيفا وتحو يله الى قاعدة بحرية كبرى ، ورصد اسطول ضخم فيها ، وحمايته بمئات الطيارات في الهواء ، والحصون والاستحكامات في البر ، ثم لا يثور الا في حيفا ...

نعلم ان رجال السياسة سيقولون وما خطر ثورة عز الدين هذا وامتثاله امام قواتنا في البر والبحر والهواء ؟ ولكن احق من ذلك ان نقول نحن : يا لفشل سياسة عجزت ان تروض العرب على السكون بعد ١٨ سنة من التدريب والتغرير والارهاب بقوات البر والبحر والجو» .

وقالت صحيفة «الاو بزرفر» اللندنية في مقال لها ان جهاد العرب الحقيقي في سبيل التحرر بدأ بقيام حركة القسام** .

* اي زعماء الائتلاف الحزبي .

** هذا ما نقله صاحب مقال «شيخ الثورة الفلسطينية» المنشور في مجلة الرابطة العربية ، العدد ١٧ ، ١٩٣٦/٩/١٦ ، ص ٢٥ .

ثالثا : كان لاستشهاد القسام ردة فعل قوية في فلسطين من اقصاها الى اقصاها ، وتدل ردود فعل كافة فئات الشعب على تعاطف شعبي عارم مع فكرة الاستشهاد في سبيل الله والوطن ، فيعبد كانت مدرسة للامة وكانت حافزا على البذل والتضحية . يقول عبد الله ابو مخلص في مقال له نشر اثناء الثورة العربية الكبرى ، يصف أثر يعبد على الثورة : «ومن تحصيل الحاصل او اعلام المعلوم ان نقول ان استشهاد المجاهد القسام وصحبه كان حجر الزاوية للثورة التي قامت سوقها واستعرت نارها في فلسطين نصف حول كامل»(٢٧٠) .

اما عمر ابو النصر فيرى ان الثورة لم تبدأ في نيسان ١٩٣٦ ، بل بدأت يوم تشييع القسام ، «يوم رأينا حيفا تضطرب في موجة حزن وتجتمع في نعش ميت وتخرج بأعلامها وراياتها والامها واحزانها ، ونسائها وشيوخها وشبابها ، تضع هذا كله على بضعة اشبار من الارض استراح اليها بطل ضحكت امانيها على فمه ، ولم تفطن الى عبقريته وتضحيته حتى سقط على ارضها صريعا ، وانتقل من دنيا تموج بالضجيج الى دنيا لا تأنس بالعجيج ، عند اذ فطنت الى عظم ما قام به في سبيلها وكيف انه نفخ فيها روحا لم تكن تفطن لها من قبل ، ولا تتعلق بها بسبب طو يل او قصير ، وكذلك جعل الله من جثة القسام الهامدة وطنا يشعر بالحرية و يميد لذكرى التضحيات ، بل ياله من جسد لم يكد الموت يتلقاه حتى افاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الارض من غير ان يفطن واحد منهم الى اضواء الحياة»(٢٧١) .

بهذه الملاحظات الثلاث يصبح من المنطق القول ان القسام ــ كفكرة وحركة ــ لم ينتهي باستشهاده في يعبد ، بل لعل الحادث ادى الى ما كان يتمناه الرجل و يسعى اليه من تحقيق العمل الجهادي في فلسطين . وقد اجاب المؤرخ امين سعيد على السؤال المطروح فقال ان الكثيرين ظنوا بالدعوة القسامية بعد استشهاد مؤسسها الظنون وقالوا ان رجالها قد تفرقوا وانها لن تظهر ثانيا بيد ان سير الحوادث اثبت العكس ودل على انها اقوى وامتن مما ظن وانها ذات نظام دقيق وتشكيلات واسعة ولها الكثير من الانصار والمؤيدين(٢٧٢) .

(٥) ردود الفعل على استشهاد القسام :

خلف استشهاد القسام ردود فعل عميقة في نفوس العرب في كل ارجاء فلسطين ، كما انه ولد احساسا بالحقد والخوف لدى اليهود ، عبر عنه من خلال ما نشرته الصحف الصهيونية على صدر صفحاتها من اخبار وتحليلات وكان للتعاطف الجماهيري العارم مع الشهداء اثره العميق في تغيير مجرى الصراع الاسلامي الصهيوني في فلسطين ، بحيث يمكن القول ان دراسة ردود الفعل هذه تعني دراسة نقطة انعطاف تاريخية هامة في فلسطين ، كانت السبب في اغلب الحوادث التي تلت وهي التي بنت القاعدة الاساسية لها . وتمايزت ردود الفعل هذه في اتجاهين رئيسيين هما موضع اهتمامنا :

الاول : ردة الفعل العربية

والثاني : ردة الفعل الصهيونية

(٥ ــ ١) ردة الفعل العربية :

ترتسم الملامح الاولى لردة فعل الجماهير العربية في فلسطين في الجنازة الضخمة الذي شيع بها ثلاثة شهداء في مدينة حيفا ، وفي جنازة احمد الشيخ سعيد الحسان ، ثم في اقامة صلاة الغائب على ارواحهم في جميع مدن فلسطين ، وتمتد ردة الفعل الى ظواهر اخرى اجتماعية وسياسية وعسكرية .

أ ـ جنازة الشهداء في حيفا :

نقلت جثث القسام والزيباوي والمصري من حرش يعبد الى القرية ووضعت في ساحتها بانتظار وصول فريق من شرطة حيفا انيطت به مهمة ارسالها للمدينة . ووصلت سيارة البوليس القادمة من حيفا مدينة جنين بعد الساعة الثانية ظهرا وكانت تقل خمسة افراد من البوليس العربي بقيادة نوري العبوشي●، وتسلم هؤلاء جثة الشهيد القسام والزيباوي والمصري، وتلقوا اوامر من قيادة البوليس بتسليمهم لذو يهم في المدينة(٢٧٣) ، وكما يبدو فانهم في اوساط الحكومة لم يتوقعوا ردة فعل عنيفة لدى سكان الشمال فقرروا تسليم الجثث لعائلات الشهداء(٢٧٤) مع اشتراط شرطين : اولاهما ان يكون الدفن في الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٥/١١/٢١ ، وثانيهما ان تسير الجنازة من بيت الشيخ عز الدين القسام الواقع خارج البلدة رأسا وشرقا الى المقبرة في بلد الشيخ(٢٧٦) . وحمل هذان الشرطان معنى واضحا وهو عدم تمكين الناس من السير بالشهداء داخل المدينة(٢٧٧) .

ومن مدينة نابلس كانت تدور اتصالات بين احد اقطاب حزب الاستقلال اكرم زعيتر* ، و بين الشخصية الرئيسية في مدينة حيفا والاستقلالي المعروف رشيد الحاج ابراهيم ، وكان صبحي الخضرة الشخصية المهمة في صفوف الاستقلاليين ينزل وقت الحادث في فندق فلسطين بنابلس ، اتفق هؤلاء الاستقلاليون فيما بينهم على تشييع الشهداء بما يليق بمكانتهم .

وعند منتصف الليل اتصل اكرم زعيتر بجريدة الجامعة الاسلامية واملى عليها بالتلفون بيانا بتوقيعه ، يطلب فيه من الامة والزعماء السير في جنازة القسام واخوانه الشهداء** ، وطلب من محرر الجريدة نشر البيان بالحاح في عدد الغد ١١/٢١ .

وصلت جثث الشهداء مدينة حيفا في الساعة السابعة مساء ، و بدأت الجماهير تتوافد على بيوتهم و بشكل خاص الى بيت الشيخ عز الدين القسام ، وعقد اجتماع في جمعية الشبان المسلمين ولم يجرؤ اي شرطي على حضوره(٢٧٩) .

تمكن صبحي الخضرة من الذهاب الى حيفا في الليلة ذاتها واخذ زمام الامور بيده ، و بعد الاجتماع ذهب

● من بينهم الشرطي حسن العابور الذي روى بعض التفاصيل .

* ولد اكرم زعيتر في مدينة نابلس عام ١٩٠٩ وكان والده الشيخ العالم عمر زعيتر معروفا بمواقفه الوطنية وعمله الواسع وكان اقوى المرشحين لرئاسة المجلس الاسلامي الاعلى في بداية العشرينات . الا انه ابى اقتحام معركة الترشيح هذه حفاظا على وحدة المسلمين بفلسطين . عمل اكرم في الصحافة قبل ان يبلغ العشرين من عمره وتولى رئاسة تحرير كل من صحيفتي مرآة الشرق والحياة .

وكان من مؤسسي حزب الاستقلال عام ١٩٣١ ، ومن خطبائه المشهورين . وكان مؤسسا وعضوا في عدد من الاندية والمراكز ذات التوجه القومي .

شارك في ثورة ٣٦ ـ ٣٩ ، وتولى بعد النكبة مباشرة وزارة المعارف في «حكومة عموم فلسطين» و بعد توقف هذه الحكومة تولى عدة مناصب وزارية في حكومة الاردن ، ثم عين سفيرا للاردن في كل من سوريا ولبنان على التوالي(٢٧٧)

وهو الآن عضو في مجلس الاعيان الاردني ورئيسا للجنة الملكية لشؤون القدس . له عدة مؤلفات واصدر كتابين وثائقيين للقضية الفلسطينية .

** يقول البيان : «نمشي غدا في موكب تشييع صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا ورئيس مسجدها الكبير واخوانه الذين قتلوا في يعبد الى جنبه ونودعهم لحودهم في حيفا . واني لادعو هذا اليوم الزعماء ورؤساء الاحزاب الى السير في الموكب .

النحاس باشا زعيم مصر وجميع زعمائها يمشون كل يوم في طليعة جنائز الشهداء ، فهل يمشي زعماء فلسطين مع شبابها في موكب عالم ديني وصحبه المؤمنين»(٢٧٨) .

عدد من الشباب الى بيت الشيخ عز الدين ورتبوا حرس شرف(٢٨٠) في اليوم التالي ٢١/١١/١٩٣٥ اضربت مدينة حيفا اضرابا شاملا فأغلقت الحوانيت والمتاجر والمطاعم والمقاهي ، وهرعت الجموع الى بيوت الشهداء فغصت بهم ، وذهب قسم من الاهالي الى منزلي الشهيدين يوسف عبد الله والسيد المصري وجاؤوا بجثتيهما الى منزل الشهيد الشيخ القسام ، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة نقلت الجثث في موكب رائع الى الجامع الكبير(٢٨١) وبعد صلاة الظهر صلى الاف المسلمون عليهم صلاة الجنازة ثم ابنهم الشيخ يونس الخطيب ـ قاضي مكة الاسبق ـ بكلمة مؤثرة بين فيها اجر الشهداء وثوابهم عند الله(٢٨٢) .

وبعد ذلك بذلت جهود هائلة حتى امكن الخروج بالشهداء من المسجد الى الساحة الكبرى امامه ، ويصف زعيتر المشهد المؤثر فيقول : «وهنا يعجز القلم عن الوصف . الاف المشيعين ـ والجثث على الاكف مرفوعة ـ تصرخ : «الله اكبر الله اكبر» والنساء يزغردن من السطوح والشرفات والنوافذ . والكشافة ينشدون اناشيد تثير النخوات . ثم ارتفع صوت ، والجثث مرفوعة ، يصرخ : الانتقام ! الانتقام ! فرددت الالوف بصوت واحد كالرعد القاصف : الانتقام ! الانتقام !»(٢٨٣) .

استمرت الجنازة بسيرها* بحماس شعبي هائل ، وبهتافات ثورية تدوي بقوة ، وحدث خلالها اشتباكات مع الانجليز كان من نتيجتها اصابة ضابطي بوليس حيفا «المستر جيمس» و «المستر رنغ» ، كما هوجم قطار يقل ركابا يهود متجهين من حيفا نحو «كريات حاييم» وخوفا من امتداد غضب المشيعين الى مستعمرة الياجور ارسلت وحدات من الشرطة معززة بالسلاح الى هناك(٢٨٤) واصيب شاب عربي هوى عليه جندي بريطاني بهراوته فحطم جمجمته ، فحمل الشاب لعيادة الدكتور عثمان الحمزة لمعالجته(٢٨٥) وكانت حالته خطرة .

استمرت الجموع في سيرها حتى وصلت منزل القسام ، وكان مقررا للجنازة ان تقف هناك ، وان ترسل النعوش في السيارات الى مقبرة بلد الشيخ التي تبعد حوالي «٥كم» عن المدينة ، «ولكن الجمهور الثائر الفائر حال دون ذلك ، وابى الا ان يستأنف السير ، والنعوش على الاكتاف مشيا على الاقدام خمسة كيلومترات حيث ووريت الجثث التراب وهي في حالها الطبيعية وفي ملابسها المخضبة بالدماء الزكية●. وتصور كيف شاهد الجمهور شهداءه الابطال يدفنون بثياب الجهاد المخضبة بالدماء!»(٢٨٦) وقد استغرق السير بالجنازة من الجامع الكبير في ساحة الجرينة الى المقبرة ثلاث ساعات ونصف الساعة(٢٨٧) .

في اليوم التالي هنأ المفتش العام للبوليس الانجليزي «سبايسر» نائب مدير منطقة حيفا «أ.ت.باركر» وضباطه ورجاله على الصبر الذي ابدوه اثناء الجنازة(٢٨٨) ، وبقي المستر جيمس مساعد مدير البوليس ومفتش البوليس البريطاني المستر رنغ في منزليهما عدة ايام بسبب الاصابة التي تعرضا لها في الجنازة(٢٨٩) . وتم اعتقال اربعة شبان عرب اتهموا بالقاء الحجارة على افراد البوليس وعلى مخافر الشرطة ، وتقرر اجراء محكمة لهم(٢٩٠) .

---

* لقراءة تفاصيل اوسع عن سير الجنازة واحداثها انظر ملحق رقم (١٣) او صحيفة فلسطين ١١/٢٢ او يوميات زعيتر ص ٣٢ .

● لم ينزع عن الشهيد القسام سوى حذاؤه وجواربه ، وتقول خيرية فخر الدين القسام ان والدها احتفظ بالجوارب عنده ، وكان يضعها في وعاء زجاجي ، وكلما قرا القران بعد صلاة الفجر اخذ بالجوارب وقبلها ، فتنبعث في الغرفة رائحة زكية .

(ب) جنازة الشهيد احمد الحسان وتكريم ابو قاسم خلف :

في ٢١/١١ دفن الشهيد احمد سعيد الحسان في قرية يعبد ، وكانت جنازته مهيبة جدا سار كافة اهالي القرية بعد ان عطلوا اعمالهم وسار فيها ما يزيد على الار بعمائة سيدة . كما و وفدت وفود اهالي القرية والقرى المجاورة على بيت الفقيد معزية(٢٩١) .

اما الشهيد محمد ابو قاسم خلف ، فقد قرر اهالي جنين بعد ان عرفوا انه احد اعضاء عصبة القسام ان يقيموا له ضريحا لائقا فتألفت لجنة من خيرة شباب جنين ووجهائها لجمع اموال لبناء الضريح ، وكتب شاعر فلسطين عبد الرحيم محمود ثلاثة ابيات لتكتب على الضريح رثاء لصاحبه وقال فيها :

حي يا زائر هذا الرمس — من خلد الدهر له الذكر الحسن
احمد ابن القاسم القرم الذي — مات عند الله ذا فضل ومن
طاول الظلم ولما ان هوى — صاح ان متنا فقد عاش الوطن(٢٩٢)*

(ج) صلاة الغائب على ارواح الشهداء في مدن فلسطين :
عم شعور الحزن والاسى على الشهداء جميع مدن فلسطين فكان للحادثة تأثير قوي في نفوس العرب على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم .
ففي مدينة نابلس اضطرب الاهالي للحادث ، وسافر منهم وفد من الوجهاء والشباب للاشتراك في تشييع جثمان الشهداء بحيفا(٢٩٣) ، كما اقيمت صلاة الغائب في جميع مساجد المدينة بعد صلاة الجمعة ٢٢/١١(٢٩٤) ونعي القسام على مآذن مدينة صفد وصلي عليه وعلى رفاقه صلاة الغائب في مساجدها(٢٩٥) .
اما في الخليل فقد كان لاستشهاد الشيخ ورفاقه تأثير عظيم في نفوس اهل المدينة ، وعمهم الحزن والاسف ساعة بلاغهم النبأ(٢٩٦) ، واقيمت يوم الجمعة ٢٢/١١ صلاة الغائب على ارواحهم في المسجد الابراهيمي وفي مساجد المدينة الاخرى(٢٩٧) وتقرر ان يسافر وفد من اهالي المدينة في ٢٣/١١ الى مدينة حلحول للتعزية بالشهيد محمد ابو قاسم خلف(٢٩٨) .
وعم الحزن العميق سكان مدينة القدس عندما سمعوا المؤذنين ينعون القسام ، وهرع الكثيرون الى المسجد الاقصى للاشتراك في صلاة الغائب(٢٩٩) . واقيمت صلاة الغائب في مدينة قلقيلية وفي طيبة بني صعب . وأبّن الشهداء في مدينة يافا في الجامع الكبير ، وقد اذيع بمكبر الصوت الخاص في المسجد نبأ استشهاد القسام ورفاقه قبل صلاة الجمعة ودعي المسلمون لاقامة صلاة الغائب ، والقى الشيخ فوزي الامام خطبة الصلاة فأبان للجمهور كيفية وقوع الشهداء الابرار و بين ثوابهم عند الله ، ثم اقيمت صلاة الغائب على ارواحهم(٣٠٠) .
وفي غزة نعي الشهداء في المسجد العمري الكبير ، واقيمت صلاة الغائب على ارواحهم فيه(٣٠١) . وشاركت مدينة دمشق مدن فلسطين بالحزن على الشهداء ، فنعي القسام ورفاقه على جميع مآذن العاصمة السورية واقيمت صلاة الغائب على ارواحهم(٣٠٢) .

---

* لا يزال ضريح محمد ابو القاسم موجودا الى الان في مقبرة مدينة جنين .

وكتب مراسل جريدة الجامعة الاسلامية في يافا واصفا ردة فعل اهالي المدينة على الحادث فقال : «وجوه ساهمة ، ونفوس حيرى ، وافئدة مضطربة تكاد تمزق من عظيم المصاب الما وحسرة ، جميع هذا كان ظاهرا للعيان ، تقرأه لاول وهلة في وجه كل من تلقاه في هذا البلد العربي ، ولقد طفت معظم الاندية العربية على اختلاف نزعاتها السياسية والدينية فكنت لا اسمع غير التحدث عن مزايا الشهيد الجليل الشيخ عز الدين القسام واخلاقه الفاضلة وكيف كان «عطر الله ثراه» خير نبراس لمكارم الاخلاق والوطنية الصادقة»(٣٠٣) كما كتب مراسل الجريدة في طولكرم يقول ان سكان قضاء بني صعب لا حديث لهم سوى حديث الشهداء والتضحية التي قدموها للوطن(٣٠٤) . اما المراسل في صفد فقال ان الانجليز رغم قتلهم للقسام الا انهم اعجز من ان يبعدوا روحه المرفرفة على الشعب(٣٠٥) .

وكان من اجمل صور التعاطف الجماهيري مع القسام تسمية الاطفال باسمه ، واول من فعل هذا مواطن من مدينة صفد يدعى سعيد عزيز عيسى ، رزق بطفل بعد استشهاد القسام فسماه القسام ذكرى للشهيد عز الدين(٣٠٦) .

(د) برقيات التعزية :

ارسلت برقيات تعزية بالشهداء لثلاث جهات : عائلات الشهداء وفي الاغلب للشيخ فخر الدين القسام شقيق الشيخ عز الدين ، جمعية الشبان المسلمين والجمعية الاسلامية بحيفا واللتان كان القسام عضوا فيهما .

وعبرت الكلمات القليلة التي كتبها مرسلو البرقيات عن خلاصة ما وجده الناس في جهاد القسام ونظرتهم لعمله ، اي تقييمهم لتجربته الجهادية .

نورد هنا نماذج من هذه البرقيات مع ذكر بعضا ممن ارسلوها وذكر توجههم السياسي ليكون بالامكان اخذ اوسع قطاع من الشعب الفلسطيني :

١ ــ «استشهاد الرئيس الجليل القسام وصحبه الابرار مثل اعلى للزعامة الصحيحة فعاهدوا ارواحهم الطاهرة على تحقيق الاماني»(٣٠٧) ــ محمد السبع وامين النصر ، قلقيلة .

٢ ــ «نهنىء الامة بوضع الحجر الاساسي للاستقلال والحرية» ــ شباب مثقفون وصحفيون من بينهم عيسى السفري* وحمدي الحسيني**(٣٠٨) .

٣ ــ «نعزيكم والامة بفقد الاسد الهصور ، الثائر على الظلم والاستعمار»(٣٠٩) ــ شبيبة يافا .

٤ ــ القسام «ادى رسالة الواجب في سبيل دينه وبلاده ، ثائراً على الظلم واعتساف السياسة البريطاني ..... كلنا على هذا سائرون وفي اعمال المجاهدين ومبدئهم منقادون» ــ شباب طيبة بني صعب ومن بينهم عارف عبد الرازق***(٣١٠)

٥ ــ «قد ضرب البطل الشهيد عز الدين القسام وصحبه المؤمنون المثل الاعلى في التضحية بالارواح في سبيل الله والوطن . اننا نكرم إرواحهم الطاهرة بأن نعاهدها على الموت في سبيل الفكرة العالية التي ماتو لاجلها»(٣١١) ــ عدة شباب مثقفين من مدينة يافا .

---

* عيسى السفري : عمل في الصحافة في مدينة يافا وكان من محرري جريدة فلسطين

** حمدي الحسيني : كان شيوعيا ثم انضم لحزب الاستقلال الفلسطيني .

*** اصبح عارف عبد الرزاق فيما بعد من قواد ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، وكان من الموالين للحاج امين الحسيني خلال الثورة .

٦ ـــ «فاستبشروا ببعيكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم»(٣١٢) ـــ راغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع .

٧ ـــ «الجنة للشهداء الابرار وللعرب العزاء والقدوة الحسنة»(٣١٣) ـــ جمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني .

٨ ـــ «وصول نبأ الفاجعة متأخراً منعنا عن القيام بواجب تشييع الشهداء الابرار . حسبنا الله ونعم الوكيل»(٣١٤) يعقوب الغصين رئيس حزب مؤتمر الشباب الفلسطيني .

يلاحظ في البرقية الاولى انتقاد مبطن للزعامة التقليدية في فلسطين التي لم تعتمد نهج الشيخ القسام . واعتبرت البرقية الثانية استشهاد القسام الحجر الاساسي للاستقلال ، اي ان جهاد القسام هو في سبيل الفلسطينيين نحو بناء كيانهم الخاص . وفي البرقيتان الرابعة والخامسة عهد على سلوك نفس الطريق ، مما يعني تأكيدا ضمنيا على احترام جهاد القسام واعتباره مثلا يقتدى به . اما البرقيات [السادسة ، السابعة والثامنة ، فهي لرؤساء الاحزاب السياسية في فلسطين في تلك الفترة ، و يلاحظ فيها اختلافها الجذري عن البرقيات السابقة التي عبرت عن فئات جماهيرية ، فهي لا تدعو لثورة ولا تعلن صراحة تأييدها لما فعله القسام] ، وهذا الاختلاف تعبير سافر عن اختلاف تقييم تجربة القسام بين الجماهير التي كانت تتعطش للثورة وحمل السلاح ضد الانجليز و بين زعماء الاحزاب الذين ابقوا جسور التفاهم والحوار مع الانتداب البريطاني .

هـــ التضامن مع عائلات الشهداء والانقطاع عن المعايدة :

ابتدأت في مدن فلسطين وقراها حملة واسعة من جمع التبرعات لصالح عائلات الشهداء ، وشاركت في هذه الحملة عدة مؤسسات سياسية واقتصادية ، فقد ساهم الحزب العربي الفلسطيني «حزب المفتي» ، صحيفتي الدفاع والجامعة الاسلامية ، فرع حزب مؤتمر الشباب في حيفا ، جمعية الشبان المسلمين بفروعها المختلفة ، جمعية الهلال الاحمر بحيفا ، فرق الكشافة والاندية الرياضية ، عمال مدينة حيفا ، طلاب المدارس بالاضافة الى الجهود الفردية التي بذلها الشيخ يونس الخطيب مفتي مكة الاسبق ، وقاضي طولكرم الشرعي مصطفى العوري ، واكرم زعيتر(٣١٥) .

وعمم الحزب العربي بيانا على كافة فروعه في البلاد حاثا على المساهمة في جمع التبرعات لدعم عائلات الشهداء . وتشكلت في يافا لجنة خاصة من شباب و وجهاء المدينة من اجل تنظيم جمع التبرعات والاشراف عليها ، وقامت هذه اللجنة بمجهودات قيمة .

ثم تألفت لجنة عليا في كل فلسطين للتنسيق والتعاون بين مختلف الهيئات المساهمة في الجمع ، ورأسها رشيد الحاج ابراهيم مدير البنك العربي بحيفا وصديق القسام المقرب ، و بلغ مجموع ما رصد للعائلات حتى اوائل شهر شباط سنة ١٩٣٦ حوالي ٧٦٧ جنيه فلسطيني(٣١٦) ، وهو مبلغ له قيمته في ذلك الوقت ، بالاضافة للتبرعات العينية الاخرى التي قدمت لابناء الشهداء .

ونشرت الصحف اقتراحا بتعيين يوم يسمى «يوم القسام» لجمع الاعانات فيه لتأمين حياة عائلات الشهداء ، واضافت صحيفة فلسطين جزءا اخر للاقتراح فطالبت ان يكون اول ايام عيد الفطر السعيد هو يوم القسام(٣١٧) ، وان يدفع المسلمون والنصارى الاموال التي يرصدونها للاعياد لعائلات الشهداء بدل صرفها على اللهو والمتعة .

وفعلا جعل عيد الفطر السعيد يوما للقسام والشهداء ، فقررت الاحزاب والهيئات السياسية الانقطاع عن

المعايدات في هذا العام حدادا على الشهداء الابرار ، واذاع جمال الحسيني بيانا باسم اتحاد الاحزاب العربية الفلسطينية راجيا الامة المحافظة على هذا القرار ، وان تظهر شعورها تجاه شهدائها الابرار والمصائب العديدة الحالة بها من جراء السياسة البريطانية(٣١٨) .

ووصف ابراهيم الشنطي رئيس تحرير جريدة الدفاع ، حالة مدينة نابلس يوم العيد فقال : «مررنا بنابلس في فترة العيد ، فاذا طلابها وفتيانها تشاغلوا عن كل اسباب التسلية بذلك الواجب العظيم : جمع التبرعات لعائلات الشهداء . وليس اجمل من ان ترى فتيانا وشبانا هجروا زينة العيد الا تلك الشارات ترف على الصدور فوق القلوب مكتوب عليها :

« مـات القسـام فخلدوا ذكـراه »

وغادروا المدينة الى القرى في لباس الكشاف العربي ، وفي لباسهم العادي ، يدعون اهلها الى الواجب ، فما تأخرت قرية ، ولا امسكت يد ، بل فاضت الاكف(٣١٩) بالعطاء في مروءة وسخاء ، **واي عربي يتأخر عن ارضاء القسام في قبره ؟**» ، واستقبلت حيفا في يوم العيد عشرات الوفود من مختلف مدن وقرى فلسطين قدمت لزيارة قبور الشهداء في بلد الشيخ ، وزيارة بيوتهم حاملة لابنائهم مختلف الهدايا(٣٢٠) .

(و) القسام رمز في الحفلات الوطنية :

اقام شباب يافا الاستقلاليون في ١٩٣٥/١٢/٩ وهو ذكرى احتلال الانجليز لمدينة القدس حفلا تنديديا لهذه الذكرى في سينما ابولو ، وقد حضرها الاف الناس ، وعلقت في صدر القاعة صورة مكبرة للشهيد عز الدين القسام . وافتتح محمد نمر عودة الاجتماع «باسم الله والامة والشهداء القسام وصحبه» ودعا الحضور الى الوقوف دقيقتين تمجيدا لذكراهم .

وحين صعد اكرم زعيتر المنصة لالقاء كلمته ، قوبل بعاصفة من الهتاف والتصفيق فقال : «هذه الايدي التي تصفق والحناجر التي تنطلق ذكرتني بتلك الايدي والاصوات التي انطلقت في موكب القسام وصحبه مدوية : الله اكبر ، الله اكبر» ، وقال «اهجروا التصفيق للاشخاص واهتفوا معي للحرية والاستقلال ولذكرى الشهداء الابطال» ثم تحدث زعيتر عن معنى استشهاد القسام ومعنى تمجيده والتبرع لعائلته واخوانه وتسمية الاطفال باسمه ، وقال انه لن يذهب بحقيقة بطولته واخوانه الادعاء بأنهم لصوص كما جاء في بلاغ دار المندوب السامي في مصر والمنشور في جريدة «المقطم» .

وفي ختام الاجتماع صدر بيان عن المجتمعين جاء فيه : «انتهز المجتمعون فرصة الاجتماع الكبير ليعلنوا تقديسهم لذكرى البطل الشهيد عز الدين القسام وصحبه رحمهم الله ، و يدعون الامة الى تمجيدهم باعتبارهم قد عبروا عن سخط الامة الشامل(٣٢١) .

خلال الاضراب الكبير كان القسام رمزا للصمود والتضحية ، وكان الفلسطينيون يحملون صورته في الاجتماعات الشعبية . ففي اجتماع شعبي كبير عقد في قرية «قصرة» (من قرى نابلس) بتاريخ ١٩٣٦/٥/٤ ، رفعت وفود قرى يانوب ، قبلان ، جوريش ، المجدل ، دوما ، تلفيت ، كريوت وجالود صورة مكبرة للشهيد القسام مع الرايات والاعلام المشرعة في الاجتماع(٣٢٢) .

(ز) حفلات تابين الشهداء :

بـادر فـرع مـؤتـمر الشباب العربي الفلسطيني في حيفا باتخاذ قرار في ١٩٣٥/١١/٢١ باقامة حفلة تأبينية للـشـهـداء في ذكـرى الاربـعـين(٣٢٣) واقـتـرح اهـالي صـفـد اقامة حفلات تأبينية في كل مدن فلسطين تتبناها جـمـعـيات الشبان المسلمين(٣٢٤) ، وقرر شباب مدينة نابلس في شهر كانون اول ١٩٣٥ اقامة حفلة تأبينية في احـراش يـعـبد في نـفـس المكان الذي استشهد فيه القسام ، وشكلوا لجنة منهم من اجل اقامة نصب تذكاري للـشهداء في الموضع المذكور(٣٢٥) ومع اقتراب ذكرى الاربعين بدأت جمعية الشبان المسلمين بحيفا الاستعداد لاقـامة حفلة تأبينية كبرى وتشكلت لجنة خاصة للاشراف على الاحتفال رأسها رشيد الحاج ابراهيم(٣٢٦) كما قـرر حـسـين الـشـوا اقـامـة حفلة اخرى في مدينة غزة بتاريخ ٣٦/١/١٧ يخطب فيها خطباء حزب الاستقلال الـفلسطيني : حمدي الحسيني ، عجاج نو يهض ، اكرم زعيتر ، هاشم السبع ومحمد نمر عودة(٣٢٧) . وفي قرية جبـلـة «حـيـث ولـد الـقـسام» تقرر اقامة حفلة تكريمية له(٣٢٨) . وفي اول ايام عيد الفطر السعيد ذهبت وفود اهـالي جـنـين تـتـوسـطـهـم فـرقـة من الطلبة ينشدون الاناشيد الوطنية وتتقدمهم الاعلام والاكاليل الى مقبرة الـمـديـنـة ، حيث قام رئيس البلدية فهمي العبوشي بازاحة الستار عن ضريح المجاهد محمد ابو القاسم خلف ، والقى خطابا تأبينيا تبعه مجموعة من شباب وادباء جنين بقصائد وخطابات مماثلة(٣٢٩) .

وفي الـخـامس من كانون الثاني ١٩٣٦ اقيمت في مدينة حيفا حفلتان الاولى لفرع مؤتمر الشباب والجمعية الاسلامية والثانية لجمعية الشبان المسلمين .

وقـد عـكـسـت الـحـفلتان الاختلاف الحزبي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ففي حين كانت قيادات وجمهرة مؤيدي حزب الاستقلال وراء حفلة جمعية الشبان المسلمين ، كانت باقي الاحزاب «العربي ، الدفاع ، مـؤتـمـر الـشـبـاب والاصـلاح» وراء حـفـلـة فـرع مـؤتـمـر الـشـبـاب . وقد كتبت جريدة الجامعة الاسلامية في ١٩٣٦/١/١ تـقـول ان جـمـعـيـة الـشبان المسلمين وجمهرة الشباب الحر بواد ورؤساء الاحزاب بواد اخر(٣٣٠) و يـبـدو ان مـوقـف الاحـزاب مـن اقـتـراح الـمجـلـس الـتـشـريـعي الذي اقترحه المندوب السامي حلا للصراع في فـلـسـطـين لم يعجب الاستقلاليين والعناصر الثورية الشابة فقام هؤلاء بتنظيم احتفال اخر ، مستفيدين من الـتـعـاطـف الـجـمـاهيري مع تضحية القسام واستشهاده للهجوم على محاولات المندوب السامي تمرير الوطن القومي اليهودي من خلال الحلول الاستعمارية .

لا يـعـنـيـنا هنا الدخول في تفاصيل الخلاف ، وانما نكتفي بالحديث عن بعض الكلمات التي القاها خطباء حـفـلـتـا الـتـأبـين لـتـكون احدى الشواهد على تأثير استشهاد القسام : زشيد الحاج ابراهيم الذي افتتح حفلة جـمـعـية الشبان المسلمين بكلمة القاها نيابة عن الجمعية تحدث عن الشهيد كرئيس للجمعية التي رأت من الـواجـب الـوفاء لرئيسها السابق وصحابته وان تقوم بحفلتها التأبينية تخليدا لذكرى الشهداء وتمجيدا للمبدأ الـسـامـي الذي دفعهم الى طلب الموت **تخلصا من هذه الحياة التي اصبحت لا تطاق** ، وذكر ان حادث استشهاد القسام لم تكن الا نتيجة طبيعية لسياسة تهو يد فلسطين التي تتمشى عليها بريطانيا(٣٣١) .

ثـم تـلاه سـلـيـمــــان الـفـاروقــــي صـاحــب الجامعـــة الاسلاميـــة بكلمـــة تمجيد للقسام ، وحث على الاقـتـداء بـه وانـه لـيس في الـبلاد ما يؤسف عليه ، وهاجم المجلس التشريعي ، وقال : «اننا يا جيران القسام نحج الى بلدكم كما نحج الى كعبتنا ، اليس غريبا ان ينجم ذلك الرجل في حيفا حيث القوة والبطش .

ان الـقـسـام حـي ونـحـن الاموات ، من لنا بقسام يؤبن القسام . وان القسام نقل قضية البلاد من دور الكلام الى دور العمل و بذلك آن لسياسة الواقع ان تزول(٣٣٢) .

ثـم تـلاه عوني عبد الهادي نقيب المحامين فتحدث عن القسام الذي امتطى الجبال ليتمتع بالحياة الحرة والـهـواء الـطلق ، ثم بحث عن الفضيلة التي لا تكون الا بالعمل لا بالعلم او الفن ، فان الانسان قد يكون عالما او فـنـانـا ولا يكون فاضلا واول الفضائل هي المفاداة في سبيل الخير العام . وختم كلمته بقول : ليس في الحياة

جمال او سعادة ، رحم الله القسام ، اولى للانسان ان يعمل فيموت من ان يعيش حياة لا شرف فيها»(٣٣٣) .

ثم تلاه اكرم زعيتر بخطاب حماسي حمل فيه على السلطة والاستعمار وندد بسياسة التهو يد وقال «ان هذه حفلة تأبين لسمعة المستعمرين . كلنا نموت ، انما الفرق بيننا و بين القسام انه **عرف كيف يموت** وكيف يدخل الجنة . ان الشهيد **احسن التعبير عن ارادتكم** فكان اول ترجمان ابنته هذه الامة»(٣٣٤) .

ثم وقف ابراهيم الشنطي رئيس تحرير جريدة الدفاع والقى خطابا جميلا» قال فيه «في يعبد لنا ثار ، لنا حسين ، لنا كر بلاء ! في يعبد لنا جامعة . لنا اساتذة . لنا شهداء !»(٣٣٥) .

وتحدث احمد الشقيري عن المجلس التشريعي وانه ليس من تقاليد بريطانيا فعل الخير لنا ، ثم قال : «لم يكن الشهيد وصحابته قتلة فيجند لهم مائتا جندي ادعاء بأنه اخل بالامن العام ، بل كان رحمه الله شهيد امة و بطل شعب ، حاول المستعمرون ان يصموه باشاعات كثيرة فقالوا ان الشيوعيين هم الذين استخدموه ، كذبوا ، بل كان القسام اشرف هدفا واسمى نزعة ، ولم تترك لنا بريطانيا مجالا نصدق به او له ، لاننا نشك في كل الدول شكنا وارتيابنا في الانجليز انفسهم»(٣٣٦) .

وذكر حمدي الحسيني في خطابه كيف تعرف بالشهداء وقال «اشد ما يؤسفني انني تلقيت خبر استشهاده ونحن جلوس فخجلت ان نحرم من ميتة كميتته ، لكن يعزينا انه سيأتي اليوم الذي نقف فيه مثل تلك الوقفة . ان القسام عدل من هذه القضية ما اعوج»(٣٣٧) .

وقيم صبحي الخضرة استشهاد القسام وجهاده فقال في خطابه : «**ان القسام قضى على الردة التي افسدت على البلد اتجاهه** . اننا لا نؤبن ملكا ولا زعيما ولا رئيسا ولكن رجلا من صميم الشعب صار حديث البلد وشغل دولة بأسرها»(٣٣٨) .

اما عجاج نو يهض فقال : «سافر القسام وكان جواز سفره الاكبر مصفحا في جيبه وقلبه»(٣٣٩) .

اما في حفلة الاحزاب المؤتلفة فقد القى الدكتور سليم سلامة كلمة فرعي مؤتمر الشباب العر بي في حيفا والطيرة ، ثم القيت كلمة حزب الدفاع الوطني الفلسطيني ، فكلمة لجمال الحسيني رئيس الحزب العربي قال فيها●: «القسام اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في اجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم» ، وقال ان ثورة القسام كانت «ثورة على الشباب على القاعدين امثالنا جميعا» .

ثم القى الدكتور رشدي التميمي كلمة حزب الاصلاح الفلسطيني وتبعه يعقوب الغصين بكلمة مؤتمر الشباب العربي .

والقى الشيخ رشاد الحلواني كلمة الكتلة الوطنية في سوريا ، ونمر المصري كلمة عصبة تكريم الشهداء في بيروت(٣٤٠)

* * * * * * * * * *

مما سبق يتأكد لدينا صحة اعتبار ثورة القسام مقدمات اساسية للثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ونلمس من خلال اقوال وكلمات زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية عمق التأثير الذي احدثه جهاد الشهيد القسام .

---

* انظر النص الكامل للخطاب في الملحق رقم «٣٥» .

● انظر النص الكامل للكلمة في الملحق رقم «٣٧» .

(٥ ـ ٢) ردة الفعل الصهيونية :

لم تخف الصحافة اليهودية فرحتها الغامرة لتوفق الانجليز في قتل عدد من الجماعة المجاهدة التي كانت وراء موت موشيه روزنفلد والقاء القبض على عدد اخر ،وابدت جرائد هاياردن دافار ، هارتس ، هابوكر داورهايوم والبالستاين بوست اهتماما كبيرا بأخبار القسام وجماعته ، وواصلت نشر كل ما يتعلق بهم من اخبار وتعليقات مركزة الاضواء على احداث قتل اليهود في شمال فلسطين في اوائل الثلاثينات «٣١ ـ ٣٣» ، وقد عقدت صحيفة هارتس في «٢١/ ١١» مقالا رئيسيا عن اعمال جماعة القسام ضد المستعمرات اليهودية ، كما أثار وجود احد المتهمين بتنفيذ عملية نهلال التي قتل فيها يعقوبي وابنه والذي سبق وان برأته المحكمة اهتمام اوساط واسعة من اليهود ، وكتبت صحيفة دافار في ٢١/١١/٣٥ على الصفحة الاولى و بعنوان بارز ان من بين المقبوض عليهم احد المتهمين بقتل يعقوبي وابنه .

وفي نفس يوم المعركة بين المجاهدين والانجليز اعلنت سينما تل ابيب على الشاشة البيضاء بأحرف عبرية كبيرة خبر الاشتباك بين الشرطة و بين جماعة عربية مسلحة وصفتها بعصابة لصوص وقتلة واعلنت عن توقف الشرطة في القضاء عليها . كما وزعت بعض الاوساط الصهيونية في مدينة تل ابيب منشورات خاصة حول الحادث(٢٤١) .

ونشرت صحيفة دافار الخبر فور وصوله في ملحق خاص وزع في الشوارع وخلال ذلك نعتت الصحف الصهيونية المجاهدين بنعوت قبيحة عكست الحقد الدفين الذي حمله اليهود لهم ، فوصفوا بأنهم عصابة ارهابيين ، قتلة ، لصوص ، قطاع طرق ومجرمين وكان هذا الوصف هو الملازم للحديث عن الجماعة واخبارها ، وقالت البالستاين بوست ان المعلومات الشخصية الخاصة بالجماعة تشير الى ان ماضيهم لم يكن نظيفا ، فالشيخ القسام كان مطلوبا من قبل البوليس الفرنسي في سوريا خلال الاثني عشرة سنة الماضية بتهمة القتل ، وهذا يناقض محاولات تمجيدهم كشهداء سياسيين(٢٤٢) من قبل الصحافة العربية . وهي تهدف من هذا القول التقليل من الاهمية الكبيرة التي اولاها المسلمون في فلسطين للقسام ورفاقه المجاهدين .و يتضح من قيام هذه الصحف بنقل تعليقات الصحف العربية واخبار ردة الفعل العربيّة للحادث ، ان شعورا بالقلق والخوف سكن افئدة اليهود نتيجة لقدرة العرب على مواجهة الانتداب والصهيونية بالسلاح ، ولم تكتف بنقل ردود الفعل العربية بل كانت في الغالب تعلق على مقالات تمجيد القسام والحديث عن بطولته بعبارات وقحة فيها الاستهزاء والسخرية بالعرب(٢٤٣) .

وقد عقد الادون ديزنكوف القائد الصهيوني لمدينة تل ابيب اجتماعا في المدينة احتج فيه على اعمال الجماعة وسماها بالعصابة الارهابية ، وهاجم مدح الصحف العربية لها(٢٤٤) . كما تحدثت صحيفة هياردن في مقال لها عن العرب وقيامهم بأعمال جنونية وقالت ان زعماءهم يلعبون بالنار وتساءلت الى متى هذا ؟؟ وهل تريد الحكومة من اليهود ان يبقوا مكتوفي الايدي ؟ الا ترى الحكومة بندقية القسام الموجهة الى بريطانيا التي انقذت العرب من عبودية الاتراك ؟ ثم قالت انه يجب على اليهود ان يفتشوا بكل جرأة عن الوسيلة التي تمكنهم من الدفاع عن انفسهم !!(٢٤٥) ونشرت صحيفة اخرى تقول : «اننا ما كنا نعلم ان التعاليم المحمدية تقول ان ارواح الحمقى والشريرين (مشيرة الى المجاهدين الشهداء) في السماء»(٢٤٦) .

وفي مقال رئيسي لجريدة دوارهايوم هاجم المحرر موقف وزارة المستعمرات من طلب احد اعضاء مجلس العموم «ودجود» ان تقوم الحكومة بتحقيق خاص في شأن الجماعة العربية المسلحة التي قتلت روزنفلد وان يعرف كيف حصلت على السلاح ، وكان جواب وزير المستعمرات الانجليزي انه لم يتلق جوابا من حكومة فلسطين عما اذا كانت هذه الجماعة هي التي قتلت روزنفلد ام لا . ووصفت الصحيفة المذكورة المجاهدين بأنهم عصابة مجرمين(٢٤٧) .

ولم تتوقف الصحف اليهودية عند حد الشتائم وتسمية المجاهدين بالاجرام ، بل حاولت تغييب الطابع الاسلامي للقسام ورفاقه ، فقامت بالترو يج لفرية اتصال القسام وعلاقته بقوى خارجية . فأوردت جريدة دوارهايوم يوم ١١/٢٤ اشاعة مفادها ان جماعة القسام كانت تجد دعم وتأييد من دولة غربية والتي تهتم بتأييد العرب . و بموجب هذه الاشاعة فان الوسطاء بين اعضاء الجماعة و بين موفدي تلك الدولة كانوا من زعماء الشباب في نابلس(٣٤٨) ثم عادت دافار في ١١/٢٨ وادعت ان القسام كان على علاقة بالشيوعيين وانهم خططوا معه لقتل اليهود .

وردت الصحف العربية على هذه الاشاعة اليهودية فقالت ان الهدف منها اظهار الانزعاج من السبيل الخطر عليها الذي انتهجه القسام و يظهر ان العرب اخذوا يفكرون بالاتجاه اليه(٣٤٩) . كما سفهت صحيفة الدفاع هذا الزعم ، وردت على حديث احدى الهيئات الصهيونية التي ادعت ان هناك برقية وردت من دمشق ، تقول ان اخوان القسام اجتمعوا بداعية شيوعي هناك لتجديد الحملة ضد اليهود ، وان اموالا طائلة بلغت «١٥ الف جنيه» دفعت ثمنا لشراء الاسلحة ولتمو يل الحملة . وردت الدفاع قائلة بأن الشيوعية موجودة في نطاق تل ابيب والمستعمرات وان الشهيد القسام لم يقعد في بيته ينعم بالمال مثل الذين يتنعمون به بل ذهب الى المغاور والجبال وضحى بنفسه وراء غاية اسمى من غاية الشيوعية(٣٥٠) .

و يؤكد كذب الادعاء الصهيوني هذا فقر القسام وجماعته للمال وضعف تسليحهم مقارنة مع الادعاء الصهيوني بضخم حجم المبلغ المدفوع اليهم . كما ان منهج الشيوعيين لم يكن يؤيد القيام بعمليات مسلحة ضد اليهود في تلك الفترة وغالبية اعضاء الحزب الشيوعي كانوا من اليهود . ورغم ترو يج الاوساط الصهيونية لهذه الافتراءات الا ان الدعاية هذه توقفت ولم تجد أذانا صاغية عند العرب ، واكدت دائرة الامن العام ان الشيوعية لم تستطع جذب القسام وعصبته اليها(٣٥١) .

أما في الوكالة اليهودية فكان الاعتقاد بوجود علاقة بين المنظمة السرية التي اكتشفت في بيروت في تلك الفترة والتي تهدف الى توحيد سوريا ، لبنان ، فلسطين وشرقي الاردن ، وتسير على خطط نازية* ، و بين جماعة القسام ، و يستند هذا الاعتقاد الى اكتشاف رسالة ارسلت من قبل المنظمة السرية في بيروت لشاب حيفاوي يدعى علاء الدين بنهاني(٣٥٢) .

وواضح من تأمل اسماء اعضاء عصبة بيروت ان اغلبهم نصارى بينما لم يكن في جماعة القسام اي نصراني ، كما ان الشاب الحيفاوي الذي قرن مسكنه مع وجود القسام في نفس المدينة لم يثبت ان له اي علاقة بالقسام في اي مصدر او مرجع تاريخي . في اوساط الهاجاناة ساد اعتقاد اخر وهو علاقة القسام بالايطاليين ، ووجود روابط بينه و بين عملاء ايطاليين**(٣٥٣) .

---

* من اعضائها انطون سعادة الاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت ، نعمة ثابت ، المحامي عبد الله القبرصي ، المهندس جورج حداد ، فكتور اسعد ، المدرس زكي نقاش ، مامون اياس وجورج صليبي .

** لم يذكر اي مصدر عربي عن علاقة للقسام بايطاليا سوى صبحي ياسين ، الذي قال ان الشيخ اتصل بقنصل ايطاليا في القدس اثناء حرب الحبشة و بقنصل تركيا بهدف شراء اسلحة جديدة(٣٥٤) .

ورغم ان محاولة لشراء اسلحة من ايطاليا امر ممكن وهو لا يعني وجود علاقة او دعم الا ان الدكتور كامل خله يبني رأيا مخالفا لياسين في هذا الموضوع فيرفض ان يكون القسام قد اتصل بالايطاليين وضمن تاييدهم للثورة ضد بريطانيا مستندا الى ما يلي :

١ ــ ما فعله الايطاليون بالشيخ عمر المختار ولم يكن قد مضى على استشهاده اكثر من اربع سنوات .

٢ ــ ان الذي اتصل بالايطاليين فعلا هو الحاج امين الحسيني مستفيدا من التناقض الحاصل بين ايطاليا = و بريطانيا في حرب الحبشة .

وفي هذا التضارب في الاقوال ما يثبت بشكل قاطع ان كل ما اشيع عن علاقة القسام بقوى خارجية لا اساس له من الصحة وان منبعه الدعاية الصهيونية التي روجت له وهيأة لها الخوف الشديد الذي اصابها من جراء خطوات القسام الثورية ، فاعتقدت ان القوى المعادية لها عاليا خلف الرجل وحركته . و بين ايدينا مقال أخير كتبه صحفي يهودي وقع بالاحرف الاولى من اسمه «م.أ» ، ونشر في صحيفة دافار تحت عنوان قتله باسم الله(٢٥٧) .

و يلخص المقال ردة الفعل الصهيوني وتحليل قيادتها للحركة القسامية فيتحدث عن عدة حقائق استنتجها من تاريخ الجماعة .

اولها : ان رئيس المجموعة كان شيخا مسلما : اي لم يكن شخصية سياسية قومية وانما رجل متدين يرى في الاسلام الحاكم الاعلى للحياة . وان الجماعة الاسلامية هي الدولة الاسلامية فمنطلقه هو الاسلام بشكل مبدئي .

ثانيها : عدم وجود نصراني واحد داخل المجموعة ، مما يدل على ان اتجاه القائد كان عربيا اسلاميا .

ثالثها : من خلال دراسة اعضاء الجماعة وخلفياتهم «وهو يرى ان جزءا منهم لصوص وقتلة» فانه لا وجود لاي وجه وطني بارز من المعروفين في صفوف الحركة العربية ، وهذا لان الشيخ جاء بأمور تهم الاف المسلمين ، وترأس المجموعة ولم يبحث عن مؤيديه في الوسط الوطني العربي ، انما وجده في الجمهور المتدين

و يحاول كاتب المقال وصم القسام بالارهاب والحقد الديني ضد اليهود ، محاولا استغلال الطابع الاسلامي للحركة ومتجاهلا جوهر دعوة الاسلام و بعدها عن الارهاب والحقد وان المسلمين كانوا في موضع الدفاع عن انفسهم وحضارتهم في وجه الهجمة الغربية ـ الصهيونية الشرسة ضدهم في فلسطين .

= ٣ ـ فقر صندوق الجماعة القسامية في حين سلم احسان الجابري للحاج امين مبلغ (٧) الاف جنيه .

٤ ـ لم يشر التقرير الرسمي البريطاني حول جماعة القسام اطلاقا الى اي نوع من الاسلحة الايطالية ضمن الاسلحة التي صادرتها بريطانيا من القساميين طيلة العام(٢٥٥) .

و يؤكد راي د. خلة ما اورده اكرم زعيتر في يومياته من ان حليم بسطه ضابط المخابرات المعروف هو الذي كان يروج الاشاعات عن علاقة الوطنيين العرب بالايطاليين بهدف خلق بلبلة في صفوف الشعب الفلسطيني(٢٥٦) .

الفصل الثالث

« القساميون والثورة »

الفصل الثالث

يتناول هذا الفصل عدة مباحث نستكمل بدراستها الحديث عن حركة الشيخ عز الدين القسام . وتتناول هذه المباحث جوانب مختلفة من التجربة القسامية منها ما سبق وان تحدث عنه الباحثون المعنيون بتاريخ فلسطين ، ومنها ما لم يطرق من قبل . وهي في مجموعها تجيب على عدة اسئلة طرحت او من الممكن ان تطرح حول القسام وجهاده ، وتعطي صورة كاملة عن تأثير حركة القسام في مجرى القضية الفلسطينية .

١ ـ الشيخ فرحان السعدي على خطى القسام :

بعد انتهاء معركة يعبد بفترة قصيرة وصل الضابط حليم بسطه من قسم المخابرات في البوليس الانجليزي ومساعده الضابط احمد نايف ، وصلا الى جنين و بدءا بجمع الافادات من الجرحي والسجناء(١) ، وعرف البوليس ان هناك مجموعة من المجاهدين القساميين لم تشترك في معركة يعبد وهي مازالت في قرى جنين مختبأة بين جبالها .

وتلقت دائرة البوليس في جنين خبرا بأن باقي المجاهدين قد لجأوا الى قضاء طولكرم ، «فاهتمت لهذا النبأ اعظم اهتمام» ، وقرر ضباط البوليس في نابلس عقد اجتماع لوضع خطة لاعتقال باقي المجاهدين(٢) . واهتمت حكومة الانتداب بالامر اهتماما بالغا ، فأخذ مدير الامن العام في فلسطين «سبايسر» بعقد اجتماعات يومية مع السكرتير العام لحكومة فلسطين لمناقشة الامر ومتابعته ، وكان اجتماعهما يدوم ساعات(٣) .

وامتدت الاتصالات الى لندن ، فأخذت حكومة الانتداب توافي لندن لاسلكيا بالحوادث التي حصلت واشتباكها مع جماعة الشيخ القسام ، واخبار تعقبها لبقية المجاهدين .

واجرت اتصالات مع السلطات الفرنسية في سوريا ولبنان ومع حكومة شرق الاردن للتعاون على اعتقال باقي افراد الجماعة ، وكانت الحكومة الانتدابية تظن انهم غادروا فلسطين الى تلك الاقطار(٤) . وابتدأت دائرة البوليس بنشر افرادها وقواتها في جهات مختلفة في منطقة نابلس بحثا عن المجاهدين(٥) وحلقت في سماء نابلس وقضائها اربع طائرات لاكتشاف مقرهم . وسافر «نبيه ناصر» ضابط البوليس في المدينة الى غور البادان على رأس قوة من البوليس لنفس الغرض(٦) . وانتشر البوليس السري والجواسيس في المدينة «نابلس»(٧) وقراها بكثرة لجمع المعلومات والاخبار عن الشيخ فرحان السعدي و بقية المجاهدين . وفي اواخر شهر تشرين الثاني وصلت للمخابرات اليهودية معلومات من مصدر وصف بأنه موثوق ، ان الشيخ فرحان تمكن من تشكيل فصيل جديد يتألف من (١٥) مقاتل وانهم يتحصنون فيما بين جبال نابلس(٨) .

ولكي يتفادى الانجليز ولادة تعاطف جماهيري مع الشيخ فرحان السعدي و بقية القساميين ، اصدرت دائرة الامن العام بيانا كذبت فيه ما نشر في الصحف الفلسطينية بشأن مطاردتها لفرحان السعدي ومحمود سالم(٩) «ابو احمد القسام» ، وكانت صحيفة فلسطين قد نشرت ايضا خبر ملاحقة البوليس لاسعد المفلح الذي اشترك في المعركة ولم يعثر له البوليس على اثر ، وحسب البيان الرسمي البريطاني الذي صدر عقب معركة يعبد فان الشرطة ظنت في البداية انه استشهد . وردا على بيان الامن العام عاد مراسل فلسطين والاسلامية في نابلس واكد ملاحقة البوليس لبقية المجاهدين وذكرت جريدة الجامعة الاسلامية ان نبيه

ناصر مساعد مدير البوليس في نابلس قد سافر مرة اخرى الى غور الجفتلك بصحبة قوة من الجند(١٠) لتعقب افراد الجماعة الجديدة .

اثناء فترة عيد الفطر السعيد ١٩٣٥/١٢/٢٥ اشيع ان فرحان السعدي زار نورس وقضى مع عائلته يوما كاملا(١١) ، ونتيجة لهذه الاخبار فرضت المباحث الانجليزية حصارا ومراقبة شديدين على قرية المزار «مزار السعدية» وقرية نورس حيث تسكن عائلة واقارب فرحان السعدي ، وحدث ان ذهب رجل من السيلة الحارثية و يدعى يوسف اسماعيل الى قرية المزار ليزور اخته المقيمة هناك ، فداهمت قوات الامن المنزل الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وكانت مدججة بالسلاح الكامل ومؤلفة من تسعة انفار . وحين افاق يوسف من نومه رأى الضابط مصو با المسدس نحو عينه قائلا بلهجة شديدة : من انت وماذا تفعل هنا ؟؟ فأجابه عن اسمه وسبب زيارته . وسببت عملية المداهمة المباغتة للمنزل اصابة الاخت بشلل نتيجة للخوف الشديد الذي اصاب العائلة(١٢) .

وقيل وقتها ان قوات الانجليز تأتي الى القرية كثيرا في ساعات متأخرة من الليل فتزعج الاهالي الامنين وهي تبحث عن الشيخ فرحان السعدي ورفاقه المجاهدين من اتباع الشيخ عز الدين القسام(١٣) .

و بعد هذا الحادث بأيام ، ورد على دائرة البوليس في جنين خبرا بأن الشيخ فرحان موجود في نورس ، فذهبت قوة من الامن على رأسها توفيق بشارة مساعد مدير البوليس الى القرية ، فلم تعثر له على اثر .

وفي صباح اليوم التالي ٣٦/١/٩ راجت شائعة ثانية بأنه موجود في قرية المزار ، فأسرعت قوة البوليس الى ذلك المكان ، فكان نصيبها في المرة الثانية مثل نصيبها في المرة الاولى الفشل والاخفاق(١٤) . واستمر البوليس والمباحث في ملاحقة السعدي ومحمود سالم والتجول في القرى بحثا عنهما دون فائدة ودون الوصول لاي نتيجة .

و بقي السعدي ومحمود سالم مختفين في الجبال الى ان وفقا في تنظيم اعمال عسكرية ضد الانلجيز واليهود فاتحين بذلك الباب امام الثورة ، فكانت حادثة (١٥) نيسان ١٩٣٦ التي نفذتها المجموعة القسامية بقيادة فرحان بين نابلس ونور شمس مؤذنة بعهد جديد في فلسطين ، استمر ثلاث سنوات والمسلمون يقدمون فيه التضحيات و يسطرون البطولات ، وهو العهد المعروف بالثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، وسنأتي الى الحديث عن الثورة وحادث نيسان لاحقا .

٢ ــ عمليات الاعتقال وتحقيقات البوليس :

اسفرت جهود الشرطة وتحقيقاتها المكثفة عن اعتقال عدة عناصر من اتباع الشيخ عز الدين القسام ومن الذين كانت لهم اتصالات معه ، وساعد البوليس على معرفة اسماء عدد من اتباع القسام في حيفا وغيرها عثوره على دفتر في جيب احد افراد العصبة يحتوي على اسمائهم(١٥) .

ابتدأت الاعتقالات من قرية فقوعة حيث اعتقل (١٢) مواطنا ، نقلوا من جنين الى الناصرة للتحقيق معهم(١٦) . وقبضت دائرة البوليس في الرملة على شخص ظهر انه كان من افراد عصبة القسام ، وادعت جريدة «هابوكر» اليهودية انه افضى بمعلومات هامة عن العصبة(١٧) .

ثم قبض البوليس في ١١/٢٨ على داود الخطاب ، معروف الحاج جابر ، الشيخ صالح الصفوري وتوفيق اسماعيل الزبري من عرابة(١٨) ، وقد وجد البوليس عند الحاج صالح في صفورية قانون جمعية الشبان المسلمين وغلاف مكتوب عليه اسم القسام . اما توفيق فكان سبب اعتقاله وجود كلمة توفيق في الرسالة التي بعثها عبد القادر اليوسف للقسام(١٩) و بقيا رهن الاعتقال ثمان وخمسين يوما ثم جدد توقيفهما في ٣٦/١/١٦(٢٠) .

كمـا قـبض في ١١/٢٨ على الشيخ عارف طه سمور من يعبد ، وهو من علماء القرية وكان يعمل مدرسا في ام الـفـحـم . وعلى يـوسـف سـعـيـد ابو درة من سيلة الحارثية(٢١) وهو احد الذين خرجوا مع القسام من حيفا وافـترق عنه مع القسم الثاني الذي توجه نحو الغور . وفي ١٢/٤ القي القبض على اسعد المفلح(٢٢) الذي جرح في مـعـركـة يـعـبـد واخـتـفـى عـن انـظـار الـبـولـيـس . ثم اعتقل في ١٢/٨ عارف حمدان من قرية رمانة قضاء جـنـيـن(٢٣) وفـتـش مـنـزل رئـيـس بـلـديـة قـلـقـيلة الحاج نمر السبع تفتيشا دقيقا ، وصادروا له اوراقا كثيرة ، واعـتـقـلـوه مـع اخـوه عـبـد الرحيم واحمد السبع بحجة انهم اعضاء في جماعة القسام(٢٤) . وواصل البوليس اعـتـقـال كـل مـن يـشـتـبه بأن له علاقة مع عصبة المجاهدين والقى يوم الاثنين ١٢/٩ القبض على اثنين من الوطنيين بنابلس(٢٥) .

بـقـي هـؤلاء المـعـتقلون مدة طويلة في التحقيق ورهن الاعتقال ، ثم اطلق سراح بعضا منهم ممن لم يثبت اشتراكهم في اعمال عسكرية ، وحوكم قسم آخر مع المجموعة التي القي القبض عليها في معركة يعبد .

٣ ــ القساميون يفجرون الثورة العربية الكبرى سنة ١٩٣٦ :

كـتـب المـؤرخ الـفـلـسـطـيـنـي واحـد رواد الـحـركـة الوطنية الفلسطينية المعروفين عزة دروزة ، عن حادثة اسـتـشـهـاد الـقـسـام يـقـول : «وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للاحداث التي تلته حيث بعد اشهر قـلـيـلـة اعلن الاضراب العام(٢٦) ووصف عمر ابو النصر تضحية القسام بأنها كانت «مقدمة لصراع عنيف ، وجـهـاد رائـع ، يـكـون فيه للحق الغلبة على الباطل»(٢٧) وقال ان استشهاد القسام «يصح ان يحسب فاتحة الثورة ومشعل انوارها»(٢٨) .

واذا كـانـت قـيـادة الـحـركـة الـوطـنـيـة الفلسطينية قد اثبتت عجزها طوال مرحلة ما قبل الثورة ، وراهنت باستمرار على الورقة البريطانية ، واصرت على السير في خط المهادنة والمصالحة مع الانتداب ، واذا كانت جميع الاحـزاب الـسـيـاسـيـة الموجودة غير مهيأة للعمل العسكري لا من ناحية التنظيم ولا من ناحية امتلاك السلاح والتدرب عليه فمن الذي ابتدأ العمل باشعال ثورة ١٩٣٦ ؟؟

ان الاجـابـة الـعلمية على هذا السؤال تتطلب الرجوع الى بداية الثورة وفهم العوامل والاحداث الاولى التي سـبـبـتـها . وبالتأكيد ان تلك السنة حملت في طياتها نضوج الظروف الملائمة للمواجهة المسلحة مع الانتداب ، ومـا اقـتـبـسـنـاه سـابـقـا عـن اثنين من المؤرخين الفلسطينيين يبين ان استشهاد القسام سارع في نضج هذه الـظـروف وفي تـهـيـيء الـشـعـب لـلـجـهـاد ، كـمـا ان التحليل السابق لردود الفعل على الاستشهاد يعطي نفس الـنـتـيـجة ويؤكد نفس المعنى . هذا بالاضافة الى العوامل السياسية والاقتصادية التي عاشتها فلسطين خلال الاحـتـلال الـبـريـطـانـي تحت سياسة الانتداب والتي اعطينا لمحة موجزة عنها في الفصل الثاني ، وهي ظروف وعوامل دفعت بهذا الاتجاه الجديد في مسيرة الفلسطينيين .

مـن الـنـاحـيـة الـعـسـكـريـة لـم يكن اي حزب او تجمع سياسي فلسطيني قبل نشوب الثورة ممتلكا للقدرة الـقـتـالـيـة او مـرتـبـا بـرنـامجه على اساس منها ، وان كانت الفكرة ــ كما تثبت الوثائق المختلفة ــ قد راودت الاسـتـقـلالـيـين امـثـال اكـرم زعـيـتـر وصبحي الخضرة ، الا انه لم يتبلور اي تنفيذ فعلي لها . تستثنى من هذه التجمعات فئة واحدة ، هي عصبة القسام والتي كانت بعيدة عن الاحزاب السياسية في فلسطين .

وبـنـاء على تـقـديـرات صـبـحـي يـاسـيـن وعلى مـعـلـومـات الوكالة اليهودية التي حصلت عليها عن طريق المـخـبـريـن فـان افـراد عـصـبة القسام المنظمين بلغوا مع بداية عام ١٩٣٥ حوالي مئتي شاب(٢٩) وكان هؤلاء مـدربين على السلاح ومستعدين للموت في سبيل الله . وبعد استشهاد قائدهم انضمت مجموعة منهم للشيخ

فرحان السعدي و بقي البوليس يطارد هذه المجموعة دون جدوى ، كما ان خليل محمد عيسى «ابو ابراهيم الكبير» قد شكل مجموعة اخرى من عناصر مدينتي حيفا وصفورية واطلق عليها اسم الدراو يش(٣٠) .

والثابت تاريخيا حسب جميع المراجع ان الشرارة الاولى للثورة انطلقت في (١٥) نيسان ١٩٣٦ ، عندما هوجمت سيارات انجليزية و يهودية قرب سجن نور شمس . والحادثة كما وصفتها الصحف الفلسطينية تتلخص في ان ثلاثة مجاهدين مسلحين «هم فرحان السعدي ، محمود سالم وداود الديراني» وضعوا عشرة براميل زفتة من التي تستعملها دائرة الاشغال العامة وسط الشارع بين بلعا وعنبتا ، وحين تجمعت السيارات في الطريق بفعل الحاجز خرج المجاهدون من بين المزروعات ملثمين وهم يلبسون لباس القرو بين واشهروا اسلحتهم في وجوه ركاب السيارات وسائقيها ، واخذوا يطوفون عليهم يسألون هل انتم عرب ؟ هل بينكم يهود ؟

وحين بلغوا سيارة شحن كبيرة وتحمل دجاج وجدوا ان سائقها يهودي والى جانبه تاجر يهودي من تل ابيب ، فأطلقوا عليهما النار فقتل التاجر وجرح السائق «ارضي تنبرغ» ، وقتلوا يهوديا ثالثا كان في سيارة خاصة وهو من تجار تل ابيب وقد اطلقوا عليه ثلاثة عيارات نارية في بطنه ورجله .

وحين رأوا راكبا يضع قبعة على رأسه ظنوه يهودي ، فتقدموا منه قاصدين قتله فقال لهم : «انا لست يهوديا ، انا مسيحي» فتركوه . وكانوا خلال ذلك يطلبون اموال من الركاب العرب قائلين لهم «اننا بحاجة الى نقود لنشتري فيها طلقات وقنابل و بنادق لنأخذ بثأر القسام» . وسألوا العرب : هل بينكم سماسرة او من باعوا اراضيهم لليهود ؟ وحين لم يجدوا احدا من السماسرة ، و بعد ان جمعوا الاموال من الركاب قالوا لهم : اذهبوا واخبروا الحكومة بما حدث ، وحدثوا مراسلي الصحف بكل ما شهدتموه في هذه الليلة(٣١) .

وتسللوا في الساعة التاسعة الجبال عائدين الى عرينهم . وكتب اكرم زعيتر في يومياته يصف ردة فعل الحادث لدى الشعب فيقول بأن الحادث هز البلاد ، وانه حديث الناس كلهم ، ورغم ان بعض الصحف قالت انهم عصابة لصوص الا ان زعيتر يصفهم بأنهم جماعة وطنية مجاهدة(٣٢) .

كان لهذا الحادث ردة فعل سيئة لدى البريطانيين ، وقد انزعجوا لعودة العمل العسكري للظهور ، وعلى الفور هرع «فتسجيرالد» مدير بوليس نابلس الى المكان وحضر مدير بوليس طولكرم مع قوة بوليس من المدينة ، واجريت التحقيقات مع الركاب ، ثم عم خبر الحادث على جميع مراكز البوليس في فلسطين واطلعهم «فتسجيرالد» على تفاصيل الواقعة .

وازدادت دوريات الشرطة ، ووضعت مراكز اضافية بين نابلس وطولكرم و بين نابلس والقدس وجنين والناصرة وحيفا . وعملت ادارة الامن العام على تسيير حوالي الف شخص من افراد البوليس والجواسيس لتعقب العصابة ، واعلن سبايسر مدير الامن العام عن نيته الذهاب الى نابلس للاشراف على عملية المطاردة بعد ان عجزت عن ذلك قوات بوليس نابلس(٣٣) .

وقد اصدرت دائرة الامن العام بلاغا في الحادث اتهمت فيه المجاهدين انهم عصابة سلب فقالت انه : «حوالي الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من الليلة الماضية ، اوقفت عصابة جديدة عددا من السيارات وسلبت ركابها ما يحملونه من الدراهم . وقد قتل اسرائيل ابراهام من يافا ، وخازان زلفي من تل ابيب وجرح شخص ثالث والتحقيقات جارية»(٣٤) وكانت تلك الرصاصات التي اطلقها القساميون «ايذانا بأن المعركة قد ابتدأت ، وان على ابناء فلسطين بما في ذلك الزعماء ورؤساء الاحزاب السياسية الاستعداد لخوض معركة التحرير(٣٥) .

وتدل صحف ١٩٣٦/٤/١٦ على «ان قيامة اليهود قائمة»(٣٦) ، وقد هزهم الحادث بدرجة كبيرة ، فقاموا بقتل اثنين من العرب في مستعمرة «راماتايم» ، احدهما يعمل حارسا فيها و يدعى حسين علي ابو راس وهو من قرية حباري ، واطلقوا عليه ست طلقات والثاني صديق له يدعى سالم المصري «وهو مصري الاصل» ، جاء

ينام عنده تلك الليلة فأطلقوا عليه رصاصتين(٣٧) وابتدأت بعدها الاشتباكات بين العرب واليهود في منطقة الشمال ، ثم امتدت الى كافة انحاء فلسطين واعلن الاضراب العام في كل البلاد .

بعد حادثة نور شمس بيوم واحد اجرى الشيخ فرحان السعدي اتصالا مع اكرم زعيتر على امل الحصول منه على دعم مالي للثورة ، فأرسل له ورقة مع احد المجاهدين سلمها له باليد في منزله بنابلس ، وكتب فرحان بها اربعة اسطر تقرأ بصعوبة يقول : «نقوم بالواجب في سبيل الله ، بدأنا وسوف ننتصر ، الحاجة ماسة الى خرطوش ، المال نأخذه لهذه الغاية . نعتمد عليكم»(٣٨) ، وهذه الرسالة تأكيد لنية الشيخ فرحان السعدي تفجيرالثورة والانتقام للقسام .

وخلال الثورة كان للقساميين دور بارز في قيادة معارك الثورة وتسطير أيات البطولة والفداء ، وقد تولى «ابو ابراهيم الكبير» القيادة العامة للثورة في منطقة الشمال(٣٩) وتولى القسامي الشيخ عطية احمد عوض قيادة منطقة جنين وقراها ، وتولى الشيخ فرحان السعدي قيادة منطقة نابلس .

اما بقية قواد الثورة والذين تولوا مهام ادارة مناطق محلية فكان اغلبهم من القساميين ، ففي منطقة الشمال(٤٠) كان كل من محمد ابو محمود الصفوري ، سليمان ابو علي ، عارف حمدان ومحمود الخضر «ابو خضر» قائدا متجولا ، وتولى توفيق ابراهيم «ابو ابراهيم الصغير» قيادة منطقته ، اما القسامي رشيد عيد الشيخ ابو درو يش فقد تولى قيادة منطقة جبل الكرمل ، وتولى محمود سالم «ابو احمد القسام» قيادة منطقة شفاعمرو . وكان كل من عبد موسى ، احمد التوبة ، علي ابراهيم زعرورة ، محمود سليم الصالح والحاج صالح احمد طه قادة مساعدين وجميعهم من اتباع القسام .

قاد القساميون اول معركة في منطقة حيفا في شهر ايار ١٩٣٦ ، فهاجموا مستعمرة يهودية قرب وادي الملح بين حيفا وجنين ، وقتلوا عددا من حراس المستعمرة وقتلوا خمسة من سكان المستعمرة نفسها(٤١) وقادوا العديد من المعارك واستشهد منهم عدد كبير وهم يدافعون عن وطنهم ودينهم .

(٤) اهم اتباع الشيخ القسام ودورهم في الثورة :

١ ـ الشيخ فرحان السعدي :

ينتمي الشيخ فرحان السعدي لعائلة السعدية التي تنتسب لسعد الدين الجيباوي «وهو شيخ صوفي اسس الطريقة السعدية واصله من سوريا»(٤٢) ، و يزور المسلمون الى الان قبره الموجود في قرية جيبه قضاء بغداد في العراق . ضربت هذه العائلة جذورها في فلسطين منذ مائتي وخمسين عاما ، ومركزها في قرية «وسطيه» لواء اربد في الاردن ، ولها فروع في صفد ، الخليل ، المزار ، نورس ، بيسان ومناطق اخرى من فلسطين(٤٣) .

ولد فرحان في قرية المزار ، قضاء جنين عام ١٨٥٨(٤٤) ، وتلقى علومه الابتدائية في «كتاب» القرية ثم في مدرسة جنين الابتدائية . انصرف بعدها الى الاعمال الزراعية ، كسائر ابناء عصره من اهل القرى(٤٥) قيل انه انصرف فترة من عمره الى اعمال السرقة ثم عاد وتاب واخذ يقضي اوقاته بالعبادة والتبتل الى الله(٤٦) .

واشترك في عدة مؤتمرات وطنية واجتماعات شعبية عقدت في جنين في سبيل القضية الوطنية . فلاحقته السلطات البريطانية وجعلت تضيق عليه الخناق ، وتضطهده في رزقه وحريته . ولما نشبت ثورة فلسطين عام ١٩٢٩ ، وامتد لهيبها من القدس الى سائر انحاء فلسطين . قامت عصبة من المجاهدين في قضاء جنين بأعمال التمرد والعصيان على الانجليز ، فقبضت السلطة على الشيخ فرحان السعدي ، متهمة اياه بقيادة العصبة المجاهدة . وحكمت عليه دون ما اثبات او دليل ، بالسجن ثلاثة اعوام ، قضى بعضها في سجن عكا و بعضها

الاخر في سجن نور شمس* ، فلما خرج من السجن انتقل الى حيفا للعمل فيها ، وهناك اتصل بالشيخ عز الدين القسام وانضم الى عصبته المجاهدة(٤٧) .

بعد قدوم فوزي القاوقجي وتعيينه قائدا عاما للثورة في فلسطين ، تعاون القساميون معه ، ولكن هذا التعاون لم يدم طويلا ، فحسب المعلومات عن الجماعات الثورية في فلسطين خلال سنة ١٩٣٦ المقدم من احد جواسيس الوكالة اليهودية فان خلافا نشب بين فرحان السعدي وفوزي القاوقجي حول قضايا النزاهة ، وادى الخلاف الى استقلال فرحان بنشاطه الثوري ، مع (١٢٠) مجاهد من قرى اليامون ، السيلة الحارثية ودير ابو ضعيف(٤٨)

اشترك فرحان مع رجاله في معركة عين جالود سنة ١٩٣٦ ، وجرح في زنده ، ورغم ذلك فقد استمر في جهاده واستعمل المسدس بيد واحدة(٤٩) .

وفي ١٩٣٦/٦/٣٠ كمنت مجموعة «اكثر من مائة» من المجاهدين بقيادته وعطية عوض على طريق جنين ـ نابلس قرب قرية الفندقومية ، وذلك بانتظار قافلة عسكرية بريطانية ستمر من هناك ، وحين مرت القافلة ، انهال عليها المجاهدون برصاصهم الغزير واوقعوا بها خسائر فادحة ، فأوشكت على الاستسلام لولا نجدة وصلتها تجاوزت الالفي جندي بدباباتها ومدافعها تحرسها الطائرات فاستمر الثوار في القتال ببسالة رائعة واتسعت رقعة المعركة بعد ان حضرت نجدات عربية من القرى المجاورة ودامت المعركة اكثر من ست ساعات خسر الانجليز خلالها ثلاثين قتيلا ، وتعطلت لهم مدرعة عندما انفجر بها لغم ارضي . واستشهد من المجاهدين ثلاثة ابطال(٥٠) .

استمر الشيخ فرحان في قيادة فصيله الجهادي خلال المرحلة الاولى من الثورة ، اي قبل تدخل ملوك ورؤساء الدولة العربية الموالية لبريطانيا ، وقيامهم باقناع اللجنة العربية العليا بوقف الثورة والاضراب وتقديم الشهادات والبيانات امام اللجنة الملكية البريطانية المكلفة بالتحقيق في اسباب الثورة ودواعيها● .

وهربا من الملاحقة البريطانية لفرحان ولباقي قادة الثورة ، وتحت ضغط اللجنة العربية العليا ، سافر فرحان السعدي وفوزي القاوقجي الى العراق عن طريق شرقي الاردن يصحبهم (٤٥) مجاهدا ، ورفضت

---

* تتناقض التواريخ هنا مع ما سبق وان ذكرناه نقلا عن تقرير كوهين من ان فرحان كان في هذا العام ١٩٢٩ عريفا في الشرطة قبل ان يستقيل في العام التالي ١٩٣٠ . و يبدو ان معلومات نشرة فلسطين المدونة هنا صحيحة واكثر دقة من معلومات كوهين . وبناء عليه يبدو ان فرحان ترك البوليس قبل عام ١٩٢٩ .

● وجه الملوك العرب النداء التالي للشعب الفلسطيني :

القدس ـ بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا(١) .

«الى ابنائنا عرب فلسطين :

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد الى السكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مصلحتكم» .

واصدرت اللجنة العربية العليا ، التي تشكلت في بداية الثورة ورأسها الحاج امين الحسيني ، بيانا قالت فيه : «قررت اللجنة العربية العليا بالاجماع و بعد استشارة مندوبي اللجان القومية ، والحصول على موافقتهم باتفاق الاراء ان نلبي نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير ، بالبيان المنشور اعلاه ، وان ندعو الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦/رجب/١٣٥٥هـ وفق ١٩٣٦/١٠/١٢(٢) .

واذيع البيان باسم القائد العام للثورة فوزي القاوقجي من الراديو دون علمه او اطلاعه عليه(٣) .

حكومة العراق الموالية للانجليز دخولهم مع اسلحتهم، ولم يستطيعوا اجتياز الحدود الا بعد ان تجردوا من السلاح الذي يحملونه(٥٤) . وفور خروجهم اصدرت الحكومة البريطانية في فلسطين بيانا حول الاحداث كانت قد امتنعت عن اصداره حتى يخرج قادة الثورة من البلاد(٥٥) .

وبقي فرحان السعدي في العراق حتى عام ١٩٣٧ حيث اعلنت اللجنة الملكية قرارها القاضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فهاجت فلسطين نتيجة لهذا القرار الجائر ، وعاد القساميون الى اعمال الجهاد ، فقاموا بأخطر عمليات الفداء ، اذ استطاعوا اغتيال اندروز حاكم اللواء الشمالي في ١٩٣٧/٩/٢٦ معلنين بذلك عودة الثورة والجهاد ضد الانجليز .

واندروز من الحكام الانجليز الذين اشتهروا بتجبرهم وطغيانهم وشدة حرصهم على محاباة اليهود ، وله دور ضليع في تمليك الاراضي لليهود وسلبها من اصحابها العرب . ابتدأ عمله مساعدا لحاكم لواء القدس ، فشدد قبضته على الصحف العربية ومنعها من التحريض ضد الصهيونية . وحينما قررت الحكومة القيام بمشروع انشائي برأسمال مليون جنيه جعل اندروز هذا المشروع وكرا لليهود ، واقنع الحكومة بالغاء الجزء المخصص لمساعدة العرب ، المطرودين من اراضيهم .

عين فيما بعد ضابط اتصال امام اللجنة الملكية البريطانية فقدم للصهيونية خدمات كبيرة ، مما حدا باليهود للسعي لدى الحكومة لترقيته فعين حاكم لواء ، وحين تم التعيين أمضى في السكان العرب نفيا وسجنا وطبق على كثير منهم قانون الطوارىء وقانون منع الجرائم ، واصدر امرا اداريا بتجديد سجن عدد من جماعة الشهيد عز الدين القسام عاما اخر بعد انقضاء مدة الحكم الاصلي . اما في مجال الاراضي فقد كان اندروز صاحب اليد الطولى في انتزاع اراضي وادي الحوارث من يد العرب واجلائهم عنها وتسليمها لليهود بالقوة .

وبسبب هذا السجل الحافل من الاجرام حكم القساميون عليه بالاعدام واستطاعوا في ١٩٣٧/٩/٢٦ قتله في مدينة الناصرة امام الكنيسة الانجليكانية بعد خروجه منها بصحبة «جوردون» احد مساعدي حكام الالوية وجاء اغتياله على الرغم من وجود حراس مسلحين معه(٥٦) .

تعلق د. بيان الحوت على عملية قتل اندروز فتقول ان الاهم من عملية الاغتيال نفسها ان القساميين استعدوا للنتائج وهيأوا كوادرهم السرية لجميع الاحتمالات ، ولم يكن هناك اسوأ من احتمال حل القيادات المسؤولة ونفي زعمائها و بث الارهاب عن طريق الاعتقالات الواسعة ، ومع ذلك ، اي مع خلو الميدان السياسي من القيادات الاولية والثانوية ، فسرعان ما عمت المظاهرات وسرعان ما انتشر الثوار في الجبال يتصدون للدوريات والبوليس باشتباكات مسلحة ، ولم تكد تمضي بضعة أسابيع حتى توزع المسلحون في عصابات منظمة وابتدأوا عملياتهم الثورية في المنطقة الشمالية ومنطقة المثلث الذي دعته السلطات بمثلث الرعب لشدة ما جابهت فيه من صمود و بطولات .

وتورد الدكتورة الحوت الادلة على ان عصبة القسام كانت لها اليد الرئيسية في انتشار العصابات المسلحة المنظمة في الشمال خاصة فتقول ان الدليل الاول هو : قدرة العصابات على تجاوز العديد من المشاكل بمهارة وحزم ثوري ، ومن الصعب فعلا على تنظيمات مسلحة دون مستوى التنظيمات القسامية ان يكون ضمن قدراتها الفكرية والثورية والنفسية ان تتجاوز تلك المشاكل خلال اسابيع من الزمن ساد فيها الرعب واللامسؤولية ارجاء البلاد .

والدليل الثاني الهام : بروز العديد من عصبة القسام قادة ومسؤولين ورؤساء فصائل في الثورة ، وذلك حين عرفت قيادات الثورة المحلية واشتد ساعدها منذ ربيع ١٩٣٨ .

اما الدليل الثالث فهو الانتقام الرهيب من «القساميين» على يد السلطة(٥٧) . اثناء المرحلة الثانية من الثورة والتي تبدأ بمقتل اندروز كان الشيخ فرحان السعدي في طليعة المجاهدين ، وكان العقل المدبر

للقساميين والمخطط لعملياتهم الجريئة ، ومع ازدياد خطره وخطر المجاهدين على الانجليز ، ضاعف هؤلاء ملاحقتهم للسعدي حتى استطاعوا الظفر به في ١٩٣٧/١١/٢٢ . ٩/رمضان ١٣٥٦هـ(٥٨) ، بناء على وشاية من عائلة ارشيد التي قتل احد ابنائها على يد فرحان بعد ان ثبت تجسسه لصالح البوليس الانجليزي(٥٩) وقد فتش البوليس بيت فرحان في قرية المزار فوجد فيه بندقية ، وروع الخبر الفلسطينيين خصوصا وان الشيخ فرحان مجاهد صادق مؤمن و يكاد يبلغ الثمانين من العمر . وعلى شيخوخته فانه ما توانى في جهاد سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧(٦٠) وابرق اكرم زعيتر الى ملوك العرب وامرائهم والى الجمعيات العربية والاسلامية يدعوهم فيها الى التوسط لدى المراجع البريطانية العليا لانقاذ حياة الشيخ فرحان ، وارسل الى الصحف في سورية ولبنان مقالات حول الموضوع . على أمل التأثير بالانجليز(٦١) . ولكنهم سارعوا بمحاكمة السعدي فقط بعد ثمان وار بعين ساعة من القاء القبض عليه ، امام محكمة عسكرية بريطانية تألفت خصيصا للبطش به ، فابتدأت في الساعة العاشرة من صباح ١١/٢٤ وانتهت في الساعة الثانية عشرة ظهرا ،

وكانت التهمة الموجهة له «حيازة سلاح» ولم تمكن المحكمة المحامين من المرافعة ولا من احضار شهود نفي ، ولذلك امتنع الشيخ فرحان عن الكلام سوى ان رئيس المحكمة كان قد سأله : «هل انت مذنب» ؟ فقال الشيخ فرحان وهو مقيد ومصفد بالحديد : «معاذ الله ان اكون مذنبا» . فأعلن القاضي عن قراره باعدام الشيخ فرحان(٦٢) . وتم تنفيذ القرار في ٣٧/١١/٢٧ . ١٣ رمضان ١٣٥٦ ، والشيخ الشهيد صائم لحظة اعدامه(٦٣) . وجاءت ردة هذا الفعل الاجرامي من الانجليز على عكس ما توقعوه ، فالمندوب السامي اراد من اعدام السعدي بسرعة وضع حد للثورة و بطولاتها ، فرفض فكرة «المستر فوت» حاكم نابلس ارجاء تنفيذ الاعدام الى ما بعد رمضان واصر على تنفيذ الحكم بسرعة(٦٤) الا ان نتائج الاعدام جاءت سلبية لدرجة كبيرة بالنسبة للانجليز .

فأدى اعدام السعدي الى انبعاث الحماسة الجماهيرية الثورية من جديد وتألفت في فلسطين في الثاني من شهر كانون الاول ١٩٣٧ عصابة كبيرة باسم اخوان فرحان ، وجعلت لها فروعا في مختلف المناطق(٦٥) . وكتب اكرم زعيتر في اليوميات يقول : «انني لا اعلم ان استشهاد بطل هز الامة واثار مشاعرها بعد استشهاد القسام كما هزها واثار مشاعرها استشهاد فرحان السعدي . وسيذكر ابناؤنا واحفادنا ان بريطانيا لم تر من الانسانية ان ترجىء اعدام شيخ صائم الى ما بعد رمضان(٦٦) .

و بحلول عيد الفطر السعيد ٣٧/١٢/١٤ اعلن الشعب الحداد والامتناع عن المعايدة حدادا على السعدي . وقبلها بعامين كان الحداد على الشيخ القسام . ومن عجائب القدر ان استشهاد القسام كان من أواخر تشرين الثاني ١٩٣٥ ١١/٢٠ واستشهاد خليفته كان ايضا في اواخر تشرين الثاني ١٩٣٧ ١١/٢٧ .

وكان مما قيل في رثاء السعدي ابيات جميلة للشاعر ابو سلمى يقول فيها مخاطبا الملوك العرب :

قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد
قوموا انظروا فرحان فوق جبينه اثر السجود
يمشي الى حبل الشهادة صائما مشي الاسود
سبعون عاما في سبيل الله والحق التليد
خجل الشباب من المشيب ، بل السنون من العقود

(٢) خليل محمد عيسى (ابو ابراهيم الكبير) :

ينتمي ابو ابراهيم لقرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله ، سكن مدينة حيفا وعمل فيها بائعا لاكياس الخيش والصوف في بقالة صغيرة . وفي حيفا تعرف ابو ابراهيم على الشيخ القسام وتوثقت علاقته به ،فكان احد اوائل اعضاء العصبة القسامية واوائل القياديين فيها .

اشترك في تنفيذ العمليات المسلحة ضد مستعمرات اليهود في الشمال ما بين ١٩٣١ ــ ١٩٣٣ ، واعتقل بعد عملية نهلال ، ولبث في السجن تسعة اشهر ، وخرج منه بعد ان برئت المحكمة ساحته .

الف بعد استشهاد القسام في يعبد تجمعا من القساميين في حيفا وصفورية اطلق عليه اسم الدراو يش ، وابتدأ بملاحقة الجواسيس والعملاء الذين ساعدوا في الكشف عن الجماعة ، والذين شهدوا في المحكمة ضد جماعة المجاهدين التى نفذت عملية نهلال وكذلك الذين شهدوا ضد القساميين المقبوض عليهم في اعقاب معركة يعبد . وكان خلال الثورة قائدا عاما لمنطقة الشمال . وكان من المعارك التى قادها بنفسه معركة «يركا» سنة ١٩٣٩ ، واستمرت هذه المعركة خمس ساعات قتل خلالها عدد كبير من الانجليز واستشهد خمسة من المجاهدين(٦٧) .

و بعد انتهاء الثورة سافر الى العراق مع عدد من المجاهدين ، ثم لجأ في اعقاب فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ الى سوريا ، ومن هناك التحق بالحاج امين الحسيني في المانيا حيث تدرب على الاعمال العسكرية . و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رجع الى سوريا فالاردن(٦٨) وفيها توفي ودفن .

(٣) المجاهد الشهيد عبد الله الاصبح :(٦٩)

ولد الاصبح في قرية «الجاعونة» المتربعة على السفح الشرقي من جبل الجرمق شرقي مدينة صفد ، وقد عرف في صباه بالاستقامة والامانة وحب الوطن . وحين نشبت الثورة السورية الثانية ضد الفرنسيين هرع الاصبح الى جبل العرب في سورية ، وقاتل الفرنسيين الى جانب القائد السوري المعروف سعيد العاص . وكان الاصبح يعرف بين الثوار السوريين بعبد الله العكاوي . وخلال القتال وقع اسيرا بيد الفرنسيين فساموه سوء العذاب ،اذ قلعت اظافره ورموش عينيه ، وسلطت على جسمه تيار الكهر باء لحمله على الاعتراف ، غير انه بقي صامدا كالجبل فلم يستخلصوا منه كلمة واحدة .

وذاق مرارة السجن الى ان خرج منها بعد اصابته بمرض القلب . وفي عام ١٩٣٤ عاد الى فلسطين ، والتحق بحركة الشيخ عز الدين القسام ، فعهد اليه القسام بقيادة الفدائيين في منطقة صفد فتولى مهاجمة القوافل البريطانية واليهودية ونسف الجسور وحرق المزارع التابعة للمستعمرات اليهودية . ثم كان من قادة ثورة ١٩٣٦ البارزين في منطقة الجليل ، فرصدت السلطات البريطانية مكافأة مالية قدرها الف جنيه لمن يأتي به حيا أو ميتا . وقد نجا بأعجو بة من محاولة قام بها اثنان من الخونة لاغتياله ، وما كان منه بعد أن القى القبض عليهما الا أن بصق في وجهيهما وأخلى سبيلهما .

وقد خاض عدة معارك ضد القوات البريطانية منها :

معركة (وادي الليمون) قرب صفد ،

معركة (وادي عروس) بين المطلة ومستعمرة نجمة الصبح اليهودية .

ومعركة (نقار الجسور) بين الرامة ونحف .

وفي ١٩٣٨/٤/٢٧ ، اشتبك الاصبح مع القوات البريطانية في معركة حامية الوطيس اشتركت فيها الدفعية

الجبلية والطائرات البريطانية قرب (خربة رمضون) الواقعة بين سحماتا وسبلان . وقدرت قوات الانجليز بعشرة الاف ، بينما كان عدد المجاهدين لا يتجاوز الخمسماية ، وقبل غروب الشمس سقط الاصبح شهيدا وفي اليوم التالي شيعت القرى المجاورة جثمانه الطاهر فدفن في مقبرة قرية سعسع .

(٤)الشيخ عطية احمد عوض :

من بلد الشيخ (حيفا) ،انضم للشيخ القسام في الثلاثينات ، واصبح من الاعضاء القياديين في العصبة .

عمل بعد استشهاد القسام مع ابو ابراهيم الكبير ، فكان يؤسس الفصائل المجاهدة للاشتراك في الثورة في قرى سولم ، سيلة الحارثية وفي جبل الكرمل وغابة شفاعمرو وفي هذه القرى كانت المراكز السرية لهم(٧٠) .

وتولى الشيخ عطية قيادة منطقة نابلس وجنين فخاض في هذه المنطقة اقوى المعارك مع القوات الانجليزية .

ففي معركة «المغير» طوقت قوة بريطانية كبيرة قرية المغير حيث كان فريق من المجاهدين وعلى رأسهم الشيخ عطية ، فنشبت المعركة بين القوة و بين الثوار وهرعت القرى الى ارسال النجدات لتفك الحصار عن القرية ، وقد استطاع الشيخ عطية واخوانه الانسحاب الى قرية اليامون ، وقتل في المعركة كثيرون من الجنود والبوليس البريطاني ؟ كما استشهد اكثر من ثلاثين مجاهدا ، في مقدمتهم الشيخ محمد ابو القاسم من عين غزال(٧١) . وقاد فصائل ا القسام ، حمزة بن العباس ،عمرو بن العاص وابو بكر في معركة بطولية ضد الانجليز هاجموا فيها جنودهم في مدينة جنين من جميع الجهات بالتكبير والتهليل تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصب نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند ، ودخل المجاهدون المدينة بعد فرار الانجليز منها ، واستولوا على كل ما فيها من ذخيرة و بنادق . ودام احتلالهم للمدينة عدة ساعات(٧٢) .

وفي شهر اذار ١٩٣٨ اشتهد الشيخ عطية في معركة اليامون مع تسعة مجاهدين(٧٣) . فتولى بعده قيادة المنطقة المذكورة يوسف سعيد ابو درة .

(٥) الشيخ يوسف سعيد ابو درة :

ينتسب يوسف الى قرية سيلة الحارثية من قرى قضاء جنين وعلى بعد ١٠ كم منها . و والده سعيد ابو درة من عائلة الجرادات المنحدرة من احدى البطون الهامشية الفقيرة .

ولد يوسف عام ١٩٠٠م في السيلة ، ثم انتقل عام ١٩١٠ مع والده الى سهل العفولة للعمل بالزراعة وفق نظام المحاصصة مع آل سرسق اللبنانيين . وفي عام ١٩٢٥ بيعت الارض لليهود ، فأجبرت العائلة على مغادرة اراضيها الزراعية بقوة السلاح ، وهدم منزلها ومنازل باقي الفلاحين .

انتقل يوسف بعدها الى مدينة حيفا وعمل راعيا لمدة قصيرة ثم اصبح عاملا في المدينة بالمياومة . وفي حيفا انضم للشيخ القسام ، واصبح عضوا في عصبته .

وعندما خرج الشيخ القسام من حيفا كان يوسف ضمن المجموعة التي رافقته ثم انفصل عن القسام ضمن المجموعة التي توجهت باتجاه اخر بناء على أوامر الشيخ .

و بعد المعركة بأيام قبض البوليس الانجليزي عليه ، واخذ يحقق معه بشأن غيابه عن منزله بحيفا عدة أيام خلال الفترة التي كان فيها القسام مختفيا ، واتهم بالانتماء للعصبة ، و بقي في السجن فترة طو يلة رهن التحقيق . ثم افرج عنه قبل موعد محاكمة القساميين الذين قبض عليهم في المعركة .

عند نشوب الثورة عمل يوسف مراسلا حر بيا بين القادة القساميين في منطقة الشمال . وتركز اغلب نشاطه في منطقة جنين . و بعد استشهاد الشيخ عطية ، انيطت به مهمة قيادة الثورة في المنطقة ولم يكن من

القيادة القسامية في المنطقة المذكورة من يخلف الشيخ عطية فأختير ابو درة .

وقد كان استشهاد الشيخ عطية بمثابة انتكاسة الثورة وذو تأثير سلبي على معنو يات المجاهدين والشعب ، الا ان بسالة ابو درة وشجاعته حالت دون انهيار الثورة في منطقة جنين ، وفور سماعه نبأ استشهاد الشيخ عطية جمع (١٥) مجاهدا من ابناء سيلة الحارثية واغلق طريق اليامون ـ حيفا بالصخور الكبيرة ورابط معهم على جانبي الطريق . و بمجرد وصول قافلة عسكرية مكونة من ست عربات تقل جنودا بريطانيين ومدرعتين اثنتين الى الطريق المسدود انهال الثوار عليهم بالرصاص الغزير ، فتمت ابادة القافلة عن بكرة ابيها ، فقتل (٦٤) جندي وضابط. وكان لهذا الانتصار اثره في رفع معنو يات المجاهدين(٧٤) . واستمر ابو درة في قيادة المجاهدين وخاض عدة معارك حقق فيها انتصارات جيدة ، واوقعت بالانجليز خلالها خسائر فادحة وكان اهم هذه المعارك :

معركة «الروحة» عام ١٩٣٧

معركة «ام الدرج» في ١٩٣٨/٩/١١(٧٥)

معركة «ام الزينات»

كما قاد هجوما على سجن عتليت في رمضان ١٣٥٦هـ استولى به على جميع ذخائر الانجليز الموجودة في المعسكر .

انتقل عام ١٩٣٩ الى دمشق بعد ان اشتدت سيطرة الانجليز على البلاد ، وفي ١٩٣٩/٧/٢٤ ، قبضت عليه قوات الجيش الاردني بالقرب من نهر الاردن وهو يحاول الدخول الى فلسطين ، وسلمه «جلوب باشا» للسلطات الانجليزية ، التي حاكمته وقررت اعدامه ، فنفذ الحكم في مدينة القدس يوم ١٩٣٩/٩/٣٠ ودفن في قريته سيلة الحارثية(٧٦) .

(٦) الشيخ محمد صالح الحمد «ابو خالد» :

ولد في قرية سيلة الظهر قضاء جنين عام ١٩٠٢(٧٧) ، وانتقل في مطلع صباه الى مدينة حيفا سعيا وراء الرزق ، فاشتغل فيها عاملا ثم غدا تاجرا بسيطا ، وقد عرف بجده وامانته وتدينه ووطنيته(٧٨) . وانضم لعصبة الشيخ القسام وكان ضمن القيادة الاولى التي شكلت سنة ١٩٢٨ .

وعهد اليه القسام برئاسة شبكة فدائية في مدينة حيفا . وفي عام ١٩٣٦ وعندما حمي وطيس المعارك في الثورة ، ترك مدينة حيفا والتحق بالمجاهدين في جبال الجليل مع صديقه عبد الله الاصبح .

وكان ينتقل بين فلسطين وسوريا ولبنان ينقل السلاح والعتاد للمجاهدين و يتحمل في هذه السبيل المشاق والمخاطر(٧٩) . ثم استقر في منطقة جبال نابلس حيث سلم قيادة المنطقة بالتعاون مع الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد(٨٠) .

وقد خاض «ابو خالد» عشرات المعارك ضد القوات البريطانية ، وضد القوافل والمستعمرات اليهودية ، وتجلت فيها شجاعته واقدامه وحسن تدبيره وسرعة خاطره ، مما اقض مضاجع المستعمرين الانجليز وقربه الى قلوب اخوانه المجاهدين الذين كانوا يؤثرهم على نفسه و يتفانى في سبيل المحافظة على ارواحهم .

ومن اشهر المعارك التي خاضها معركة سيريس ـ جبع التي دامت ست ساعات ، واشتركت فيها الطائرات والمدافع الجبلية البريطانية(٨١) . ومعركة «بلعا» الثانية التي حصلت بتاريخ ١٩٣٦/٩/٣ ، وشارك في هذه المعركة (٥٠٠) مجاهد بقيادته و (١٠٠) مجاهد بقيادة الشيخ السوري محمد الاشمر(٨٢) .

و بينما كان «ابو خالد» في اجتماع لقادة الثورة عقد في قرية دير غسانة قضاء رام الله وحضره عبد الرحيم الحاج محمد ، عارف عبد الرازق ، فارس العزوني والشيخ حسن سلامة ، لوضع خطة للهجوم على مدينة

القدس واحتلالها ، فاجأهم الانجليز بقوة كبيرة تطوق القرية ، واستطاع ابو خالد تحطيم الطوق والخروج نحو قرية «سرطة» في جبال نابلس ، فجوبه بتطويق آخر ونشبت بين المجاهدين و بين الانجليز معركة بتاريخ ١٩٣٨/٩/١٨ استبسل فيها هو واخوانه ، واصيب برصاصة في يده ، وابى الا ان يستمر في جهاده حتى الشهادة . فاكرمه الله تعالى بها فاستشهد في المعركة واستشهد معه من رؤساء الفصائل الثورية البطل رشدي ناجي النجيب وصبري الحمد .

وقد نقلت جثثهم الطاهرة الى قرية «بديا» ومن ثم نقلت في سيارات مغطاة بشجر الزيتون الى قرية سيلة الظهر حيث دفن الشهيد(٨٣) .

(٧) البطل الشهيد عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى السيلاوي «ابو عبد الله» :

ولد «ابو عبد الله» في قرية سيلة الظهر عام ١٩٠٥ ، وانتظم خلال الثورة في عصبة القسام السرية ، فكان قائدا في احدى مناطق الشمال ، ثم قائدا في احدى مناطق نابلس ، و بعد استشهاد ابن عمه «ابو خالد» استلم قيادة منطقة نابلس كاملة ، فبدأ يجوب القرى داعيا الشعب للانخراط في الثورة بعد ان تمكن الانجليز يعاونهم بعض الخونة المارقين من تهدئة غليان الجهاد في هذه المنطقة ، ولاخلاص هذا القائد ومقدرته استطاع ان يجمع حوله عددا كبيرا من ابناء الشعب . وقاد بهم عدة معارك وقام بشن هجمات بطولية على المستعمرات اليهودية في الجليل بعد ان جعل مركز قيادته في قرية كوكب ابو الهيجا قضاء عكا .

ثم صدرت اليه الاوامر من القيادة العليا للثورة بالتوجه الى منطقة نابلس ، فتمركز في قرية «بيت فوريك» وفي تلك القرية استطاع الانجليز تطويقه بقوة كبيرة تزيد عن (٣٠٠٠) جندي بكامل معداتهم في ليلة ١٤ــ١٩٣٨/١١/١٥. ودارت بين الفريقين رحى معركة حامية شاركت فيها الطائرات البريطانية ، وانزل المجاهدون خسائر فادحة بالانجليز . واستشهد من المجاهدين القائد «ابو عبد الله» واربعة آخرون(٨٤) .

(٨) الشهيد عارف حمدان الاحمد :

ينتسب عارف الى قرية رمانة من قرى قضاء جنين . انضم للشيخ القسام بعد ان تعرف عليه من خلال جولات القسام في قرى جنين مهيئا للجهاد(٨٥) . القت قوات البوليس الانجليزي القبض عليه في ١٩٣٥/١٢/٨ ، وبقي في السجن رهن التحقيق فترة من الوقت(٨٦) . كان خلال الثورة قائد منطقة متجول(٨٧) ثم استلم قيادة فصيل ، القى عليه الانجليز القبض في قرية رمانة وضع في سجن القدس فاستشهد في السجن نتيجة للتعذيب والاضطهاد الشديد الذي الحق به في ١٩٣٨/٦/٢٦ وقد نقل جثمانه الى قريته رمانة حيث شيع في احتفال مهيب(٨٨) .

(٩) الشيخ نمر السعدي :

ولد نمر السعدي في قرية صفورية عام ١٩٠٥م ، وهو ابن عم الشيخ فرحان السعدي ، انضم لعصبة الشيخ القسام فكان من المجاهدين المخلصين، وشارك في الدفاع عن اراضي قصص وطبعون(٨٩) التي كانت مطمعا لليهود في الثلاثينات .

شارك في معركة يعبد واصيب برصاصتين في قلبه وثالثة في موضع آخر ، وكانت حياته في خطر بعد

المعركة* ، فبقي في المستشفى حتى ١٩٣٥/١٢/٢٧ حيث تماثل للشفاء فنقل** الى مستشفى سجن القدس المركزي(٩٢) ومنها الى سجن نابلس فسجن عكا ليكون على مقربة من الناصرة حيث كان يجري التحقيق مع القساميين الاسرى(٩٣) وبقي السعدي في السجن الى ان حوكم مع باقي الاسرى من افراد العصبة في ١٩٣٦/١١/٢٠ فحكم بالسجن سنتين ، وبعد انقضاء المدة جدد اندوز حاكم لواء الجليل سجنه سنة اخرى تحت ستار قانون منع الجرائم وقانون الطوارئ .

وبعد انقضاء المدة وخروج السعدي من السجن بقيت الرصاصة الثانية في قلبه ، والتي لم يستطع الاطباء اخراجها ، تسبب له الالام والتشنجات ، وفي النهاية اردته قتيلا عام ١٩٤٨(٩٥) .

(١٠) محمود خضر الزرعيني «ابو خضر» :

اصله من قرية زرعين قرب العفولة ، سكن حيفا وتتلمذ على يد القسام . شارك في الثورة الكبرى مشاركة فعالة ، فقاد احدى فصائلها الى ان استشهد في ١٩٣٨/١٠/٥ قرب مكان يدعى «جرن حلاوة» على بعد كيلومترات من طبريا . وشملت المعركة التي استشهد خلالها ، الجبال الممتدة من طبريا الى صفد . وقد جرح وقتل من الانجليز خلالها (٣٥) جندي . وكان ابو خضر يقود فصائله نحو صفد لاحتلالها . وعلى اثر المعركة امعن الانجليز بالتنكيل في اهالي القرى المجاورة فراحت طائراتهم تقذفها بالقنابل(٩٦) .

(١١) توفيق ابراهيم «ابو ابراهيم الصغير» :

ينتسب الى قرية «اندور» قضاء الناصرة . كان من ابرز قواد الثورة وله بطولات رائعة في الجهاد . عرف بالاستقامة والصلاح والعمل الصامت . وقد التف حوله انصار من خوانه مثل الشيخ اسعد الصبيحي الشهير المقدام . محمد ابو يوسف وعلي الحسن(٩٧) اشترك مع محمود سالم «ابو احمد القسام» وابو ابراهيم الكبير في ادارة معركة عرابة البطوف(٩٨) . وقاد معركة احتلال طبريا في ليلة ٢-١٩٣٨/١٠/٣ وهي من معارك الثورة المشهورة وخسر اليهود فيها سبعين قتيلا(٩٩) .

عاش بعد النكبة في دمشق وتوفي فيها في اواخر السبعينات .

---

* زال الخطر عن السعدي في ١١/٢٥ ولم يستطع الطبيب المشرف على علاجه في مستشفى نابلس اخراج الرصاصات المستقرة في جسمه حتى تلك الوقت(٩٠) ، ويقال بانه نجح باخراج واحدة من القلب وبقيت الثانية(٩١) .

** اثناء نقل السعدي من نابلس الى القدس استطاع مراسل صحيفتي الاسلامية وفلسطين اجراء حديث مع نمر السعدي هذا نصه :

«وجدته يصلي ولما فرغ من ادائها التفت الي وقال : يظن الكثيرون انني شيخ طاعن في السن مع ان الحقيقة هي ان عمري ثلاثون سنة . انني اذا مت انا واخواني عصبة المجاهدين في سبيل الوطن فيكون في سبيل الدفاع عن بلادنا المحبوبة ، وانني قرات بعض الصحف بدقة وامعان وقد استبشرت عندما وجدت ان الامة مستيقظة ساهرة على مصالح هذا الوطن ومستعدة ان تضحي في سبيل كل غال ورخيص وسررت كثيرا عندما علمت ان الامة قد احتفلت بتشييع جنازة سيدي الاخ صاحب الفضيلة الاستاذ عز الدين القسام وقد وجدت الامة قد اقبلت اقبالا عظيما على التبرع لعائلات الشهداء . وان عائلات الشهداء امانة في عنق اهالي فلسطين المؤمنين(٩٠) .

(١٢) احمـد التوبـة :

اصلـه مـن قرية صفورية ، وفيها انضم لاحدى الحلقات الجهادية . شارك مع مصطفى علي الاحمد بتنفيذ عـمليات عسكرية ضد المستعمرات اليهودية في اوائل الثلاثينات ، فكانا يطلقان النار على اليهود من بنادقهم الحربية .

خـاض اثنـاء الثـورة عدة معارك ، عرف فيها بالشجاعة والاقدام . وكان يختص بمراقبة تحركات القوات المعادية والحيلولة دون تمكينها من تطويق المجاهدين . عاش بعد النكبة في سوريا(١٠٠) .

(١٣) محمد محمود الصفوري «ابو محمود» :

من «صفورية» قضاء عكا ، وهو من قدامى القساميين . خاض عدة معارك في الشمال ببطولة ومقدرة(١٠١) وفي حـرب ١٩٤٨ ، اثنـاء الـدفـاع عـن مـدينة عكا ، كان لابي محمود دور بارز في المقاومة فبعد ان فشل وفد عـكـا الـذي استـنجـد بالامير عبد الله لصد هجوم وزحف اليهود على المدينة ، وفشل ايضا استنجاد الشيشكلي بلـجـنـة دمشق ، واقفرت كل الآمال حتى من الحكومة اللبنانية الذي ذهب وفد من الاهالي يطلب منها امداد الـعـرب بـالـسـلاح ، جـاء فـريق مـن المقاتلين كانوا في جيش اديب الشيشكلي ، فقاتلوا يوما وليلة ثم انسحب اغـلـبـهـم ، ولـم يبـق مـنهم سوى ثمان وار بعين مجاهدا بقيادة «ابو محمود» خاضوا المعارك بحماس وقاتلوا اليهود قتال شوارع ، دون ان يستسلموا ، الى ان سقطت المدينة بعد قتال مرير(١٠٢)
عاش ابو محمود بعدها في سوريا .

(١٤) سليمان عبد الجبار «ابو علي»(١٠٣) :

يـنـتـسب لـقـرية سـمـسـم قـضـاء غزة ، وهو من اوائل القساميين ومن اشجع قواد الثورة ، اشتهر بحنكته ومقدرته وحسن قيادته . اقام بعد الهجرة سنة ١٩٤٨ في مدينة اربد في الاردن .

(١٥) محمد عبد الرحيم(١٠٤) :

اصلـه مـن «سيلة الظهر» ، وهو من قدماء الحركة القسامية . ترأس فصيلا فدائيا في حيفا لمقاومة الخونة و باعة الاراضي والسماسرة . واقام بعد الهجرة في لبنان .

(١٦) عبد الغني درويش :

يـنـتـمـي لـقـريـة «عـصيرة الشمالية» قضاء نابلس ، وسكن حيفا للعمل فيها . قاد قبل الثورة مجموعة من الـفـدائـيـين الـقـسـاميين . وخلال الثورة استبسل في الجهاد في معارك لواء الجليل . اصيب في معركة «عرابة البطوف» برصاص الطائرات التي اسقطت في المعركة . ولم يلبث ان استشهد متأثرا بجراحه(١٠٥) .

(١٧) مسعود نصار :

من اجزم قضاء عكا ، اشترك مع عبد الغني درو يش في الحركة الفدائية قبل الثورة ، ثم التحق معه بصفوف الثورة وابدى بطولة . استشهد في معركة «عرابة البطوف» التي استشهد من جرائها رفيق جهاده عبد الغني(١٠٦) .

(١٨) نايف المصلح :

ينتسب المصلح لقرية «صفورية» ، وكان له دور في تثبيت الثورة (١٩٣٦ـ١٩٣٩) في لواء الجليل وقيادة معاركها ، واستبسل في الكثير منها . اصيب بجروح في معركة «عرابة البطوف» ، ثم شفي من الجرح(١٠٧) .

(١٩) صالح النصر :

ايضا من قرية «صفورية» ، واستبسل صالح في معارك لواء الجليل وابلى بلاء حسنا(١٠٨) .

(٢٠) اسعد الصبيحي :

من عرب «الصبيح» قرب «اندور» قضاء الناصرة . كان مضربا للمثل في الشجاعة والاقدام ، وكان يساعد محمد الصالح «ابو خالد» في جلب الاسلحة والذخائر من خارج فلسطين في غفلة من حراس الحدود . خاض معارك عديدة ، واستشهد في معركة «بيت جن» قضاء صفد في الجرمق . ودفن في قرية «سحماتة» قضاء عكا(١١٠) .

(٢١) الشيخ ناجي ابو زيد :

ينتسب لقرية زرعين ، وقد سكن مدينة حيفا ، وفيها انضم للشيخ القسام ، وانيطت به مسؤولية التجسس على الاعداء لصالح الحركة . قاد فصيل جهادي في مدينة الناصرة خلال الثورة ، وابدى شجاعة فائقة ، ثم سكن مدينة عمان بعد النكبة وفيها توفي(١١١) .

(٢٢) الشيخ ديب :

اصله من قرية الطيرة قضاء حيفا ، وهو من رجال الشيخ عطية عوض . ابدى بطولة في المعارك التي خاضها في الثورة واستشهد في معركة «وادي الطبل» في الكرمل الشرقي قرب بلد الشيخ بعد ان كبد الاعداء خسائر فادحة(١١٢) .

(٢٣) رشيد الطيراوي :

من طيرة حيفا ، قاد فصيل الكرمل الغربي وخاض عدة معارك ببطولة وانتصار واستشهد في معركة الكرمل(١١٣) .

(٢٤) الشيخ نايف الزعبي :

من قرية سولم قضاء الناصرة . كان من قدماء القساميين ، ومن زملاء الشيخ عطية عوض . وهو اول من اسس فصيلا للجهاد في منطقة الناصرة . وابتدأ عمله بالهجوم ليلة ٩ ــ ١٠/٦/٣٦ على مستعمرة «مسمه» وتمكن من قتل عدد من الخفراء اليهود وانسحب مع اخوانه بدون خسائر . وشارك في معارك اخرى(١١٤) . بقي بعد النكبة في الارض المحتلة ولم يهاجر(١١٥) .

(٢٥) علي محمود زعرورة :

من «الرينة» قضاء الناصرة ، وهو من القساميين الاوائل . جاهد بالنفس والمال قبل الثورة و بعدها ، ثم عاش بعد النكبة في بيروت(١١٦) .

(٢٦) العبد قاسم :

من «الرينة» ، سكن حيفا مع محمود زعرورة ، والتحق بحركة القسام ، وجاهد معه ، وقام بغزوات موفقة في الثورة ، واستشهد في اوائلها(١١٧) .

(٢٧) محمود سالم «ابو احمد القسام» :

اصله من الرملة وسكن قرية «زرعين» قضاء جنين ، وكان عاملا في مدينة حيفا وفيها انضم للشيخ القسام ، شارك في معركة يعبد ، ثم كان ضمن المجموعة الثانية التي اتجهت نحو الغور بعد مقتل روزنفلد .

قام بمعاونة الشيخ فرحان السعدي في تجميع (١٥) عنصرا قساميا اختفوا بين الجبال الى ان اعلنوا الثورة في ١٥/٤/١٩٣٦ ، وكان من الثلاثة الذين هاجموا السيارات اليهودية في تلك الليلة «قرب نور شمس» . شارك في الثورة مشاركة فعالة وكان قائدا لمنطقة شفاعمرو والقرى المحيطة بها وصفورية وسخنين . وقاد عدة معارك(١١٨) .

(٢٨)* احمد الغلاييني :

ينتسب الغلاييني لمدينة حيفا ، وهو من مؤسسي عصبة القسام . كان يقوم بأعمال فنية تدميرية كصنع القنابل ، واشتهر بصنع القنبلة التي وضعها مصطفى علي الاحمد في مستعمرة نهلال وقتل من جراء انفجارها يعقوبي وابنه .

---

* المجاهدون المترجم لهم من ٢٨ ــ ٣٤ ، لم يكونوا من المشاركين في الثورة العربية الكبرى .

وكان هو ومصطفى الاحمد وخليل محمد عيسى يعملون في خلية سرية واحدة . عندما اكتشف البوليس امر القنبلة ، اعتقل الغلاييني وحكم عليه بالسجن (١٥) سنة مع الاشغال الشاقة . وخرج من المعتقل عام ١٩٤٤ ، «فتابع نشاطه الجهادي بأن اقام معملا سريا لصنع الاسلحة» . «هاجر الى عمان بعد حرب ٦٧»(١١٩) .

(٢٩) مصطفى علي الاحمد :

اصله من صفورية ، وكان عضوا في الخلية السرية سابقة الذكر ، وهو الذي نفذ عملية نهلال ، وحين فتش البوليس بيته عثر على قنبلة مماثلة للتي وضعت في بيت يعقوبي وعلى بندقية حربية ، فتعرض لتعذيب وحشي اضطر معه للاعتراف بالحادث تفصيلا . حكمت عليه محكمة عسكرية بالاعدام ونفذ الحكم في اوائل ١٩٣٤ .

(٣٠) حسن الباير :

ينتسب الباير لقرية برقين قضاء جنين . وولد فيها عام ١٨٩٥م . شارك في معركة يعبد واسر في اعقابها ، وكان صهرا للشيخ القسام . وهو الذي احضر الضابط التركي الذي اشرف على التدريب العسكري للعصبة . حكم عليه بالسجن (١٤) عاما ، قضاها ثم اطلق سراحه . عاش بعد النكبة في سوريا ، وتوفي في دمشق بتاريخ ١٥/٤/١٩٨٤ ودفن هناك(١٢٠) .

(٣١) الشيخ عبد الله الزيباوي :

ولد الشيخ عبد الله في قرية الزيب قضاء عكا ١٨٨٥م ، عمل في حيفا في سلطة القطارات ، وبعد ذلك في الزراعة ، وانتمى لعصبة القسام في حيفا .

في عام ١٩٣٣ طلب الشيخ عز الدين القسام من عرب الرمل الذين يسكنون على ارض استولت عليها شركة اعداد خليج حيفا اعطاء الشيخ عبد الله قطعة ارض ليزرعها و يعتاش منها ، فوافق عرب الرمل ، وحينما صعد الشيخ عبد الله لحراثة الارض وزراعتها ، قامت شركة اعداد خليج حيفا دعوى قضائية ، فأدانت المحكمة الشيخ عبد الله ومنعته من فلاحة الارض(١٢١) . اشترك الزيباوي في معركة يعبد وكان من شهدائها الابرار . ودفن مع الشيخ القسام في بلد الشيخ .

(٣٢) عطيفة احمد المصري :

مصري الاصل من مدينة القاهرة ، سكن مدينة حيفا عام ١٩١٣ ، وعمل في جمرك حيفا بوظيفة «ورديان»

استشهد في يعبد تاركا خلفه زوجه حاملا، وثلاث بنات صغيرات واختا وحماة ، واسرة اخيه الذي توفي في القاهرة عام ١٩٣٤ فضمها عطيفة لاسرته واخذ يصرف عليها(١٢٢) . دفن في حيفا مع الشيخ القسام .

(٣٣) اسعد المفلح :

اصله من ام الفحم ، وكان يبيع الدجاج في مدينة حيفا ، و يعيل زوجته و بنتيه واخيه . شارك في معركة يعبد واصيب برصاصة في كتفه(١٢٣) ، واختفى بعد المعركة و بقي مختبئا حتى شهر كانون الاول ١٩٣٥ حيث قبض البوليس عليه وادخل المستشفى للعلاج . حوكم ضمن اسرى العصبة وحكم بالسجن عامين قضاها وخرج .

(٣٤) عربي البدوي المحسن :

ولد عربي في قرية قبلان عام ١٩١٦ ، وكانت اسرته تعمل بالزراعة في القرية المذكورة . وفي لقاء معه تحدث عربي عن تجربته مع القسام ومشاركته في جماعته الجهادية فقال : «سنة ١٩٣٣ وجدت نفسي متولعا بالدين ، مللت من الدنيا فاتجهت الى قراءة القرآن الكريم ودراسة الاحاديث النبو ية وتولعت بالعبادة . وكانت كلمات الاستاذ حيدر التميمي الذي علمني في طفولتي محفورة في ذاكرتي ، اذ قال لنا مرة : «انتم صغار وما سأقوله لكم لن تفهموه الان ، لكن عند بلوغكم سوف تذكرونه وتفهمونه ، لقد انتهت الحرب العالمية بانتصار الغرب الكافر على دولة الاسلام ، وها هي بلادكم محتلة من الاجانب الكفرة ، وعند كبركم يجب عليكم تحريرها من هؤلاء الكفرة» .

و بقيت هذه الكلمات تؤثر بي . لفترة طو يلة ، فكنت اختلي بنفسي للتفكير في عصابة تحارب الانجليز مثل عصابة «ابو كباري» ، و بقي هذا التفكير عندي الى ان ذهبت الى مدينة يافا ، فعملت فيها مع شركة المانية في اعمال البناء ، وفي يافا اخذت اسأل العلماء ان كان قيامي بالجهاد ضد الانجليز وانا صغير مقبولا عند الله ؟ وفي حالة موتي هل اعد شهيدا؟ فقال لي احدهم في مسجد يافا الكبير ان هذه الافكار «القتال ضد الانجليز» افكار صبيان ، فماذا تستطيع ان تفعل مع بريطانيا العظمى !! ولا يوجد لديك امكانيات مثل امكانياتها .

بالطبع لم تعجبني الاجابة لانني فهمت من القرآن انه لا اسلام بدون جهاد ، ومن لا يجاهد فهو غير مسلم . فذهبت الى عالم آخر ، وحين طرحت عليه تشوقي للجهاد واسئلتي ، سرح قليلا ثم قال : «هكذا ديننا «لا اسلام بلا جهاد» ولكنك لست اهلا لهذه المهمة واخشى ان مت وانت تقاتل ان تكتب منتحرا .

حاولت ان اسأل المفتي امين الحسيني فلم اتمكن لانني ذهبت اليه في موسم النبي موسى ، وكانت الحالة لا تساعد على طرح اي موضوع مع المفتي ، فسألت احد شيوخ المسجد الاقصى فقال لي هذا جنون !! اترك هذا التفكير لغيرك .

حينها عدت ليافا ، وهناك تعرفت على الشيخ عودة من قرية قبلان واتفقنا على الجهاد سو ية بعد ان نذهب الى الحج . فاشتريت بارودة ووضعتها في قبلان ثم ذهبت للعمل في حيفا . وهناك كنت اصلي الجمعة عادة في بلد الشيخ ، الى ان حدث في احد ايام الجمعة ان توضأت وتركت موقع العمل قاصدا المسجد للصلاة ، وعند مدخل الورشة استوقفني الحارس «سالم المغربي» وسألني : الى اين ؟

فقلت : للمسجد لاصلي الجمعة .

فقال : الذين تبحث عنهم موجودون في جامع الاستقلال فذهبت الى المسجد واذ بقاعته مكتظة بالمصلين . وحين جاء موعد الخطبة ، صعد الشيخ عز الدين القسام المنبر واخذ يخطب وهو ممسك بالسيف في يده ، فتحدث عن الجهاد ، واذكر من اقواله :

«انتم معظمكم عمال ، بعضكم يحمل مكنسة و يعمل كناسا في البلدية ، هذا يجب ان يلقي بالمكنسة و يحمل بندقية ، بعضكم يعمل ماسح احذية ، و يمسح احذية الكفرة البريطانيين الذين يجب ان يقتهلم ،

هذا يجب ان يحمل مسدس .... كنت مسرورا جدا لسماع شيخ يتحدث عن الجهاد ، فذهبت للجلوس في الصف الاول رغم الاكتظاظ الشديد ، و بعد انتهاء الصلاة اراد الشيخ ان يخرج مع اشخاص لا اعرفهم تكهنت انهم دعوه لحضور الغداء عندهم ، فوقفت له في الطريق

وقلت له : سيدي انا اريدك

فقال : الا ترى ان معي جماعة

فقلت بلهفة : انا اريدك في شيء هام

فالتفت الشيخ الى مرافقيه وقال لهم انتظروني في الخارج قليلا . واخذني جانبا ، فحدثته عن رغبتي في الجهاد وسؤالي للعلماء ، وفهمي لايات الجهاد في القرآن الكريم ، وحين سألته :

هل اذا مت وانا اقاتل الانجليز اموت شهيدا ام منتحر ؟

قال لي : انت افضل شهيد . وقال عن الذين افتوا بعدم جواز الجهاد ضد الانجليز : «هؤلاء جهلاء وانت العالم» .

ثم قال لي : لك الجهاد

فقلت : اين في الحبشة ؟؟ اذ كنت اشك انه يعني ما يقوله .

فقال : الجهاد مفروض علينا هنا وليس في الحبشة .

ثم وجهني نحو شاب ذو لحية سوداء وامرني باتباعه ، وسيقوم هذا الرجل بارشادي الى مكانه . فتبعت الرجل عن بعد ، وسرت خلفه في شارع الناصرة حتى وصلنا دكانا سلمنا فيها على صاحبها ، واعطاه مرافقي اشارة فهمت منها انه يطمئنه من ناحيتي . وخلف الدكان كان هناك ساحة عرفني مرافقي فيها على نفسه ، وقال لي : اخوك نمر السعدي ، ونحن منذ الان اخو ين في الله . بعدها عدنا الى الدكان حيث حضر رجل طو يل وقوي البنية علمت فيما بعد انه محمود سالم ، فأخذنا الى منزله ، وتغدينا عنده . وكان افراد يأتون و يتغدون ثم يجلسوا بانتظار الشيخ ، و بقينا نتحدث حتى وصل القسام وكان الوقت بعد انتهاء صلاة العشاء بقليل ، فسلم علينا وجلس ، ثم سأل عني وقال : «انت الذي طلب الجهاد» ،

قلت : نعم

قال : نحن اخوانك عصبة تعمل للجهاد ، فهل توافق ان تكون واحدا منا ؟

قلت : بكل سرور .

فبايعته على السمع والطاعة وعلى التقيد بمبدأ الجهاد وفكرته . و بعد البيعة امرني بترك عملي مؤقتا والانضمام للشيخ نمر السعدي الذي اخذني الى غابة شفاعمرو ، واخذ يدربني على الرماية خلال الاسبوع ، ثم نعود يوم الجمعة الى حيفا ونصلي الجمعة في مسجد الاستقلال ، وهكذا لمدة ثلاثة شهور حيث قرر القسام الخروج لاعلان الجهاد فخرجت معه»(١٢٤) .

اسر عربي في معركة يعبد ، وحوكم بعد ذلك بالسجن لمدة عشر سنوات قضاها في السجن ثم خرج . وفي عام ١٩٤٨ اشترك في حرب فلسطين فكان قائدا لقوة من المقاتلين التابعين للجيش العربي في القدس . وكان قبلها مديرا لمكتب صندوق الامة بالقدس ، كما عمل على تأسيس اللجنة القومية بنابلس وهي احدى لجان المقاومة والدفاع الشعبي . يعيش الان في قرية قبلان ، وقد اصدر في العام الماضي كتابا من تأليفه بعنوان «القوة الخفية» .

(٥) تفاصيل محاكمة الاسرى القساميين :

أوقف الاسرى من اعضاء عصبة القسام مدة احد عشر شهرا ، وأجريت معهم خلال هذه الفترة تحقيقات حول العصبة تاريخها واعمالها ، وقد اعترف المشاركون في معركة يعبد بحمل السلاح والاشتباك مع البوليس الانجليزي ، واعدت النيابة العامة محضر الاتهام لهم فشمل :

١ ـ قتل الشاو يش الانجليزي «موت» عمدا

٢ ـ قتل الشاو يش اليهودي «روزنفلد»

٣ ـ محاولة قتل آخرين(١٢٥) .

تطوع للدفاع عن القساميين المحامي احمد الشقيري والمحامي معين الماضي ، ومثل كلاهما الدفاع في محكمة التحقيق التي تولى رئاستها القاضي البريطاني «هبرد» ، وتولى «منير ابو فاضل» تمثيل النيابة العامة .

و يقول الشقيري عن جلسة التحقيق : «وشرع القاضي البريطاني في التحقيق ، فتعاقب الشهود واحدا بعد واحد ، يصفون تفاصيل المعركة من أولها لاخرها ، ثم تعاقب الضباط المحققون «وأبرزوا» افادات المتهمين واحدا واحدا ، دونوها بلغتهم الفلاحية الركيكة ، وفيها اعترافات كاملة شاملة»(١٢٦)

وانعقدت محكمة الجنايات الكبرى في الناصرة بتاريخ ١٩٣٦/١٠/٢٠ برئاسة نائب قاضي القضاة المستر مانرنغ وعضو ية القاضي ايفانس والقاضي محمد البرادعي العباسي ، وكان من المفروض ان تعقد في موعد سابق الا أنها أجلت بسبب انتشار اضطرابات ثورة ١٩٣٦ في مدن فلسطين . وانضم للشقيري والماضي عدد من المحامين تطوعوا للدفاع عن القساميين منهم عمر الصالح البرغوثي ، جورج صلاح ، نجيب الطيب وعبد الرحمن النحوي .

وجهت المحكمة لمحمد يوسف محمد ، احمد الحاج حسن ، حسن الباير وعربي بدوي تهمة قتل الشاو يش اليهودي روزنفلد في ١٩٣٥/١١/٧ والبوليس الانجليزي «موت» في ١٩٣٥/١١/٢٠ . فاعترف المتهمون جميعا بما صنعوا واعتبروا ان ما فعلوه كان واجبا وطنيا ادوه ، فحكمت عليهم المحكمة بالسجن اربعة عشر عاما ، وحكمت على الشيخ احمد الحاج حسن بدفع غرامة ٢٥٠ جنيها اعتبرتها دية لاسرة روزنفلد .

ثم نظرت المحكمة المركزية برئاسة القاضي ايفانس وعضو ية محمد البرادعي العباسي ومحمد يوسف الخالدي في القضية الثانية التي اتهم بها الشيخ نمر السعدي ، معروف الحاج جابر ، داود علي الخطاب والشيخ اسعد المفلح بتهمة المؤامرة على القيام بعمل حربي ضد قسم من اهالي فلسطين» فحكم عليهم بالسجن سنتين مع المعاملة الممتازة(١٢٧) واعتبار بداية سجنهم من تشرين ثاني ١٩٣٥ ، لا من حين صدور الحكم .

ولم يكن الفضل في هذه الاحكام التي جاءت على خلاف توقعات المحامين وقد توقعوا الاعدام للمتهمين ، لمرافعاتهم بقدر ما كانت لرغبة السلطات البريطانية في ان تتجنب مزيدا من الاثارة في تلك الايام الثائرة(١٢٨)

يورد أكرم زعيتر في يومياته بعضا مما تحدث به القساميون في المحكمة فيقول ان الشيخ نمر السعدي خاطب القضاة بقوله : «انني اعترف بكوني صديقا للقسام ومن انصاره ، واعتقد ان الشيخ القسام على حق في كل ما عمل وليس على باطل ، ولم تكن له مـآرب شخصية وانما هو مجاهد في سبيل الله والوطن» .

وكان الشيخ نمر قد سئل اثناء التحقيق من قبل احد الضباط : لو خرجت من المستشفى واطلقنا سراحك ماذا يكون اول ما تقدم عليه ؟

فأجاب بكل هدوء : لا أكون الا كما عرفني استاذي الشهيد(١٢٩) .

اما اسعد المفلح فقد خاطب الجماهير التي احتشدت امام المحكمة وهتفت للمحكوم عليهم وهم خارجون

من قاعتها الى السجن قائلا : «لا تخافوا علينا ، اننا لا نخاف احدا غير الله ، نحن على حق ولا تهمنا القوة ما دمنا مؤمنين بحقنا ، والله اكبر ولله الحمد» . فرددت الجماهير «الله اكبر ، الله اكبر»(١٣٠) .

ولهذه الاقوال من القساميين اشارتها الواضحة بخصوص عمق التربية الجهادية التي تلقوها من قائدهم الشهيد .

ومن الامور التي تسترعي الانتباه وتعتبر امتدادا للتعاطف الجماهيري مع القسام وعصبته بالاضافة لاحتشاد المئات امام باب المحكمة ، ان احد سكان الناصرة وهو «عباس الفاهوم» قد دعى جميع الحاضرين في المحكمة الى حفلة غداء تكريما للقساميين وتقديرا لموقفهم البطولي(١٣١) .

(٦) اقتصاص القساميين من المتعاونين مع الانجليز :

كانت الادارة الانتدابية تعي تماما ما يعنيه وجود شخصية اسلامية مجاهدة ، تتمتع باحترام جماهيري واسع ناتج عن الرؤية الصحيحة التي حملتها هذه الشخصية لواقع الشعب الفلسطيني ولطموحاته بالتحرر من الاستعمار .

ولم يكن يخفى على عقلية استعمارية اشتهرت سياستها بالدهاء ان جوهر دعوة الشيخ القسام ونشاطه السياسي ، يعرقل برامجها في فلسطين وخطتها الرامية لاقامة الوطن القومي اليهودي . لذا فان هذه الادارة قد حاولت بشتى السبل التضييق على الشيخ والقضاء على حركته .

ومنذ وصول الشيخ القسام الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، والانجليز يعلمون خطورته وتوجهاته الجهادية ، فقد ارسلت المخابرات الفرنسية في سوريا للادارة الانتدابية في فلسطين رسالة تعلمها فيها بأن القسام اشترك في ثورة ١٩١٩ في سوريا وانه محكوم بالاعدام ، واشارت الى انه انسان يشكل خطرا على الامن(١٣٢) ، وابتدأت المخابرات الانجليزية بمراقبة تحركات القسام ومعاداته بعد ملاحظتها لاتصالاته بالعناصر الثورية في الحركة الوطنية الفلسطينية ، فكان للقاءاته المتكررة مع صبحي الخضرة أثرها في هذا المجال(١٣٣) .

أثناء التحقيقات التي أجريت حول العمليات الفدائية ضد المستعمرات اليهودية في شمال فلسطين في أوائل الثلاثينات اشتبهت الشرطة الانجليزية بعلاقة القسام فيها ، وقامت باعتقاله بعد عملية نهلال ، الا ان المحكمة برأته لعدم توفر ادلة كافية لادانته ، واشار الكتاب السنوي البريطاني لعام ١٩٣٥ ، الى ان الانجليز بقوا يشكون في علاقة القسام بهذه الاعمال(١٣٤) .

وفي اطار مراقبة القسام وملاحقته ، اشتهر اثنان من العرب ، كان لهما الدور الرئيسي في مساعدة الانجليز على كشف حركة القسام قبل استكمال استعداداتها ، الاول مصري قبطي يدعى حليم بسطه ، والثاني فلسطيني من قبلان يدعى احمد نايف .

دخل حليم بسطه فلسطين في حملة الانجليز الاولى بقيادة اللورد اللنبي ، وكان يعمل قبل ذلك مع الانجليز في مصر ، وفي فلسطين اخلص في خدمتهم فترقى في المراتب الادارية حتى اصبح مساعدا لمدير البوليس في حيفا . وعرف بمطاردة الثوار منذ بداية عمله في الشرطة(١٣٥) .

اما احمد نايف فهو فلسطيني من قرية قبلان قضاء نابلس ، عمل ضابطا سريا مع بوليس حيفا ، وكان يعد المساعد الاول لحليم بسطه وتلميذه المطيع .

خلال تحقيقات البوليس حول نهلال ، بذل احمد نايف جهود كبيرة للكشف عن الفاعلين ، وتولى التحقيقات مع ضابط انجليزي اخر يدعى «كلايتمان» ، واستطاعا نتيجة لهذه الجهود الكشف عن اعضاء عصبة القسام الذين نفذوا العملية ، كما كشفوا عن اسماء اعضاء اخرين ، فقام حليم بسطه باعتقال (١٢)

مجاهدا منهم واتهمتهم الشرطة بالتآمر لقتل اليهود الا ان المحكمة اطلقت سراحهم لعدم كفاية الادلة(١٣٦) .

واستمر احمد نايف في مراقبة خطوات القسام للايقاع به ، وسكن في منزل مجاور لمنزل الشيخ لتسهيل المهمة المناطة به(١٣٧) ، و يقال انه اول من تنبه لغياب القسام عن حيفا في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٥(١٣٨) ، وقد بذل جهده لمعرفة موقع القسام وجماعته ، فكان له دور في بث المخبرين في الجبال للبحث عن المجاهدين .

و بعد معركة يعبد تولى حليم بسطه التحقيق مع الاسرى بعد ان زج بهم في سجن الناصرة . ونتيجة لخدماته الجليلة لليهود فقد كافأوه باهدائه بيارة برتقال تدر عليه دخلا سنو يا يبلغ (١٠٠٠) جنيه ، وكان رصيده في البنك حوالي (٣٠٠٠٠) جنيه وهو مبلغ ضخم جدا بالنسبة لموظف بوليس(١٣٩) .

لم ينس القساميون لبسطه ونايف دورهما المشين وتعاونهما مع الانجليز في الكشف عن شيخهم ، فقرر وا اغتيالهما واغتيال كل من ثبت اشتراكه في التجسس او مساعدة المستعمرين :

وفي ١٩٣٦/٨/٧ نجحوا باغتيال احمد نايف في حيفا وكان من ابلغ مظاهر الوعي الوطني ان المسلمين لم يكتفوا بالامتناع عن السير في جنازته ، بل انهم اغلقوا ابواب المساجد وراحوا يحرسونها مقسمين الا يسمحوا بالصلاة عليه . كما ابوا ان يدفنوه في المقبرة فأرجأت السلطة دفنه حتى الليل ثم عينت حارسا على قبره لئلا ينبشه احد(١٤٠) .

وأبنت الصحف اليهودية أحمد نايف ووضعت صورته في اطار أسود تعبيرا عن حزن اليهود لمقتله(١٤١) . كما اعلنت السلطة انها ستدفع مكافأة خمسمئة جنيه لكل من يدلها على ما يمكن الاهتداء به الى معرفة قاتليه(١٤٢) .

وفي ١٩٣٦/١٠/٧ أطلق اثنان من القساميين النار على حليم بسطه قرب بيته في حيفا ، فاصيب بجروح في عنقه(١٤٣) ، ولكن اصابته لم تكن خطيرة .

ثم قام القساميون في ١٩٣٧/١/٤ بقتل محمد الصفوري في شارع الناصرة بحيفا ، وقد اصابوه برصاصتين نفذت احداهما من ظهره ، والصفوري هو أحد الشهود الذين شهدوا ضد عصبة القسام في المحاكمة ، وانتشر البوليس العلني والسري في انحاء المدينة وفتشت بعضا من البيوت ، بحثا عن الفاعل ولكن دون جدوى(١٤٤) .

وفي الساعة التاسعة من صباح ١٩٣٧/٢/٣ ، اطلقت عدة عيارات نارية على يوسف جليلة «وهو من عرابة» على مقربة من شارع الناصرة بحيفا ، فقتل من جرائها . وكان «جليله» يعمل حارسا عند احد اليهود وشهد ضد القساميين في حادثة نهلال(١٤٥) .

ثم قتل مساء ١٩٣٧/٢/٢٢ احد افراد البوليس العربي و يدعى «سليم فرج» وكان يعمل مع بسطة ونايف في شرطة حيفا ، وشهد ضد القساميين في محكمة المتهمين بحادثة نهلال(١٤٦) .

وفي ١٩٣٧/٤/١٥ تم اغتيال حليم بسطه في احد شوارع حيفا ، وكان القساميون قد شكلوا فرقة اغتيال خاصة لقتله(١٤٧) وقد قضى بضعة شهور «بعد المحاولة الاولى لاغتياله» في القاهرة بأشهر مستشفياتها ، ثم عاد الى حيفا لمواصلة عمله وللانتقام من الذين اعتدوا عليه فنصحه بعض معارفه ان يبتعد وقالوا له ان حياته في خطر فأجابهم بأن «حليما» لا يعرف الخوف وانه لا بد من الانتقام والثأر ، و بعد انقضاء بضعة ايام على وصوله المدينة تمت عملية اغتياله في رابعة النهار(١٤٨)

وقد أطلق عليه قسامي النار فلاذ بدكان محتميا بها ، فلحقه الثائر الى داخلها وأفرغ فيه رصاصات مسدسه ، ولما تبين أنه قد اجهز عليه عاد الثائر أدراجه يمشي بهدوء وتؤدة(١٤٩) . وقد اصابه بسبعة عشرة رصاصة(١٥٠) .

أثار اغتيال حليم بسطه الانجليز وقد اذاعت السلطة النبأ مساء اليوم الذي اغتيل فيه في الراديو(١٥١) .

واذاعت مديرية الامن العام بيانا في اليوم التالي اعلنت فيه انها رصدت جائزة قدرها الف جنيه لمن يدل على الفاعلين في مقتل بسطه او من يدلي بمعلومات تساعد على معرفة الفاعلين(١٥٢) . وسافر مدير التحقيق «ركز» الى حيفا لتولي التحقيق في الحادث . و بادر الى اعتقال النجار الذي قتل بسطه في دكانه(١٥٣) . واصدر المندوب السامي بيانا باسمه ينعي فيه القتيل مع الاسف الشديد ، يقول البيان :

«يعلن فخامة المندوب السامي مع الاسف الشديد ان حليم افندي بسطه ، مساعد مدير البوليس ، واحد الضباط المخلصين في عملهم ، قد قتل بالرصاص بعد ظهر اليوم في حيفا ، بيد ثلاثة اشخاص من العرب المسلحين بالمسدسات ، وقد اصيب معه الكونستابل الذي يرافقه بجراح مميتة»(١٥٤) .

ارسلت جثة بسطه الى مصر ليدفن فيها لاستحالة دفنه في فلسطين(١٥٥) .

(٧) ـ علاقة القسام بالاحزاب الفلسطينية :

اثير جدل واسع بين للباحثين والمؤرخين حول علاقة الشيخ عز الدين القسام بالاطر السياسة والزعامات التقليدية في فلسطين . و يدور النقاش في محور نقطتين اثنتين هما .

١ ـ علاقته بالحزب العربي الفلسطيني والحاج امين الحسيني .

٢ ـ علاقته بحزب الاستقلال العربي .

وفي هذه الفقرة سنحاول الوصول الى قناعة محددة ومدعومة بالادلة التاريخية حول هذا الخلاف .

و بالطبع لا يستطيع الباحث للوهلة الاولى الا التماس طريق ترجيح احد الادعاءين ، فاما ان القسام عضو في الحزب العربي واما انه عضو في حزب الاستقلال . و يستطيع ايراد دلائل وشواهد تثبت احد الامرين . ولكن قبل الحديث عن ادلة من ادعوا صحة احد الادعاءين لا بد من ملاحظة الامور التالية :

اولا : تشكل الحزب العربي الفلسطيني في آذار ١٩٣٥ ، وعرف هذا الحزب آنذاك بحزب المفتي ـ الحاج امين الحسيني ـ

ثانيا : عاش حزب الاستقلال حياة قصيرة نسبيا ، فقد تأسس في آب ١٩٣٢ ، وتوقف «جمد» في عام ١٩٣٣ .

أي انه يوجد فارق زمني بين توقف الاول و بداية الثاني .

ثالثا : رغم انه يبدو للوهلة الاولى ان الحزبين على طرفي نقيض ، فأحدهما مكون من عناصر استقلالية برزت بدورها الواضح في الحركة العربية عموما والفلسطينية خصوصا ، ولم تكن خاضعة لنفوذ امين الحسيني ، والثاني كان حزبا للمفتي ومواليا له واغلب عناصره من ذوي الشخصيات الثانوية في الحركة الفلسطينية .

رغم هذا الا ان عناصر من مؤسسي حزب الاستقلال ومن اعضائه كانت على علاقة وطيدة بالحاج امين الحسيني مثل عزة دروزة ، صبحي الخضرة ، احمد حلمي عبد الباقي والشيخ كامل القصاب *

---

* الشيخ كامل القصاب سوري الاصل ، من مدينة حمص ، انتقل والده الى دمشق فولد بها . وكان في بداية حياته منصرفا الى الفتوة ، حتى دخل ذات مرة مسجد حي «العقيبة» بدمشق ، واحتل غرفة فيه وانقطع الى العلم ، وأمضى في اعتكافه اعواما تفقه فيها وبرع في علوم العربية والقرآت ، وخرج انسانا آخر .

بدأ حياته السياسية في العهد العثماني بنشاطه في الحركة القومية العربية ، فكان أن انشا المدرسة «الكاملية» وهي من اوائل العوامل في بعث الروح القومية العربية في دمشق ، ودرس بها دعاة الخط القومي من امثال عبد الوهاب الانجليزي «المليا» ، عارف الشهابي ، عبد الرحمن شهبندر ، اسعد الحكيم وخير الدين الزركلي .

ولما نشأت الحرب العالمية الاولى «١٩١٤» كان القصاب من اعضاء جمعية «العربية الفتاة» السرية ، فانتدب للسفر الى مصر ، ومقابلة انصار تحرير البلاد العربية من سلطان الاتراك فيها ، والاتفاق معهم على خطة العمل . ــ ــ

وقد بذل الحاج امين الحسيني في فترة بروز الحزب عام ١٩٣٢ جهده لانزال عوني عبد الهادي ، الذي لم يكن على علاقة طيبة به ، عن كرسي رئاسة الحزب ووضع رشيد الحاج ابراهيم مكانه . وقد مثل دروزة ، الخضرة ، واحمد حلمي قائمة تميل للمفتي داخل الاستقلال ضد قائمة عجاج نو يهض التي كانت على عداد مع المفتي . ودعم اكرم زعيتر والشيخ كامل القصاب الحاج امين لتحقيق هدفه بوضع رشيد رئيسا للحزب(١٥٦) . ولكن المحاولة فشلت وبقي عوني عبد الهادي رئيسا للاستقلال .

رابعا : لم يكن اي من الحزبين يتمتع بالقوة التنظيمية وبالانضباط الحزبي الذي يجعل الاعمال الاساسية لاي فرد فيه هي اعمال للحزب وبأمر منه .

من هذه الملاحظات الاربع نجد أن نشاط الشيخ عز الدين القسام سبق نشاطات هذه الاحزاب ، وجهاده ضد الانجليز واليهود ابتدأ قبل تأسيسها .

ثم لو انا سلمنا بعضوية القسام في احدهما ، الا ان هذا لا يعني تجيير ثورة القسام لهذا الحزب ، لاختلاف المنهج والاسلوب . فحركة القسام كانت حسب المعايير السياسية حزبا قائما بذاته وان كان الوجه العسكري اضفى عليه طابع العصبة الثورية . بينما كانت الاحزاب الاخرى بعيدة لفترة متأخرة عن العمل العسكري .

== فدخلها مظهرا انه يريد شراء كتب لمدرسته ، وعندما عاد الى سوريا اعتقله الاتراك ، فحدثهم عن كتب المدرسة ، فافرجوا عنه . وظل يعمل في الخفاء الى أن قامت الثورة في الحجاز بزعامة الحسين .

وكان السوريون بعد وقوع ظلم جمال باشا السفاح عليهم ، قد أوضحوا لفيصل استعدادهم لقتال الترك والثورة عليهم بشرط واحد «وهو ضمان استقلال العرب استقلالا تاما ناجزا في ختام الحرب» «العالمية» وطلبوا منه ابلاغ رسالة بهذا الخصوص لوالده . ثم لم يكتفوا بهذه الرسالة بل انتدبوا الشيخ القصاب للسفر للحجاز ، فسافر اليها سنة ١٩١٥ تحت ستار اداء فريضة الحج ، ليبلغ الرسالة شفهيا للحسين ، وليقيم لديه كاداة اتصال بينه وبين القوميين في سوريا . فأدى الرسالة واطلع الحسين على حقيقة شعور السوريين ، وقال له ان الاستقلال التام هو مطمحهم الاسمى وانهم لا يحاربون الا اذا ضمنوه . فقال له ان هذا هو غايته وهذا ما يسعى اليه ، وانه لن يفعل شيئا الا بعد الوثوق بهذا الاستقلال التام وبتحقيقه .

اقام القصاب بعد انتهاء موسم الحج في المدينة المنورة ، ومنها بدأ بتلقي الرسائل من دمشق عن طريق قطارات سكة حديد الحجاز ـ دمشق ، ثم يبلغها للشريف حسين ، وبقي وسيطا بين الطرفين الى ان علم بصدور امر باعتقاله ، فسافر على الفور الى مكة ، واشترك في الثورة حين اعلنها الحسين . ثم عينه الحسين بعد انتهاء الثورة مديرا للمعارف في الحجاز . وفي اوائل عام ١٩١٧ غادرها نهائيا الى القاهرة ، بعد ان تبين له ان جانبا كبيرا من المؤهلات التي يجب توافرها في قادة الحركات القومية ، تنقص الحسين .

وبعد ان انتهت الحرب العالمية الاولى «١٩١٨» رجع القصاب الى دمشق فعمل مع الجمعية الوطنية واصبح رئيسا لها ، وكان لهذه الجمعية دور مشهود في مقاومة الفرنسيين في سوريا ، وعندما خسر السوريون معركة ميسلون ، وقضي على الحكم الفيصلي فيها ، اجتمع المجلس الحربي للجيش الفرنسي في الشرق ، واصدر حكما باعدام (٣٧) شخصا ، كان اسم القصاب يتصدر القائمة .

فغادر الشيخ القصاب سوريا الى الحجاز ، حيث ولاه الملك عبد العزيز آل سعود ادارة المعارف في الحجاز ، فاقام قليلا واستعفى ، ثم استقر في حيفا .

وفي حيفا عمل القصاب في التجارة ، وتولى مدرسة الجمعية الاسلامية «البرج» حيث درس القسام فيها لفترة محدودة ، واختلف الرجلان بينهما حول المنهج والاسلوب الذي يتبعه القصاب في ادارة المدرسة فاستقال الشيخ عز الدين وترك المدرسة .

بقي القصاب في فلسطين الى ان صدر عفو عام عن المحكومين بالاعدام ، فرجع الى سوريا وعاش فيها الى ان توفي .

٧ـ١ ـ علاقة القسام بحزب الاستقلال :

جاء تأسيس حزب الاستقلال بدافع معالجة الضعف والفتور اللذان طرءا على الحركة الوطنية ، ووقوع هذه الحركة في الاضطرابات والفوضى والانحلال ، وتسلط الاهواء والنزعات عليها مما زعزع بنيانها .

واعتبر مؤسسو الحزب ان الاساس الذي يبنى عليه كيانهم الحزبي الاستقلالي هو التجانس في المبادىء الصحيحة ، والاخلاص الشريف وحب العمل النزيه ، والابتعاد كل الابتعاد عن الجري في طريق السياسات المحلية والشخصية والعائلية(١٥٧) .

وكان اغلب اعضائه من المنتمين سابقا «في العهد التركي» لحزب العربية الفتاة» ، ومن ثم في العهد الفيصلي في سوريا لحزب الاستقلال الذي تزعمه فيصل بن الحسين . ورئيس الحزب عوني عبد الهادي كان سكرتيرا لدى فيصل ، ومن مساعديه اثناء فترة حكمه القصيرة لسوريا الشرقية .

وقد اجتمع المؤسسون مع الحاج امين الحسيني و بعض الزعماء المجلسيين من رفاقه ، وجرت خلال هذه الاجتماعات الاحاديث بصدد تجديد الحركة الوطنية وتصحيح سيرها ، بحيث يدخل في منهجها النضال ضد الانجليز ، ومصارحتهم العداء واعتبار مداراتهم منافية للاخلاص والصبغة الوطنية .

وكان من نتيجة هذه الاجتماعات ان اقتنع جماعة الاستقلاليين الذين كانوا يشاركون في هذه الاجتماعات بانشاء الحزب مستقلا عن المجلسيين الذين كانت لديهم اعتبارات تحملهم على السير بأسلوب آخر ينسق معها(١٥٨) .

ورغم ان الاستقلال رأى ضرورة اعلان المعاداة للانجليز والنضال ضدهم ، الا انه لم يمارس اي نضال فعلي ، باستثناء المهرجانات والمؤتمرات الوطنية الخطابية والتي كانت مظهرا احتجاجيا فقط على الانتداب ، والصهيونية ، والمقالات التحريضية التي نشرت على صفحات جريدة العرب باقدام زعماء الحزب و بادارة احد المؤسسين «عجاج نو يهض»(١٥٩) . ولم يكن للحزب اي برنامج عسكري ضد الانجليز . فهل كان القسام عضوا في هذا الحزب وملتزما ببرنامجه وخطته وقانونه ؟؟

ان أول من ادعى عضو ية القسام في الحزب اثنان من اعضائه هما حمدي الحسيني وهاشم السبع اللذان كتبا مقالا في الجامعة الاسلامية بعد استشهاد القسام يرثيانه فيه و يقولان انه كان رئيسا لجمعية الشبان المسلمين بحيفا ، واماما لجامعها ، وعضوا في فرع حزب الاستقلال فيها(١٦٠) .

وذكر عزة دروزة في كتابه القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة انه كان عضوا في حزب الاستقلال(١٦١) ، وتبنى الدكتور عبد الوهاب الكيالي هذا القول ومنحه كتابه تاريخ فلسطين الحديث(١٦٢) .

أما الذين نفوا عضو ية القسام فأهمهم عجاج نو يهض الذي ذكر في كتابه رجال من فلسطين ان القسام لم يكن تابعا لاي حزب او جماعة ، وانه كان يعمل بشكل مستقل تماما(١٦٣) .

و يتضح من قراءة يوميات اكرم زعيتر فيما يتعلق بعلاقة القساميين بالاستقلاليين ، ان اتباع الشيخ القسام عملوا خلال الثورة على انهم طرف مستقل لم تر بطهم علاقات سابقة بأي حزب فلسطيني ، كما ان اطروحة الحزب القومية وقر به منها اكثر من وجود الصبغة الدينية فيه يجعل من الصعب التسليم بانتماء القسام للحزب . ثم ان القسام لم يشارك في اي مهرجان خطابي للحزب ولا حتى بمهرجان حطين الذي اقيم بحيفا في ١٩٣٢/٨/٢٧ وقد نتج الالتباس في الامر ، والظن بانتماء القسام للاستقلال ، بسبب علاقة القسام القو ية برشيد الحاج ابراهيم و بالشيخ كامل القصاب وصبحي الخضرة .

ولا يستبعد ان يكون هؤلاء الثلاثة على علم بتنظيم القسام السري ، وقد قدموا الدعم له في مجال التدريب العسكري والتهيئة النفسية للثورة ــ كما اشير سابقا ــ . وقد اكد هذا التعاون صبحي ياسين حيث

ذكر ان كامل القصاب كان مستشارا في الحلقات السرية القسامية(١٦٤) ، واعتمده القساميون بعد استشهاد قائدهم لاستصدار الفتوى الدينية بحق الجواسيس و باعة الاراضي ، لما عرف عنه من جهاده وعلم وتقوى(١٦٥) .

وحسب معلومات الشرطة التي حاولت كشف علاقات القسام بالزعماء العرب و بالمؤسسات القومية ، فان رشيد الحاج ابراهيم هو احد القوى النشيطة التي دعمت حركة القسام ، وتوفر لدى المخابرات اليهودية تواريخ لجلسات سرية عقدت من قبل رؤساء حركة القسام داخل البنك العربي في حيفا تحت ستار نقاش في مسائل تجارية(١٦٦)* .

٧ ـ ب ـ علاقة القسام بالحاج امين و بالحزب العربي :

يبدو من العريضة التي رفعت من قبل وجهاء حيفا للمندوب السامي سنة ١٩٢١ ، تطالبه بتعيين الحاج امين مفتيا للقدس ، ان علاقة الشيخ القسام ـ وهو احد الموقعين عليها ـ بالحسيني تسبق تاريخ دخول القسام لفلسطين(١٩٢٠) ، او تبدأ بفترة قصيرة بعد هذا التاريخ . ان الارجح ان القسام وقع على العريضة وهو على معرفة بأمين الحسيني .

وكان لتلبية الحاج امين دعوة مدرسة البرج الاسلامية لحضور حفلتها السنو ية الختامية في حيفا ، دور في تعزيز العلاقة بين الرجلين ، وان كان البعض يرى انها هي بداية العلاقة بينهما(١٦٧) .

وخلال فترة تولي الحاج امين لمنصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى حصلت بدون شك لقاءات ونقاشات مستمرة بين الاثنين . وكان من طبيعة القسام محاولة استقطاب كافة العناصر النشيطة والاستفادة منها في جهاد الاعداء . بينما كان المفتي يرى انه زعيم البلاد وممثلا لعلمائها وقياداتها ، و بالتالي لابد من اقامة الجسور بينه و بينهم والتعاون معهم . ولكن ماهي حقيقة العلاقة التي ر بطت بين الرجلين ؟؟ وهل كان القسام تابعا للحاج امين وموجها في حركته من قبله ؟؟

يذهب اميل الغوري في معرض اجابته على هذه الاسئلة الى حد الادعاء بأن الحاج امين كان متعاونا ومتفاهما ومتفقا مع القسام على بدأ تنظيم حركته(١٦٨) ، وانه امده بالمال باستمرار عن طريق الشيخ كامل القصاب(١٦٩) ، وتمكينا للقسام من العمل ، وتسهيلا لمهمته ، فقد عينه الحاج امين مدرسا في جامع الاستقلال(١٧٠) ، ولم يقدم القسام على ثورته عام ١٩٣٥ الا بعد الاتفاق والتفاهم مع الحاج امين(١٧١) .

وحسب رأي الغوري فان الحاج امين قطع شوطا في الاعداد للثورة والتهيئة لها ، قبل ان يتم الاتفاق بينه و بين الشيخ القسام على تأسيس حركة سرية(١٧٢) .

وقال المفتي للتنظيم السري ، الذي زعم الغوري انه تأسس في القدس برئاسة عبد القادر الحسيني وهو عضو اساسي في هذا التنظيم ، اثناء اجتماعه بهم في ١٩٣٥/٧/٢٥ ان الوقت قد حان للاصطدام المباشر مع الانجليز(١٧٣) . وقال ان المفتي هو المسؤول عن كل الاعمال الفدائية التي حصلت ما بين ١٩٣١ـ١٩٣٥ ، «بما فيها عمليات القساميين في الشمال» ، وانه كان قد اسس عصابات في صفد ، حيفا ، الناصرة و بيسان ، كانت هي المنفذة للعمليات ضد الانجليز واليهود في تلك الفترة(١٧٤) . ثم ذكر الغوري ان القسام انضم للحزب العربي بعد تأسيسه(١٧٥) .

---

*لم تقدم الشرطة الاشخاص الذين ثبت لديها علاقتهم بالقسام ودعمهم له لخوفها من المظاهرات التي ستكون عنيفة للغاية ، ولرفض شهود معينيين الظهور في المحكمة خوفا على حياتهم من المجاهدين .

ولم يؤيد ادعاءات الغورى هذه سوى مصدر آخر، هو نشرة فلسطين التي كانت تصدرها الهيئة العربية العليا «الحاج امين رئيسا لهذه الهيئة والغوري مسؤولا فيها، ومحررا في نشرتها». وقد قالت النشرة في معرض ردها على كتاب صبحي ياسين «الثورة العربية الكبرى في فلسطين» حيث ذكر المؤلف: ان القسام ارسل عام ١٩٣٥، احد اخوانه «محمود سالم» الى الحاج امين ليعلمه عن عزمه القيام بثورة في فلسطين. وتم الاتصال بواسطة الشيخ «موسى العزراوي» احد اعوان المفتي، واعلمه عن رغبة القسام وهي ان يشرع الحاج أمين في الاعداد للثورة في جنوب فلسطين حيث يعد هو العدة في شمالها. فأجاب الحاج امين بواسطة «العزراوي» ان الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل، وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم»(١٧٦). قالت: «وفي خريف عام ١٩٣٥، وقد تطورت الحركة الوطنية تطورا بالغا، وعم الشعب حماس عظيم للكفاح والنضال، تمت مباحثات سرية بين القسام وزملائه، وبين المفتي ورجال الحركة الوطنية بالقدس، وانتهت الى اتفاق على انتهاج خطة معينة في مقارعة الاعداد»(١٧٧).

أما بداية علاقة تنظيم القسام بالزعامات التقليدية للحركة الوطنية، فان النشرة تقول ان القسام انصرف بناء على اتفاق مع رجال الحركة الوطنية وتأييدهم وعونهم له، الى تشكيل منظمة عسكرية سرية، كان يختار رجالها من اصدق الوطنيين واشدهم استعدادا للجهاد ضد الاستعمار والصهيونية»(١٧٨).

وتعزز «فلسطين» ادعاءها ببيان نشرته على لسان مجموعة ممن اسمتهم «زملاء الشهيد القسام والمجاهدون الفلسطينيون» ردا على كتاب ياسين، قالوا فيه: «ونظرا لما في مثل هذه الاقوال المستقاة من الكتاب المذكور، من افتراءات كاذبة وادعاءات ومزاعم باطلة، فقد رأينا من واجبنا، نحن الذين عملنا مع الشهيد الخالد الشيخ عز الدين القسام، وجاهدنا في سبيل فلسطين ان نبادر، خدمة للحقيقة وانقاذا لتاريخ الجهاد من التشو يه، الى تفنيدها، وتكذيب ما اشتملت عليه من ترهات باطلة، وان نعلن للرأي العام ان الشهيد العظيم وجميع اخوانه وزملائه، وتلامذته وشركائه في الجهاد، كانوا يعملون بتعاون تام مع سماحة المفتي الحاج امين الحسيني، و بتفاهم معه، و بتوجيه وتأييد منه: «ووقع على البيان: «عودة ابراهيم عودة، محمد حسن زعرورة، ديب محمد ديوان، صالح محمد النصر، حسن شبلاق، محمد عبد القادر الموسى، علي الطوزة، محمد سعيد عبد الرحيم، حسين العلي، محمد محمود زعرورة، دليل سعيد ورشيد طرفه»(١٧٩)

و باستثناء هذين المصدرين لم يتوفر بين ايدينا اي مرجع تاريخي آخر يؤيد و يدعم تبعية القسام للمفتي واشتراك الاخير في تأسيس العصبة المجاهدة. و بناء على الوثائق والكتب التاريخية المتعددة نخرج بالحقائق التالية حول شكل العلاقة:

١ ــ لا شك بوجود علاقة جيدة الى حد ما بين الرجلين، ولا شك ان المفتي قدم مساعدات للقسام ولحركته. منها توسطه لدى المندوب السامي اثناء محاكمة القساميين الذين نفذوا عملية نهلال، وطلبه تخفيف الحكم عنهم، فوافق المندوب السامي على تخفيف حكم اعدام احمد الغلاييني الى السجن مدة (١٤) عاما(١٨٠).

٢ ــ انتقد القسام المجلس الاسلامي الاعلى بسبب قيامه بانشاء فندق للاوقاف* وصرفه الاموال في تزيين المساجد، لان اعداد الشعب للجهاد وتسليحه لخوض المعركة افضل واحق من الامور الشكلية(١٨١). خصوصا وان مصير الامة جميعه يواجه اخطار حقيقية وعظيمة. وفي هذه الانتقادات دليل على عدم رضى من الشيخ على المجلس الاعلى ورئيسة في بعض الامور، وان التفاهم لم يكن تاما.

---

* انشا فندق الاوقاف في حي مامن الله في القدس، قرب مقبرة ماميلا، وصرفت عليه اموال كبيرة. وقد احتلت المنطقة التي يقع فيها الفندق عام ١٩٦٨، وهو الان خاضع لوزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية.

٣ ــ حسب المخابرات اليهودية ، فان القسام كان قريبا من المفتي ، وكان في مباحثات سرية مستمرة معه . واتفق الاثنان على المضايقات النظرية لليهود والانجليز . ولكن المفتي عندما وجد القسام لا يكتفي بالاعمال والاقوال النظرية ، وانه يسعى للاعلان صراحة عن عدائه لليهود والانجليز ، قطع علاقاته القوية به ، ولم يعد يتقرب اليه . ومع ذلك فقد استمر الشيخ في نشاطه(١٨٢) .

وهناك وثيقة تقول ان الجمعية الاسلامية بحيفا «القسام عضو فيها» ابلغت في شهر ايار ١٩٣٢ بقرار اتخذ في القدس من بين عدة قرارات اتخذت لمواجهة الاوضاع التي سادت انذاك ، ينص على اعداد القرو يين والمدنيين خلال ثلاثين يوما للعصيان المدني ، ثم بعد انتهاء هذه الفترة و بعد تفحص كل التحضيرات يبدأ التنفيذ العملي بأن يقوم الشيخ القسام بتنظيم الشباب ، و يقوم الجيدون منهم بابداء قسم الولاء قبل تنفيذ اية عملية ، و يجب ان يوافق المفتي و بقية الزعماء على كل الامور التي يفعلونها(١٨٣) .

ووثيقة اخرى تقول ان القسام طلب في عام ١٩٣٥ من العلماء الذين اجتمع بهم في القدس «مؤتمر علماء فلسطين» القيام بعمليات عسكرية فرفضوا باستثناء الحاج امين . ومن هذه الوثائق يتأكد حصول اتصالات بين الاثنين ، وان القسام طلب فعلا من المفتي تنظيم جماعات عسكرية ، ولكن المفتي اشترط موافقته و بقية الزعماء على اي عمل ستقوم به التنظيمات ، الامر الذي لم يرق للقسام . فعاد وكرر الطلب عام ١٩٣٥ ، و يبدو ان المفتي حينها تأكد من النوايا الثورية للقسام ، وان كان قد اعلن موافقته على العمل العسكري ــ كما نصت الوثيقة ــ الا انه حين التنفيذ العملي رفض وابلغ القسام بواسطة العزراوي ان الوقت لم يحن وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي في هذه المرحلة .

٤ ــ اكد اتصال محمود سالم بالحاج امين كل من عربي بدوي ، لطيفة محمد سالم ابنة اخيه ، وزوجته «ظريفة» التي قالت ان الاتصالات كانت مستمرة(١٨٤) .

٥ ــ لم تكن ردة فعل الحاج امين و بقية الاحزاب المؤتلفة مشابهة لردة فعل القسام لحادث تهريب الاسلحة في ميناء يافا ، فبينما قرر القسام اعلان الثورة ، اكتفت الاحزاب بالاجتماع بالمندوب السامي ، والطلب لديه بالسماح بالاضراب العام . وعندما لم يوافق المندوب على الاضراب وقرر بعض اعضاء حزب الاستقلال الذي كان خارج الائتلاف ، تنظيم اضراب عام في فلسطين ، عارضت الاحزاب هذا ولم تؤيده .

و بعد ان استشهد القسام في يعبد ، لم يثر الحادث الحزب العربي والحاج امين بالشكل المتوقع فيما لو كان القسام عضوا في الحزب او لو كان المفتي موافقا على ثورته . وقد امتنع الحاج امين حتى عن ارسال برقية تعزية في الشهيد ، ولم يشارك في الجنازة ، كما ان الحزب العربي لم يمتنع عن الاجتماع بالمندوب السامي بعد الحادثة بأيام قليلة .

وقد انتقد اكرم زعيتر هذه المواقف فكتب في جريدة الجامعة الاسلامية موجها اللوم للاحزاب التي ستقابل المندوب وتكرر المطالب ولكن دون جدوى ، ووجه لهم سؤالا له مغزاه فقال لهم : «ماذا ستقولون لجناب المندوب عن حادثة استشهاد الاستاذ القسام وصحبه ؟؟ ثم طالبهم بمصارحة المندوب بشعور الامة وتلمسها للخطر .

وتوجه زعيتر بسؤال للزعماء : لماذا وقفت الامة في موضوع استشهاد القسام في صف ووقفتم انتم في صف آخر ؟ لماذا لم تمشوا في موكب تشييع الشهداء ؟ وتساءل اين برقيات وكلمات السادة امين الحسيني ، راغب النشاشيبي ، عوني عبد الهادي وحسين الخالدي(١٨٥) .

٦ ــ وقع اميل الغوري ، صاحب الادعاء بتبعية القسام للمفتي وعضويته في الحزب العربي ، في عدة اخطاء تاريخية واضحة منها :

أ ــ قال ان «القسام اختار احراش يعبد مكانا للاصطدام بالقوات البريطانية» وان قتال عنيف نشب بين

المجاهدين و بين هذه القوات استمر بضعة ايام(١٦٨) .

والقسام لم يختر أي موقع للصدام مع الانجليز كما أن القتال إستمر ساعات فقط .

ب ـ يقول ان سر الشيخ عز الدين واخوانه لم ينكشف للشعب الفلسطيني والامة العربية ، «إلا بعد مرور ما يقرب من خمسة أعوام على إنشاء منظمتهم ! وكان ذلك في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، ... ، وفي صيف عام ١٩٣٥ ، وقد إتسعت اعمال القساميين نطاقا ، خاصة في شمال فلسطين ، شعر الشيخ عز الدين بأن أتباعه غدوا على مدى من القوة وحسن التنظيم والتدريب والتسليح يسمح لهم باعلان ثورة «مكشوفة» على الانجليز ، ... ، واتصل القسام بالحاج أمين بهذا الشأن للوقوف على رأيه فوافق المفتي على رأي القسام ، واقر خطورته ، وتعهد بمد «الثورة» العتيدة بالرجال والاموال والسلاح»(١٨٧) .

والحقيقة ان القسام خرج من حيفا مكرها ـ كما تبين لنا سابقا ـ ، وقد اجمعت المصادر التاريخية على انه خرج وعصبته لم تستكمل استعداداتها بعد .

ج ـ يقول ان الحاج امين «بفضل دوره القيادي في الثورة السورية ، يعرف الشيء الكثير عن جهاد القسام وصلابته الوطنية وما يمتاز به من ذكاء وفطنة ومقدرة على التنظيم وحرص على سلامة الدين ومبادئه السامية . فرحب بقدومه الى فلسطين(١٨٨) ، وجعل يحيطه بعنايته واهتمامه ، واتصل الشيخ عز الدين بالحاج امين وزاره مرارا في القدس .

ولكن حسب ما اثبت سابقا ، فقد حضر القسام الى فلسطين قبل ان يصبح الحاج امين مفتيا وقبل ان يترأس المجلس الاسلامي ، فكيف يستطيع والحالة هذه الترحيب بقدوم القسام الى فلسطين واحاطته بالعناية والاهتمام ؟؟

د ـ ادعى الغوري ان نافع العبوشي هو احد اعضاء الحزب العربي ، وذلك عندما سرد من ذاكرته اسماء اعضاء الحزب وذكر منهم الشيخ القسام على انه احد مندوبي حيفا في لجنة الحزب العربي التنفيذية .

و يبدو ان ذاكرة الغوري قد اوقعته في خطأ كبير بذكر العبوشي ، اذ انه مات قبل تأسيس الحزب(١٨٩) . فلا يمكن التسليم لذاكرته بخصوص اسماء الاعضاء . كما ان «كامل الدجاني» وهو من كبار العاملين في الحزب العربي ، نفى ان يكون القسام عضوا في الحزب(١٩٠) .

هـ ـ يدعي الغوري ان القساميين انضموا او التحقوا بمنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني ، بعد انتهاء ثورة القسام العلنية في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، بوقت قصيرة ، و يقول ان الجهاد المقدس اعلن ثورة فلسطين الكبرى في مطلع ايار ١٩٣٥(١٩١) «يؤرخ الغوري للجهاد المقدس على انه تأسس عام ١٩٣١» .

وحسب ما ذكر سابقا نقلا عن المصادر الموثوقة فان ثورة ١٩٣٦ قد ابتدأت بعد حادثة ١٥ نيسان الذي نظمها ونفذها فرحان السعدي . ولم يكن هناك اي علاقة بين القساميين و بين عبد القادر قبل اعلان الثورة ، «لا ندري ان وجدت مثل هذه العلاقة بعد اعلان الثورة ام لا» ، كما ان الحسيني لم يكن من القادة البارزين للثورة . بالاضافة الى ان منظمة الجهاد المقدس لم تتأسس الا عام ١٩٣٦ ، وعبد القادر الحسيني كان عام ١٩٣١ وحتى ١٩٣٣ ، طالبا في الجامعة الامريكية في القاهرة(١٩٢) .

٧ ـ بناء على تقرير من احد «المخبرين» في حيفا مرفوع للوكالة اليهودية في القدس ، فهناك من حاول فعلا تأسيس منظمة عسكرية تختلف عن منظمة القسام ، وقام اميل الغوري وجمال الحسيني بزيارة لحيفا من اجل تدعيم قاعدة هذه المنظمة وتأسيسها تحت شعار الكشافة وذلك في شهر تشرين الثاني ١٩٣٤ ، وتم خلال الزيارة تأسيس مكان لانتاج القنابل ، واجري تدريب للكشافة على قنابل وهمية مليئة بالغبار والرماد .

وحسب معلومات المخبر فان جلسة سرية عقدت في الجمعية الاسلامية في المدينة ، تم فيها بحث موضوع الكشافة هؤلاء وتقرر الخروج في تدريبات لهم ، وكذلك تقرر المحافظة على سرية عملهم وتدريبهم حتى من

المؤسسات الوطنية العليا(١٩٣) .

فاذا اعتمدنا هذا التقرير فان محاولات الغوري وجمال الحسيني لانشاء منظمة عسكرية سرية ، تأتي بعد ان قطعت عصبة القسام السرية شوطا بعيدا في العمل العسكري ضد المستعمرات اليهودية وفي التدريب على السلاح .

٨ ــ بخصوص تعيين القسام مدرسا وخطيبا في مسجد الاستقلال بحيفا ، فهناك من يقول بأنه من قبل قبل الجمعية الاسلامية في المدينة ، وهي التي كانت مشرفة على اوقاف المدينة بصورة مستقلة عن اوقاف القدس ، مستندا بهذا الى اقوال محمد نمر الخطيب ، سليمان ابو حمام ، حسن شبلاق ، ابراهيم الشيخ خليل وابراهيم السهيلي وهم من اتباع القسام(١٩٤) .

ولدى مراجعة وثائق المجلس الاسلامي الاعلى والمحفوظة في ارشيف قسم احياء التراث الاسلامي في القدس ، يتبين ضعف علاقة الحاج امين بانشاء وادارة المسجد مما ينفي ان يكون هو الذي عين القسام في الوظيفة* .

اما تعيين القسام مأذونا شرعيا ، فبناء على نفس الوثائق فان اجتياز القسام للامتحان الذي عقدته المحكمة الشرعية بحيفا للراغبين في الوظيفة ، هو الذي هيأ له التعيين .

٩ ــ لم يشر الحاج امين ولو بكلمة واحدة الى الشيخ القسام وحركته في كتابه : «حقائق عن قضية فلسطين» الذي طبع عدة مرات ، كما ان كل ما اصدرته الهيئة العربية العليا من كراسات او مذكرات او تقارير لم يشر للشيخ القسام او لحركته(١٩٨) .

باستثناء ما نشر في نشرة فلسطين عن القسام في معرض الرد على صبحي ياسين ، وعن بعض اخوانه اثناء الحديث عن شهداء فلسطين .

١٠ ــ يستدل مما نشرته مجلة شؤون فلسطينية للمجاهد القسامي ابراهيم الشيخ خليل ، عدم تبعية القسام للحاج امين ولا لاي حزب اخر ، فقد نفى ابراهيم وجود اي ارتباط حزبي مع اي من الاحزاب ، وقال ان «ابو ابراهيم الكبير» ، الشيخ سليمان ابو حمام ، محمد عبد القادر ابو الهيجاء ، حسن شبلاق ، الحاج حسين حمادة ، احمد التوبه ، الشيخ محمد الحنفي ومحمد علي دلول ، «وهم جميعا من القساميين المطلعين على تحركات الشيخ وعلاقاته» ، يعرفون هذا الامر و يؤكدونه(١٩٩) .

١١ ــ الاشخاص الذين وقعوا على البيان المنشور في نشرة الهيئة العربية العليا ، كانوا يعملون ضمن الهيئة ، ولم يرد في اي مصدر تاريخي ما يؤكد سعة اطلاعهم على تحركات القسام ، باستثناء حسن شبلاق .

و بينما قال ابراهيم الشيخ خليل ان حسن شبلاق يعلم و يؤكد عدم ارتباط القسام بأي جهة كانت(٢٠٠) ادعى البيان عكس ذلك .

---

* وجه رئيس الجمعية الاسلامية في حيفا رسالة للحاج امين بعد ستة شهور من الشروع بانشاء المسجد ، يطلب فيها تقديم مساعدة من المجلس الاعلى للجمعية لاتمام المشروع(١٩٥) ، وهذا يدلل على ان الاوقاف في القدس لم تكن هي المسؤولة عن انشاء المسجد ، رغم ان الحاج امين قد اصدر امرا شفويا للمهندسين رشدي بك ونهاد بك ، من مهندسي المجلس الاعلى ، بالذهاب الى حيفا ، لاجل اعداد خرائط للمسجد ، مساعدة منه للمشروع(١٩٦) .

وقد ارسل الحاج امين رسالة لعضو المجلس في حيفا ومفتيها «محمد مراد» يطلب منه فيها اقناع القائمين على عمارة الجامع اقامة البناء على الطابق الارضي وعدم اقامة حوانيت للتاجير ، لتامين دخل ثابت للمسجد ، واعتقد الحاج امين وقتها» ان ذلك لا يناسب الجامع من وجوه عديدة» ، الا انه على ما بدى واضحا فقد فشل محمد مراد في تلبية طلب المفتي ، وانشات فعلا «١٦» مخزنا في البناء الارضي للمسجد .

في فترة لاحقة واثناء عمارة المسجد تبرع المجلس الاسلامي بمبلغ «٢٠٠» جنيه ، لاتمام البناء ، بعد ان توجه اهالي حيفا لرئيس المجلس برسالة مؤرخة في ١٩٢٣/٩/١٧ ، يطالبونه فيها بدعم المشروع(١٩٧) .

١٢ـ والدليل الاخير على استقلالية الحركة القسامية ان القسام دخل فلسطين وفي نيته العمل على الجهاد فيها ، وقد سبق وان طرق هذا الموضوع في بداية الفصل الثاني من الكتاب .

١٣ـ اما بخصوص علاقة القساميين بالحاج امين بعد استشهاد الشخ عز الدين القسام ، فحقيقة ان القساميين قد تعاونوا مع المفتي بشكل جيد ، في الفترة التي اشترك فيها المفتي بتوجيه الثورة ودعمها بعد ان اضطر للخروج من فلسطين .

وقد روى فارس سرحان ، ان صفوت الحسيني زاره في قرية الكابري سنة ١٩٣٦ ، كمندوب عن الحاج امين ، وطلب منه ترتيب العلاقة بين القساميين والمفتي قائلا : «لو كانت لهم صلة بالمفتي ، لأمن احتياجاتهم ، ولما حدث ما حدث مع الشيخ القسام ورفاقه ، ونحن «جماعة المفتي» الان نعيد طرح السؤال ونريد اقامة الصلة ، ونلفت نظرهم «اي القساميين» الى ان المفتي يستطيع وحده ان يمدهم باشياء كثرية ، فلماذا لا يعترفون به كرأس للحركة الوطنية»(٢٠١) .

و يذكر القسامي «سليمان ابو حمام» ان المفتي واظب في عام ١٩٣٧ ، وعن طريق الشيخ كامل القصاب ، على ارسال مئة جنيه شهريا للقساميين ، فيما كانت مصاريفهم الشهرية سبعماية جنيه(٢٠٢) .

و يرى اكرم زعيتر الذي شارك مع المفتي في ادارة الثورة من الخارج ، بأن العمل مع المفتي امر لا منتدح عنه لمن يريد ان يعمل ثائرا في ميدان او داعية او مديرا للحركات . لما تمتع به الحاج امين من نفوذ في الخارج ولتسلمه زمام المال المخصص للثورة(٢٠٣) .

الخلاصة ـ القسام من منظور استراتيجي

لقد تجاوزت حركة القسام حالة التردي الحضاري للمسلمين وقدمت نموذجا فذاً للعطاء الاسلامي الممتد عبر اعوام طويلة ... واستطاعت هذه الحركة ان تخرج من اسار الامكانيات المادية الضئيلة مقدمة صورة عظيمة عن التضحية بالنفس والمال جهادا في سبيل الله .

لقد استطاع القسام ان يكرس الحق كقيمة خالدة في الفكر والممارسة الاسلامية وهو يتجاوز بالواجب كل حدود الامكان ... وجوب الثورة في اشد الظروف صعوبة وحرجا .

ولكن السؤال الهام هنا ... هل كان القسام مدفوعا في حركته بمجرد الحماس والنوايا الصادقة والمخلصة ... بوضوح اكثر ... هل كان القسام يملك نظرية واضحة ورؤية استراتيجية محددة الابعاد والمعالم ام كان مجرد ثائر مغامر يبحث عن الشهادة .

ان المتتبع لتجربة القسام الجهادية يستطيع ان يضع اصبعه بوضوح على هذا الفكر الاستراتيجي للشيخ المجاهد والمناضل الصلب ... هذا الفكر الذي تحددت معالمه من خلال :

١ ـ ادراك القسام ان الاستعمار «الغرب» يعتمد و بشكل أساسي موضوعة العنف في محاولته احتلال الوطن الاسلامي وتدمير بنية المجتمع المسلم و بالتالي لا بد من المواجهة العنيفة المسلحة ضده [العنف المسلح المرتكز على الحق ـ الجهاد] ، يتضح هذا وعند البداية من خلال مشاركته الفعالة في المقاومة السورية للاستعمار الفرنسي .

٢ ـ بعد اجهاض الثورة في سوريا ينتقل القسام «المسلم ـ الاممي» الى موقع اخر «فلسطين» اكثر اهمية يحمل واقعه بذور الغضب والثورة بشكل اخصب ومحاولة البدء من جديد .

٣ ـ وعي جوهر الهجمة وشموليتها و بالتالي مواجهتها بوعي وحركة شاملة من خلال الابعاد التالية :

أ ـ **الفكرية** : الخطابة والدروس ومدرسة محو الامية «على اساس من الالتزام والاستقامة والعودة للدين» .

ب ـ **السياسية** : العمل الجماهيري والنقابي ـ الاعداد والتحريض .

ج ـ **العسكرية** : التنظيم العسكري والجهاد .

٤ ـ العمل العسكري لن يؤتى ثماراً حقيقية بدون عمل سياسي وجماهيري جاد فكان للعمل السياسي في حركته دور هام ـ العمل السياسي بعيداً عن المناورات الفاشلة لقيادات اغلبها هزيلة .

٥ ـ في غمار فترة النضال السياسي كان القسام يتجاوز قيادات الساحة الفلسطينية وتناحرها العائلي والحزبي ـ يتجاوزها بتحديده القوى القادرة على الجهاد ومواصلته متمثلة في فقراء العمال والفلاحين و يتجاوزها بتحديده لمعسكر الاعداء بقيادة بريطانيا في وقت كانت قوى وطنية كثيرة تشير الى اليهود فقط كأعداء والى امكانية التحالف مع بريطانيا لتحقيق مكاسب جزئية !

٦ ـ كان الريف الفلسطيني في استراتيجية القسام نقطة الارتكاز والانطلاق من العمل المسلح وذلك لطبيعة الريف الجيوسياسية والاجتماعية و بسبب من التركيبة الفلاحية الاقرب الى ممارسة العمل الثوري ـ الجهادي .

٧ ـ اقامة ونشر البؤر الثورية في فلسطين ضمانة لتعميم الثورة واستمرارها «اقتصار هذه البؤر على الشمال في الاغلب كان نقطة ضعف في هذا التوجه» .

٨ ـ الاقتراب من توقيت التفجير في ظل نضوج الشروط الذاتية والموضوعية الملائمة «تردد القسام مطولا ولم يشارك رسميا في أحداث انتفاضة البراق ١٩٢٩»

٩ ـ التفكير او محاولة اقتحام مدينة كحيفا دليل على طموح القسام ـ ربما غير المبرر موضوعيا وقتها ـ ولكن نجاح محاولة كهذه ـ او مجرد حدوثها كان كفيلا بتغيير الكثير من موازين القوى على ساحة الصراع داخل فلسطين وربما التأثير المباشر على المشروع اليهودي برمته .

١٠ ـ من الواضح أخيراً ان القسام لم يكن متأثراً بالفكر السياسي السائد وقتها وانه كان يمثل تيارا اصيلا وايجابيا ومتجاوزا للعجز النظري والعملي الذي عاشته بقية القيادات ولكن القسام رغم كل وعيه وتجاوزه فقد كان يعيش مرحلة تاريخية اكبر من امكانية اي قائد فرد وكانت ازمة الحركة كغيرها في المنطقة ، ان المسافة بين شيخها القائد وبقية كوادرها ... مسافة يصعب تجاوزها بسهولة .

ورغم ذلك فقد رحل القسام وبقيت في واقعنا وفي ذاكرتنا تجربة عظيمة استمدت مفاهيمها من العقيدة الاسلامية وتراث المسلمين الزاخر بالبطولات والانتصارات لتقف وبقوة في مواجهة اخطر تحدي عرفته الامة الاسلامية حتى الان ... التحدي الغربي الحديث والذي تمثل بالتحالف اليهودي ـ الاوروبي ضد المسلمين ووجودهم .

لقد اثبتت تجربة الشيخ المجاهد ان المسلمين على استعداد تام للتضحية والبذل رغم كل ممارسات القمع والتنكيل في حال توفر قيادة اسلامية واعية وملتزمة ، فرغم ان الاتجاهات السائدة داخل الحركة الوطنية الفلسطينية «واغلبها قيادات علمانية» كانت تدفع باتجاه الحلول السياسية والحوار مع بريطانيا عبر المؤتمرات والاجتماعات الا ان القسام استطاع بضربة قوية ان يغير مسار الحركة الوطنية منعطفا بها نحو الكفاح المسلح ضد الانتداب البريطاني والصهيونية .

لقد كان الشيخ عز الدين القسام ابا حقيقيا للثورة الفلسطينية المسلحة

الملاحـــق

القسم الاول : ملاحق وثائقية
القسم الثاني : مراثي الشهيد عز الدين القسام :
أ ـ المراثي الشعرية
ب ـ المراثي النثرية

القسم الاول : ملاحق وثائقية

١ ـ عريضة من حيفا للمندوب السامي تطالب بتعيين الحاج امين مفتيا للقدس .
٢ + ٣ ـ وثيقتان حول تاسيس مسجد الاستقلال في حيفا .
٤ ـ نص مقال جريدة اليرموك حول مشكلة الجنائز في حيفا .
٥ ـ رد القسام على المقال السابق .
٦ ـ ورقة الاجابة التي تقدم بها القسام لامتحان المحكمة الشرعية بحيفا .
٧ ـ وصف جريدة الجامعة العربية بمعركة يعبد .
٨ ـ وصف جريدة فلسطين لمعركة يعبد .
٩ ـ وصف جريدة الجامعة الاسلامية لمعركة يعبد .
١٠ ـ تعليق حكومة فلسطين على استشهاد القسام .
١١ ـ الرد على تسمية البلاغ الرسمي الانجليزي لعصابة القسام بالاشقياء
١٢ ـ بيان الحزب العربي حول جمع تبرعات لعائلات الشهداء .
١٣ ـ تفاصيل جنازة القسام ورفاقه الشهداء .
١٤ ـ رثاء القسام وهنانو في ذكرى الاربعين .

ملحق رقم (١)

عريضة من وجهاء حيفا للمندوب السامي تطالب بتعيين الحاج امين مفتيا للقدس .

461/TB
12-4-21

الجمعية الاسلامية
بحيفا
تأسست سنة ١٣٣٧

لجناب فخامة المندوب السامي المعظم

نحن الموقعين بذيله نسترحم انتخاب وتعيين حضرة العالم الفاضل السيد محمد امين الحسيني مفتياً للقدس الشريف لما نعرفه بفضيلته من الاهلية والكفاءة تحريراً ٩ نيسان ١٩٢١

مفتي حيفا محمد مراد — ممثل العلماء يونس الخطيب — نائب رئيس الجمعية الاسلامية عبد الله [illegible] — رئيس الجمعية عبد الرحمن الحاج — عضو الجمعية [illegible] — عضو الجمعية [illegible]

عضو الجمعية [illegible] — امام [illegible] — امام [illegible] — مدرس عز الدين القسام — عضو غرفة التجارة [illegible] — عضو غرفة التجارة [illegible]

عضو [illegible] — عضو غرفة التجارة [illegible] — مدير [illegible] — [illegible] الجمعية الاسلامية [illegible]

ملحق رقم (٢)

وثيقة حول تاسيس جامع الاستقلال



القدس الشريف

العنوان البرقي : المجلس الإسلامي القدس
صندوق البريد : ٥١٢
التلفون : ١١٩

العدد
الرقم مساجد ١ / ١٠
التاريخ صفر ٣٤٢
~~٢ ايلول ٩٢٣~~

حضرة رئيس لجنة عمارة (جامع الاستقلال) حفظه الله .

حيفا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد فقد قدم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد افندي مراد أحد اعضاء المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى الى المجلس كتابا مؤرخا في ٦ صفر ١٣٤٢ – ١٧ ايلول ٩٢٣ يعرض فيه المشروع الديني المبارك الذي يقوم به اخواننا المسلمون اليوم في مدينة حيفا من انشاء جامع يسمى (جامع الاستقلال) وقد ارتاح المجلس لهذا المشروع ارتياحا كبيرا واكبر همة القائمين به والمتآزرين عليه وقرر اعانته اعانة مالية قدرها مائتا جنيه مصري وهي واصلة الى لجنتكم الموقرة مع صاحب الفضيلة المشار اليه . هذا واننا نود كثيرا لو أن جميع المسلمين في هذه البلاد يقتدون باهالي حيفا الكرام من حراسة الدين الحنيف من انشاء المساجد وعمارة بيوت الله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . عظم الله ثواب أهل الغيرة الاسلامية وعزز بهم جانب الدين والوطن . وبالله التوفيق .

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى

ملحق رقم (٣)

الجمعيّة الاسلامية بحيفا تأسست سنة ١٣٣٧	وثيقة حول تاسيس جامع الاستقلال	THE MOHAMMEDAN SOCIETY HAIFA (Palestine) FOUNDED 1337 (HEGIRAH)

٩٠

جانب سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى المحترم

بما ان مجلسكم الموقر هو المرجع الاكبر لرفع شأن المسلمين والمحافظة على لوازم ... فان الجمعية الاسلامية ... وهي لا تنسى معاونة المجلس في مشروع

عليه اساسها في جميع اعمالها الخيرية والوطنية ، وبما ان محيط حضراتكم علماً انها

تعلمون ... قامت بانشاء ... منذ ... اشتراء الارض وبسبب هذا ... نفقات

الجامع الذي ... بضعة عشر ... الامر الذي ...

توقفت بتمام بناء الطابق السفلي المؤلف منه ... مباشرة ببناء الجامع العلوي الذي

الجامع في المستقبل ، وبما ان اللجنة المخصصة ساعية في المباشرة ... مسلمي هذه المدينة

... وليس بالاستطاع تحديد ... فالجمعية تستنجد

... مبلغاً وافراً ... بمناسبة ... هذا المشروع ...

الذين تبرعوا ... في المواقف ... الامر بتخصيص مبلغ ...

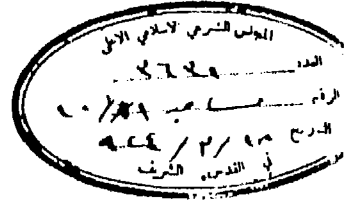
مجلسكم الاعلى مساعدتها في انجاز هذا الامر ... التي تقدرونها موقفها ...

لكي لا تخجل في هذا المشروع امام الطوائف الاخرى ...

تخص حضراتكم الكرام جزيل الشكر وتقدم فائق الاحترام

رئيس الجمعية الاسلامية

٩ شعبان ١٣٤٤ / ١٦ مارت ١٩٢٦



ملحق رقم « ٤ »

نص المقال الذي نشر في جريدة اليرموك ، حول مشكلة التهليل في الجنائز ، التي حدثت بحيفا في ايار ١٩٢٥ .

يتمسكون بالقشور و يتركون اللباب

فتنة نائمة . واجب العقلاء

في حيفا اليوم حركة غير مباركة ، بل فتنة نائمة يوقظها جماعة ممن يتمسكون بالقشور دون اللباب ، و يتظاهرون بالاصلاح الديني والاجتماعي ، ليتبوأوا مركزاً علميا اجتماعيا ليسوا من أهله ، ولو تدبروا لتحققوا ان المراكز العالية في الهيئة الاجتماعية لا تنال الا بالعلم الصحيح والاخلاص الفياض والعقل الراجح .

تلك الفتنة هي التصدي لتحليل وتحريم بعض المندوب والمستحب والمباح في الشرع الاسلامي ، كزيارة أضرحة الانبياء والاولياء ، والتهليل والتكبير في تشييع الجنائز ، وهلم جرا ، مما شطر الناس شطرين وجعلهم حزبين يتربص كل فريق بأخيه الدوائر ، ونشأ عن ذلك قيل وقال أدى الى المناظرة فالمشاتمة فالمضاربة وخيف على الاتحاد الذي ننشده في هذه الايام العصيبة ، ونحمل بعض اثره من ان تتقطع اوصاله ، ونصبح شيعا مستضعفين ، تتناوبنا المصائب من كل جانب ونحن عن حاضرنا ومستقبلنا لاهون .

لا أحب أن أدخل عباب الموضوع من وجهتي التحريم والاباحة ، لان كل مناظر يستند بقوله على رأي امام او قطب ، وانما احب ان الم بالموضوع من وجهة دينية اجتماعية ، لعل البحث يهدينا الى الحقيقة التي غابت عن المدعين بالاصلاح الديني فأقول :

لا خلاف في ان الحديث الشريف «كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها تذكر بالاخرة» صحيح . و يستنتج من قول صاحب الشريعة السمحاء صلى الله عليه وسلم انه نهاهم عن زيارة القبور بادىء بدء لان الناس يومئذ كانوا قريبي عهد بالوثنية ، ثم لما انس منهم قوة الايمان بالله امرهم بزيارتها . اما التهليل والتكبير في الجنازة وفي غيرها ، فهما من الامور المباحة ان لم نقل المستحبة . فالعمل بها لا يترتب عليه مضرة بل يحدث خشوعا في قلوب المشيعين كما ان تركه لا يستدعي اللوم .

اما وقد علم هذا فلماذا يتصدى بعض المتعممين ومن لف حولهم للناس في عاداتهم التي درجوا عليها واتبعوا في بعضها السنة السمحاء و يحدثون شغبا في البلد نحن في غنى عنه ولا طاقة لنا به ؟!

اليظهروا امام الملأ بمظهر العلماء الذين يحاربون البدع ام ليؤثروا على البسطاء بسفسطاتهم ليتبؤوا مقعدا من الزعامة الفارغة ام ان علمهم وادراكهم اوصلهم الى هذا الحد ؟

ان كان هذا مبلغهم من العلم والادراك فليتركوا الحكمة الى اهلها لئلا يهينوها وان كانوا يقصدون محاربة البدع ففي الهيئة الاجتماعية من الكبائر ما يأثم العالم عن التغاضي عنها ، بل هناك من اركان الاسلام الخمسة كالزكاة التي لا تعرف واحدا في الالف يؤديها حق اداءها وكفريضة الصلاة والصوم التي يهملها كثير من المسلمين ، فلماذا لا تقوم جماعة تحريم التهليل والتكبير وزيارة القبور بوعظ الناس وحضهم على اداء الفرائض بدل نهيهم عن امر ليس فيه غير التوحيد والعمل لسنة رسول الله فهل غفلوا عن قوله تعالى «اذكروا الله» الى اخر الاية وتصاموا عن الحديث «كنت نهيتكم» رحماك اللهم بهذه الامة التي يتمسك

بعض المتعممين فيها بالقشور و يتركون اللباب تنزه الدين عما به يلصقون .

حسبنا أيها القوم هذا الذهول والتخاذل فاننا في وقت لا يسع الجدل الفارغ والاختلاف على ما لا يفيد ولا يضر شيئا .

تتنافس الشعوب الغربية بالعلم والاختراع و بالصناعة وتنهمك حكوماتها باعداد القوة لاستعباد الشعوب الضعيفة واكتساح بلادها والاستيلاء على مرافقها ونتلهى بالقشور دون اللباب فنعرض عن العلم ونهمل استثمار الارض التي امرنا النبي الاعظم باستثمارها بقوله «التمسوا الرزق من خبايا الارض» ونستخف بشأن الصناعة ولكن لا تفوتنا المجادلات الفارغة التي هي مضيعة للوقت مضعفة للامم .

اتركوكم ايها القوم من الاخذ والرد في مسألة زيارة القبور فان الاحياء اولى بالعناية والاهتمام واتركوا الموحدين والمكبرين في التشييع يوحدون و يكبرون فان ذلك لا يفيد الامة شيئا ، والتفتوا الى جمع شملها واعداد القوة لرد غارات الطامعين فذلك خير وابقى

ابن عباس

المصدر : جريدة اليرموك
الخميس ٢١ / شوال / ١٣٤٣هـ
١٤ أيار ١٩٢٥م
العـــدد ٦٤

ملحق رقم « ٥ »

رد الشيخ عز الدين القسام على مقال ابن عباس السابق

بيـــان حقيقـــة

بعثت بهذه الرسالة الى جريدة اليرموك فلم تشأ ان تنشرها ولذا ارجو من وطنية صاحب الكرمل الغيور ان يتفضل بنشرها في جريدته .

بعد التحية فاني اريد كشف القناع عن حقيقة المسألة التي جعلتموها موضوع افتتاحية العدد «٦٤» من جريدتكم الصادرة في ٢١ / شوال ١٣٤٣هـ فالرجاء نشر مقالي هذا على صفحات اليرموك في أول عدد ينشر عملا بحق الصحافة وحفظا لحياتنا الدينية والاجتماعية وتلاعب الاهواء والاعراض ما كان ينبغي لحضرتكم ان تعتمدوا فيما ذكرتموه في مقالكم على أهواء المرجفين من غير تثبت ولا ترو ، فهل يعقل ان مسلما ينهى الناس عن ذكر الله تعالى او تكبيره او عن فعل ما اباحه الشرع الشريف من زيارة اضرحة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضي الله عنهم وتشييع الجنائز على الوجه المشروع ، بل كان يجب عليكم ان تلاحظوا ان من نسب اليهم ذلك القول لا يخفى عليهم ما حل وحرم وما ينبغي مما يتعلق في الموضوع وانه لا يعقل ان يتوسلوا بمثل تلك الامور لتبوّ مركز الزعامة الفارغة خصوصا اذا كان الحال يؤدي الى ايقاظ فتنة نائمة ولولا تسرعكم في تصديق من انهوا اليكم المسألة على خلاف وجهها لما طوحتم بقلمكم وجريدتكم في تلك المهاوي السحيقة من التعريض بأعراض المخلصين الصادقين .

اما حكمكم في المسائل الدينية وتقدير الرجال فكان غيركم أولى به لان قلمكم لم يأخذ بقسط من العلوم الشرعية ، يدرك ذلك من مقالكم من شم رائحة العلم ، وكان الاجدر بكم ان تدعوا الكتابة في مثل هذه المواضيع لاربابها وتقتصروا في الكتابة على ما خصكم الله به . ان من تدعونهم الى وعظ الناس وحضهم على اداء الفرائض الخ ... لم يألوا جهدا في تنبيه الامة حيثما حلوا وارتحلوا الى التمسك بأركان الدين ، و بيان مزاياه النافعة وانها من الهمم الى توخي ر بط عرى التآخي والاعتناء بالعلوم على اختلاف انواعها والصنائع المفيدة واستثمار خبايا الارض ، واكبر دليل على هذه اشتغالهم بما يعود على الامة بالنفع العظيم مع اعراض عن المناصب والرتب التي يعيش اربابها على اكتاف الامة و يودون بثروتها من غير فائدة تعود منهم على البلاد ولو ارادوا كما ذكرتم ان يتبوؤا مركزا علميا اجتماعيا ليسوا من اهله لجاروا العوام وسايروهم كما فعل غيرهم .

اما مسألة تشييع الجنائز بالتهليل والدعاء برفع الصوت والضجة المعلومة وزيارة ضرائح الانبياء والاولياء ومقاماتهم بالكيفية المعروفة من التمسح والتملس بالقبور وارتكاب الاثام واختلاط الرجال بالنساء على وجه التهتك والاسراف في الاموال في غير طرقها الحيو ية والدينية والاشتغال بذلك عن الضرور يات فالحكم فيه يعلمه صبيان المكاتب فضلا عن العلماء وهو بدعة منكرة في جميع مذاهب المسلمين لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدون ولا الصحابة والتابعون ولا الائمة المجتهدون رضوان الله عليهم اجمعين ، بل كانت جنائزهم على التزام الادب والسكون والخشوع حتى ان صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن الجميع وما اخذهم من القلق والانزعاج بسبب الفكرة فيما هم اليه صائرون وعليه قادمون

ولم يعهد الاستلام في الاسلام الا للحجر الاسود والركن اليماني خاصة .

و يكفينا دليلا على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفارا لهم وقول ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما لمن قال في الجنازة واستغفروا لاخيكم يعني الميت : «لا غفر الله لك» ، ولا يقول باباحة ذلك الا مبتدع في الدين . أما بوادر الفتنة التي ذكرتموها في الصحيفة الثانية من العدد نفسه فالحق فيها ان الانتفاعيين من كسالى الامة الذين اتخذوا ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم على القبور تجارة لهم هم الذين كانوا من حين الى آخر يرجفون في المدينة و يشيعون بين الطبقات الاكاذيب الملفقة ضد رجال الاصلاح ، وساعدهم على ذلك بعض ارباب الاهواء معتمدين في اقوالهم على من لا يتقي الله في دينه وسنة نبيه فحصل بسبب ذلك تأثر في نفوس بعض المتهوسين ادى بهم الى الشغب الذي آسف الجميع وكنت كما يعلم الله ، اشد الناس اسفا على ما حصل وبهذا يعلم من هو الذي يسعى لايقاظ الفتنة النائمة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واي مناسبة بين حادث فجائي «ان لم يكن امر قد دبر بليل» و بين منعي من الخطبة والتدريس اللهم الا حاجة في نفس يعقوب قضاها . ولئن كان الذين هرعوا الى دار فضيلة مفتي الثغر هم الذين حملوه على منعي من الخطبة والتدريس ، فما بال الذين هرولوا وذهبوا الى داره وطلبوا اليه بالحاح منع من اجر داره مقرا للتبشير وتنصير المسلمين عن الخطابة والتدريس لئلا يكون وصمة عار على المسلمين لم يؤبه لكلامهم ، على انه لا يبعد ان يكون هذا الامر من القشور لا من اللباب ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» .

ان البدع صغيرها وكبيرها من اعظم الاضرار على هذه الامة وانى لمن لم يتحل بالسنن ولم يتجنب الرذائل ان يتصف بالفضائل ، وكنت ارجو ان تكونوا اول مقاوم لمن يخالف السنة و يباين الشرع اذ كنتم من الشبان المتنورين ومن رجال الصحافة ، وعليهم وحدهم تثقيف الامة وتهذيبها وتسيير خطاها الى المثل الاعلى الذي نبتغيه ، هدانا الله جميعا الى سواء السبيل .

عز الدين القسام

المصدر : جريدة الكرمل «حيفا» بتاريخ ١٩٢٥/٦/٦م . ص ٢

ملحق رقم «٦»

ورقة الاجابة التي تقدم بها الشيخ عز الدين القسام لامتحان المحكمة الشرعية في حيفا الخاص بالمتقدمين لوظيفة «مأذون انكحه»

س ١ ماهي موانع النكاح ؟

س ٢ ما الفرق بين النكاح الفاسد والباطل ؟

س ٣ ما الحكمة من ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة ؟

س ٤ ما حكمة المنع في تزويج الصغار وما حكمة اشتراط الولي في نكاحهم ؟

ج ١ هي حق الغير واختلاف الجنس وحرمة المصاهرة والرضاع والنسب واختلاف الدين والجمع والزيادة عن الاربع وعدم شرط من شروط النكاح الشرعية والقانونية .

ج ٢ النكاح الباطل هو غير المنعقد من اصله ولا يترتب عليه شيء من حقوق الزواج اصلا كنكاح المحارم مثلا . والنكاح الفاسد هو الذي ينقض بعض الشروط و يكون منعقدا من وجه الظاهر و يقترن بالظهور فيترتب عليه بعض الحقوق بعد ظهور فساده كنكاح خامسة بعد الاربع و بادخال الآمة على الحرة .

ج ٣ الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة هي كمال عقل الزوج وانه يحسن وضع الامور في محالها فيطلق حسب المصلحة و يمسك زوجه حسب المصلحة ولانه قيم على الزوجة بطبيعة الخلق التي جاءت الشريعة على حسبها من جعل الرجال قوامين على النساء فيناسب ان يكون اطلاق السراح وادامة النكاح بيده ولا يسبب غضاضة في نفس الزوجة بخلاف العكس مما يؤدي بحسب الشعور الى اختلال نظام العائلة ، و بما ينفق الرجل من ماله حسب الاية ايضا ولان اصل النكاح انه يرد على ملك التمتع ببضع المرأة قصدا وهذا يقتضي ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة .

ج ٤ الحكمة من منع تزويج الصغار هي المحافظة على المقصد المطلوب من النكاح الذي هو استدامة بقاء الجنس الانساني خصوصا المسلم منه بحالة طبية متناسبة مع الهناء والنمو العقلي والديني والجسماني في النسل الذي يخرج من بين الزوجين فحيث ان الصغار لا يحرزان قبل سن البلوغ الاهلية لتربية ذراريهم هذه التربية فيكون من اباحة تزويجهم ضرر هائل في المجموع الانساني والمجتمع الاسلامي ، هذا عدا عما يترتب على اباحة تزويج الصغار من الاضرار بعقولهم وأبدانهم والاسراع بهم الى الفناء وغير ما يقصده كثير من الاولياء الجاهلين من استغلال قصور البنات واستجلاب ثروات آباء الصغيرات بعد الموت بسبب ذلك النسب الذي لا يقصد من مثله الا المنافع الدنيئة وذلك موجب لكثير من الفتن بين العائلات ولهذا منع الاباء من تزويج الصغار في بعض الاحوال مع العلم بشدة المرحمة بين الوالد والولد لان هذه المرحمة استبدلها جهل الاباء بالمظلمة . وللاحتراز من الوقوع في شيء من تلك المفاسد اشترط الولي في نكاح الصغار ، لانه ارجى لصلاح حالهم بالنظر لعقل الولي ومحافظة بحسب العاطفة النسبية على مصلحة الصغير ولذلك لم يعتبر الشرع تصرفات الصغار في النكاح وغيره بالنظر لعدم استكمالهم العقل المتوقف على البلوغ .

١٨ جمادى الاخرة ١٣٤٩

٩/ ١٠/ ١٩٣٠

المجيب عز الدين القسام

ورقة الضبط

المحكمة الشرعية في عدد الصفحة

س ما هي موانع النكاح

س ما الفرق بين النكاح الفاسد والباطل

س ما الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة

س ما الحكمة المنع في تزويج الصغار وما حكمة اشتراط الولي في نكاحهم

ج هي عدة الغير واختلاف الجنس وحرمة المصاهرة والرضاع والنسب واختلاف الدين والجمع والزيادة على الاربع وعدم شرط من شروط النكاح الشرعي والقانوني

ج النكاح الباطل هو غير المنعقد من اصله ولا يترتب عليه شيء من عقود الزواج اصلا كنكاح المحارم مثلا والنكاح الفاسد فهو الذي ينقص بعض الشروط ويكون منعقداً من وجه الظاهر ويفترق بالدخول فيترتب عليه بعض العقود بعد الدخول. وفائدة النكاح فاسد بعد لا يكون الدخول الا نزع الحرة

ج الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة لأن عقل الزوج وان يحسن وضع الامور في محلها فطانته حسب [illegible] [illegible] المصلح ولانه فيهم الزوجة بطبيعة الخلقة التي جاءت الشريعة على حسبها من تحمل الرجل [illegible] فيما [illegible] ان يكون الطلاق [illegible] وان النكاح بيده ولا بسبب [illegible] في نفس الزوجة [illegible] بحسب الشعور الا اختلال نظام العائلة ومحافظة الرجل من [illegible] ولان اصل النكاح ان عقد يرد على ملك التمتع بضع المرأة قصداً وهذا يقتضي ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة

ج الحكمة من منع تزويج الصغار هي المواقفة مع المقصد المطلوب من النكاح الذي هو استدامة النسل الجنس الانساني خصوصا [illegible] بالاجنبية [illegible] والنمو العقلي والديني والجسماني في النسل الذي يخرج من بين الزوجين فيثبت ان الصغار لا يجوز لهم قبل سن البلوغ الا تعلم التربية [illegible] هذه التربية [illegible] تزويج [illegible] في المجموع الانساني والمجتمع الاسلامي هذا [illegible] ما يترتب على [illegible] تزويج الصغار من الاضرار بعقولهم وابدانهم والاسراع بهم الى الفناء وغير ما يقصده كثير من الاولياء [illegible] البنات والتخلص من [illegible] ابناء الصغار بعد الموت [illegible] ذلك النسب الذي لا يقصد منه الا المناصب الدنيا وذلك يجب [illegible] تزويج الصغار مع العلم بشدة الرهبة للكبير المتفق بها العائلات ولهذا منع الآباء من تزويج الصغار [illegible] بالظلم وللاحتراز من الوقوع في الوالد والولد [illegible] اشتراط الولي في نكاح الصغار [illegible] لصلاح حالهم بالنظر لعقل الولي [illegible] لم يعتبر الشرع تصرفات الصغار [illegible] النكاح [illegible] لعدم استكمالهم العقل الى حد البلوغ

٨ جمادى الآخرة ١٤١٩

٢٠/١/٩

المجيب

[illegible]

ملحق رقم « ٧ »
جريدة الجامعة العربية تصف معركة يعبد

* حادث مريع هز فلسطين من اقصاها الى اقصاها .
* معركة حربية حامية الوطيس تسفر عن مقتل خمسة اشخاص وجندي انكليزي .
* شخص يقتل خطأ . بلاغ الحكومة عن الحادث . المصاحف في جيوب الشهداء . شماتة الصحف اليهودية .
* جنازة حافلة للشهداء في حيفا و برقيات التعزية . وفود فلسطين الى حيفا . نعي الشهداء من على المآذن في فلسطين . الحكومة تاسر خمسة اشخاص وتحقق معهم .

*****

ـــ تلقت دائرة البوليس في جنين من رئاسة بوليس نابلس ليلة الاربعاء المنصرمة خبرا مفاده ان افراد عصبة ارهابية موجودون في سفح جبل يعبد . وقد اتفقت مراكز بوليس جنين وحيفا وطولكرم و بيسان على تطويق افرادها ورسموا خطة حربية دقيقة للحيلولة دون فرارهم .

كان البوليس في ساحة حرب

ـــ ولم يمض غير القليل حتى وصلت الى جنين قوات من رجال البوليس من حيفا ونابلس والناصرة و بيسان وطولكرم ، وكل افرادها يلبسون الخوذات الفولاذية ومدججون بالاسلحة الكاملة . وذهبوا في وقت واحد الى سهل القرية المذكورة وقاموا بحركة التفاف سريعة . وكان على رأس هذه القوات مدير بوليس نابلس والمستر هاوس مساعده . ثم لحقت بهم قوة من الجند الانكليزي ممتطية سيارات اللوري بالاسلحة الكاملة .

اكتشاف مقر افراد العصبة

ـــ كان افراد العصبة مقيمين بمكان سحيق يبعد عن يعبد نحو ثلاثة كيلومترات وعند مطلع الفجر وصلت هذه القوة الى مقر العصبة واحاطوا بالمكان من كل جانب ووضع البوليس العربي في ثلاثة خطوط امامية ومن ورائهم البوليس الانكليزي .

معركة حربية حامية الوطيس

ـــ وحلقت في سماء القرية طيارة كانت تساعد قوات البوليس على اكتشاف حركات افراد العصبة . ثم بدأت معركة حامية الوطيس بين رجال البوليس وافراد العصبة دامت نحو ست ساعات وكانت قوة البوليس على رأس الجبل وفي امكنة منيعة ، بينما كان افراد العصبة في وادٍ سحيق معرضين للرصاص .

وكان ازيز الرصاص يصم الاذان . و يقال ان معدل ما اطلق من الرصاص ٦٠٠ رصاصة في كل دقيقة .

استشهاد اربعة من افراد العصبة

ــــ وانجلت المعركة عن مقتل قائد العصبة صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين افندي القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا ، وثلاثة من اتباعه وهم المرحومون الشيخ نمر حسن السعدي من شفاعمرو ، والسيد يوسف عبد الله من الزيب ، والسيد المصري من حيفا .

ولم يكن هؤلاء الشهداء لوحدهم . ففي يوم الاحد الماضي اطلق رجال البوليس الرصاص على شخص مسلح في جبال قرية برقين التابعة لجنين واسمه السيد محمد ابو قاسم خلف من حلحول ، واحتفل بتشييع جنازته في جنين احتفالا كبيرا .

واثناء سير المعركة تقدم بوليس عربي من افراد العصبة وطلب منهم الاستسلام فأجابه فضيلة الاستاذ القسام : «لن نستسلم . هذا جهاد في سبيل الله والوطن» . ثم التفت الى زملائه قائلا لهم «موتوا شهداء» .

يقتــــل خطــــا

ــــ وقد حدث ان خرج شاب يدعى احمد الشيخ سعيد من سكان يعبد من بيته ، فأصيب برصاصة مات على اثرها على الفور . و يشاع بأنه كان يحمل بندقية غير مرخصة ولما شاهد رجال البوليس فر من امامهم فاطلقوا عليه النار فقتلوه .

مــن هــم الذيــن قبض عليهــم ؟

ــــ اما الذين القي القبض عليهم فأربعة اشخاص هم السادة حسن الباير «من برقين» واحمد الحاج «من حيفا» ، وعربي البدوي «من قضاء نابلس» ومحمد اليوسف «من حيفا» وقد سيقوا الى سجن جنين للتحقيق معهم .

مصاحــف في جيــوب الشهــداء والاســرى

ــــ ولما فتشت قوات البوليس الشهداء والاسرى وجدت في جيب كل واحد منهم مصحفا شريفا ، ووجدت في جيب الاستاذ القاسم ١٤ جنيها .

مقتــل بوليــس انكليــزي

ــــ وقد فقدت قوة البوليس شرطيا انكليزيا يدعى «موت» ، كما اصيب انكليزي ثان بجراح خطرة .

وسرى الخبر سريان البرق في جنين ونابلس فاكتظت الطرقات بالجماهير ورابطت قوى البوليس في القرى المجاورة لمكان الحادث . اما الاسرى فقد اقيم عليهم حرس قوي ومنع الناس من الاقتراب منهم .

بلاغ الحكومــة الرسمي عن الحادث

ـــ وقد اذاعت الحكومة في الساعة الثامنة من مساء امس البلاغ الرسمي التالي :

كان قد تجمع في المدة الاخيرة عصابة من الاشقياء في الجهة الشمالية من قضاء نابلس تتنقل بين الجبال وكان المدعو محمد ابو قاسم خلف الذي قتله البوليس في كفر قوت يوم ١٧ تشرين ثاني احد افراد هذه العصابة .

وفي فجر هذا اليوم احاطت قوة من بوليس نابلس وطولكرم وجنين قرية الشيخ زيد «شمال يعبد وعلى بعد ١٠ أميال غرب جنين» حيث كان الاعتقاد ان العصابة مجتمعة هناك وقد أطلق عليها الرصاص من حرش قريب وعندما بادلته العصابة الطلقات تبين للبوليس انه امام عصابة مسلحة وفي اثناء المناوشة التي أخذت شكل عراك انتهى حوالي الساعة العاشرة صباحا في اسفل الوادي وقد قتل اربعة او خمسة اشخاص من افراد العصابة وقبض على خمسة أخرين احدهم مصاب بجراح خطيرة .

والمعتقد ان هذا يشمل جميع افراد العصابة وقد استولى على تسع بنادق و بندقية صيد و بندقية سريعة الطلقات وكمية من الذخيرة وقتل من افراد البوليس الانكليزي ر.س.ف.مت ، واصيب بوليس انكليزي آخر بجراح خفيفة .

وعرف من افراد العصابة المقتولين الشيخ عز الدين القسام / الشيخ يوسف عبد الله / احمد الشيخ سعيد / سعيد عطيفة احمد .

وقيل ان اسعد مفلح الحسين قد قتل غير انه لم يعثر عليه بعد .

وقد اصيب نمر حسين السعدي بجراح خطرة ، وكان الشيخ عز الدين القسام الذي اختفى من بيته في اوائل هذا الشهر المنظم والرئيس لهذه العصابة .

نقل جثمان الشهداء الى حيفا

ـــ وقد نقل الشهداء الى حيفا واحتفل في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر امس بتشييع جثمانهم احتفالا مهيبا سار فيه مندوبو بلدان فلسطين والعلماء والوجهاء والاهلون وجرى لهم مأتم لم تشاهده البلاد . وقد صلى على الشهداء في جامع الاستقلال وسار الموكب المهيب الى المقبرة .

تعليقات الصحف اليهودية

ـــ وقد علقت دافار على هذه الحادثة فقالت ان افراد هذه العصبة هم قتلة البوليس اليهودي روزنفلد قرب عين حارود ، وهنأت البوليس على توفقه في القضاء على العصابة .

وذكرت البالستين بوست ان القوة التي هاجمت افراد العصبة كانت مكونة من خمسين جنديا ، منهم ١٢ من الجنود الراكبين ، وكانت الحملة تحت قيادة المستر «فتز جرالد» .

من هو البوليس الانكليزي القتيل

ـــ وذكرت تاريخ حياة البوليس الانكليزي القتيل، فقالت انه يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكان مركزه في نتانيا، وكان قد قدم الى فلسطين عام ١٩٣٢ وفي الثورة الدامية التي جرت في القدس عام ١٩٣٣ استطاع مع احد رجال العرب ان يفرق المتظاهرين في المدينة القديمة. وفي تموز ١٩٣٤ منح وسام الامبراطورية الانكليزية «من القسم العسكري»، بالنظر لبسالته.

نعي الشهداء من على المآذن

ـــ نعي الشهداء الابرار من على المآذن في انحاء فلسطين. وستقام صلاة الغائب على أرواحهم الطاهرة ظهر اليوم في المسجد الاقصى بعد أداء فريضة الجمعة.

وقد تقاطرت الوفود الى حيفا من كافة أنحاء فلسطين للتعزية في الشهداء وسافرت وفود كثيرة من القدس عرفنا من بينها الاستاذ جمال بك الحسيني والسيد عزة افندي دروزة وفضيلة الشيخ صبري افندي عابدين.

المصدر: الجامعة العربية ٢٢ / ١١ / ١٩٣٥

ملحق رقم «٨»
وصف جريدة فلسطين لمعركة يعبد

لن تستسلم ! هذا جهاد في سبيل الله والوطن .
ــ معركة حامية بين افراد العصبة الارهابية وقوة كبيرة من رجال البوليس .
ــ قتل خمسة اشخاص ــ قتل بوليس انكليزي ــ استسلام اربعة من العصبة .
ــ المعركة تدوم ست ساعات ــ تحريات مراسلي «فلسطين» في جنين ونابلس

جنين في ٢٠ ت١ ــ لمراسل فلسطين الخاص ــ ذكرت في رسالة سابقة ان رجال البوليس في يوم الاحد الماضي اطلقوا الرصاص على شخص مسلح في جبال قرية برقين التابعة لهذا القضاء ، وهو من اهالي قرية حلحول «الخليل» وقتلوه ، وان اهالي هذه المدينة احتفلوا بجنازته وقد قيل انه احد افراد عصبة ارهابية عربية يظن انها قتلت الشاويش اليهودي روزنفلد في قرية شطا التابعة لقضاء بيسان .

وانقل الى القراء انباء معركة دامية جرت في الصباح الباكر بين افراد هذه العصبة وقوة كبيرة من البوليس العربي والانجليزي بقيادة عدد عظيم من الضباط .

قوة عظيمة من رجال البوليس للمطاردة

تلقت دائرة البوليس ليلة أمس خبراً مفاده أن أفراد العصبة الارهابية موجودون في أحراج يعبد فلم يمض الا القليل حتى وصل الى جنين عدد كبير جداً من رجال البوليس من حيفا ونابلس والناصرة و بيسان وطولكرم وكلهم بالخوذات الفولاذية ومعهم الاسلحة الكافية قد اجتمعوا هنا ، ولم يكن واحد منهم يعرف الجهة التي سيساق اليها ، و بعد ذلك أركبوا في سيارات الى جوار يعبد دون أن يشعر بهم أحد .

وعند مطلع الفجر وصلت هذه القوى الى حيث قيل أن العصبة الارهابية مختبئة وهو مكان يدعى «الطرم» و يبعد عن يعبد ثلاثة كيلومترات .

معركة بين قوتين غير متكافئتين

وقد أحاطت القوى بالمكان إحاطة السوار بالمعصم ، وقد وضع البوليس العربي في ثلاثة خطوط أمامية وخلفهم البوليس الانجليزي ، وكان المكان وعراً جداً كثيف الاشجار وصدف ان كان افراد العصبة مستقرين في واد عميق ورجال البوليس في اعالي الجبال وعلى تلك الصورة بدأت معركة حامية الوطيس بين هاتين القوتين غير المتكافئتين فأخذ الرصاص يئز ازيزاً ارهب سكان القرى المجاورة حتى بلغ ما اطلق في كل دقيقة نحو ٦٠٠ رصاصة .

هذا جهاد في سبيل الله والوطن

وقد صاح عربي من رجال البوليس طالبا من رجال العصبة الاستسلام فأجابه الرئيس فضيلة الشيخ عز الدين افندي القسام بصوت جهوري قائلا : «اننا لن نستسلم ، ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن» والتفت الى زملائه وقال : «موتوا شهداء» .

المعركة تستمر حتى التاسعة صباحا

وقد استمرت المعركة على شدتها حتى الساعة التاسعة صباحا فاستشهد الشيخ عز الدين افندي القسام وهو في ثيابه الدينية وعمامته البيضاء ثم سقط بعده اربعة من زملائه واستسلم الاربعة الباقون .

أسماء الذين سقطوا في المعركة

الشيخ عز الدين ، نمر حسن السعدي «قرية المزار ـ جنين» يوسف عبد الله «قرية الزيب ـ عكا» ، السيد المصري «حيفا» وهناك شاب اخر يدعى احمد الشيخ سعيد من سكان احراج يعبد يقع بيته بجانب المكان الذي نشبت فيه المعركة ، قتل برصاص البوليس ، ولم تعرف اسباب قتله ، و يشاع انه كان يحمل بندقية غير مرخصة ولما شاهد رجال البوليس فر امامهم هاربا فأطلقوا عليه النار وصرعوه .

خسارة قوة البوليس في المعركة

والمعروف حتى الان ان قوة البوليس فقدت شرطيا انجليزيا قتل في المعركة وجرح انجليزي اخر جراحا خطرة .

و يرجع السبب في قلة خسارة البوليس الى موقعهم الحربي وعدم رغبة رجال العصبة ـ كما قيل ـ في اطلاق الرصاص
على البوليس العربي ، والبوليس القتيل من الفرسان اسمه «موط» لم يمض على وصوله الى جنين غير ثلاثة اسابيع فقط وقد نقل الجريح الى المستشفى بنابلس في سيارة دائرة الصحة التي استحضرت خصيصا الى يعبد بعد ان نشبت المعركة .

المستسلمون يساقون الى السجن

وقد جاءت قوة البوليس بالاربعة المستسلمين الى جنين ولاحظنا عليهم امارات التعب الشديد حتى لم يكن الواحد منهم قادرا على السير ، ووضع المستسلمون في السجن رهن التحقيق .

ولا تزال المدينة كأنها ساحة حرب غاصة بالجنود ورجال التحري الذين انبثوا في الايام الماضية بين القرو بين . و يظن ان القوة ستظل هنا اياما اخرى لتعقيب بقية افراد العصبة .

أهالي يعبد لا يطعمون الجنود

وقد سمعت احد رجال البوليس يشكو مر الشكوى من الجوع ، وقال ان اهالي يعبد لم يتقدم منهم احد لتقديم الطعام الى البوليس .

قسم يفترق عن العصبة

وعلمت ان البوليس سأل احد الذين استسلموا عن الشيخ فرحان السعدي «من قرية المزار ـ جنين» واين

مقره ، اذ لدى البوليس معلومات انه من اعضاء العصبة فأجابه المستسلم أن الشيخ فرحات فارق العصبة بعد مقتل الشاو يش اليهودي بعد مقتل الشاو يش اليهودي رزونفلد بقضاء بيسان ، وانه لا يعرف مقره الحالي . و يقال ان عدد افراد العصبة جميعا ٢٢ شخصا .

جثث الشهداء لم تصل الى جنين

وانا اخابركم الان في الساعة الخامسة بعد الظهر وجثث الشهداء لم تصل الى هنا . ولا يعرف الان اذا كانت الحكومة ستسلمها الى اهليهم او انها ستدفنهم في جنين او يعبد على نفقتها .

عزل المستسلمين عن جميع الناس

اكتظت الطرقات بالجماهير التي احتشدت لرؤية المستسلمين ولكن رجال البوليس بعدما وضعوهم في السجن ، اقاموا عليهم حرسا قو يا ومنعوا جميع الناس من الاقتراب من السجن ، ولاحظنا انهم يلبسون سراو يل خاكية ولم نستطع معرفة اسمائهم لان البوليس لا يريد ذلك ، حتى ان افراد القوة كانوا يهر بون عندما يلاحظون او يظنون ان من يخاطبهم يمت الى الصحافة بصلة .

رجال البوليس يطاردون القسم الباقي

والمفهوم ان قوة البوليس ستظل مرابطة هنا وفي القرى المجاورة للبحث عن القسم الباقي من افراد العصبة الذين انشطروا عن زملائهم بقيادة الشيخ فرحات السعدي كما قال احد المستسلمين .

لماذا قتل احمد الشيخ سعيد

قال احد رجال البوليس ان السبب في قتل احمد الشيخ سعيد الساكن بجوار حرج يعبد هو ان البوليس رآه يخرج من مكان العصبة فظن انه كان يوصل الى افرادها طعاما ، ولما طلب اليه الوقوف ابى الاذعان فأطلق عليه النار وقتله .

كيف عرفت الحكومة بمقر العصبة

والشيء الذي يتحدث عنه الاهلون هنا ، هو كيف عرفت الحكومة بمقر العصبة وتكو ينها ! والاشاعات كثيرة في هذا الشأن .

و يقال ان اول ما لفت نظر الحكومة هو ان رجال البوليس سألوا قرو يا عن حادث مقتل الشاو يش اليهودي فقال لهم : اذهبوا الى حيفا وابحثوا عن العصبة التي يرأسها الشيخ عز الدين القسام .

و يقال ايضا ان الحكومة استخدمت كثيرا من القرو يين لارشادها الى اعمال العصبة وحركاتها ، وان السبب في معرفة مقرها يعود الى «جهود» اولئك القرو يين . وعلى كل فاني لا اريد ان اتوسع في نقل تلك الاشاعات الان .

المصدر : جريدة فلسطين ــ يافا ٢١ / ١١ / ١٩٣٥

ملحق رقم « ٩ »
رسالة صحافية عن معركة يعبد ، يتحدث فيها المجاهد الجريح نمر حسن السعدي ٢٠ / ١١ / ١٩٣٥

معركة هائلة بين عصبة الثائرين والبوليس
استشهاد فضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس العصبة
قتل بعض الثائرين والبوليس الانكليزي
هياج الافكار في اللواء الشمالي
تشييع جنازة الشهداء «اليوم»
دعوة الامة والزعماء الى الاشتراك في الجنازة
حديث أحد الجرحى لمراسلنا

نابلس ٢٠ لمراسلنا الخاص ــ اتصل أمس مدير البوليس مع مراكز بوليس جنين وحيفا وطولكرم و بيسان واخبرهم ان لديه معلومات عن وجود عصابة أشقياء في سفح الجبل بالقرب من قرية يعبد واتفق رؤساء البوليس على تطويق العصابة ورسموا خطة حربية دقيقة للحيلولة دون فرار العصابة في هذه المرة ولم يمض وقت طويل على هذه المخابرة حتى خرجت القوات من المراكز في وقت واحد متجهة نحو سهل تلك القرية وقامت بحركة التفاف وكان على رأس هذه القوات مدير بوليس نابلس والمستر هاوس مساعده وفي صباح اليوم خفت قوة من الجند الانكليزي أيضا ممتطية سيارات اللوري بأسلحتها الكاملة الى مكان الحادث وقد اسرعت وأمتطيت سيارة خاصة عندما تحققْ لدي اهمية الخبر وصحبت الجنود حتى وصلنا الى قرية يعبد حيث كان ازيز الرصاص يصم الاذان .

وحلقت في سماء قرية يعبد طيارة كانت تساعد قوات البوليس لاكتشاف حركات أفراد العصابة ودامت المناوشات بين قوات البوليس والثائرين مدة ساعتين ، وقد أسفرت المعركة عن قتل قائد الثوار صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا ، وثلاثة من أفراد العصابة وهم السادة : الشيخ نمر حسن السعدي من غابة شفاعمرو والسيد يوسف عبد الله الزيباوي من قرية الزيب والسيد سعيد عطيه المصري من مصر قاطن حيفا . مضافا اليهم من قتل أمس . اسمه السيد محمد ابو قاسم خلف من جبل الخليل .

اما الذين القى البوليس القبض عليهم فعددهم اربعة وهم السادة حسن الباير من قرية برقين ، احمد الحاج من قرية حيفا ، عربي البدوي من قبلان نابلس ، محمد اليوسف من حيفا ، وقد تقدمت قوات البوليس من المقتولين والاسرى واخذت تتحرى جيوبهم فعثرت في جيب رئيس العصابة الثائرة على مصحف شريف وأربعة عشر جنيها ثم ظهر انه قتل الجندي الانجليزي برصاص الثائرين و يدعى مور وجندي أخر جرح بجروح خطرة وثالث لم أعرف أسمه وقد نقلوا الى مستشفى نابلس فورا.

وقد طلب مني أحد المجروحين ماء و يدعى الشيخ نمر حسن السعدي فتقدمت اليه حالا واسعفته بالماء ثم اغتنمت هذه الفرصة وجلست بجانبه واخذت القي عليه بضعة اسئلة فلم يجبني عليها الا بعد ان سألني عن اسمي ومذهبي وماهي الغاية من سؤالي فأخبرته اني مراسل الجامعة الاسلامية واني عربي مسلم

فأخذ يشرح لي عن عصابته بصوت خافت فقال :

حديـــث الجريـــح

ان افراد عصابتنا قد تأسست منذ سنتين برئاسة فضيلة رئيسنا الشيخ عز الدين القسام وكنا نجتمع سرا في حيفا الى ان كمل عددنا خرجنا من حيفا منذ شهر بعد أن اتفقنا على نصرة الدين والوطن وقتل الانجليز واليهود لانهم محتلون بلادنا و بوصولنا الى سهل بيسان قتلنا الجاو يش اليهودي وقد كان معه جنديان عربيان فلم نقتلهما وكنا مسلحين بالبنادق ومعنا كمية من الخرطوش تقدر ب ٧٠٠٠ خرطوشة وقد اشترينا هذه البنادق ورصاصنا من مالنا الخاص بعد أن وفرناه من مصروفاتنا .

ان جمعيتنا سرية وكنا لا نقبل فيها الا من كان مؤمنا مستعدا ان يموت في سبيل بلاده و بعد ان اقمنا مدة في ناحية الحرش بين نابلس وجنين وقد ارسلنا احدنا محمد ابو قاسم خلف يراقب الطريق و يتجسس لنا على افراد البوليس و يظهر ان البوليس قد شاهده فأطلق النار عليه فاستشهد حالا وعلمنا باستشهاده فاتفقنا على ان نهاجم قوات البوليس صباحا وكانت منتشرة في السهول والجبال وقد فعلنا ذلك فقتلونا كما ترانا الان .

جثمـــــان الزعيـــــم

وفي اثناء ذلك جيء بجثمان زعيم الثوار فضيلة الشيخ عز الدين القسام مقتولا . فطلب الجريح مني ان اقربه الى رئيسه الاستاذ القسام ليودعه فنظر اليه والدمع يترقرق في عينه وأخذ يقرأ آيات قرآنية و يهديها الى روح رئيسه والشهداء ثم اخذت اسأله عن العصابة فقال انها لم تتعرض لاحد من الوطنيين وكنا نشتري غذاءنا بالنقود ولا نلزم احد ان يقدم لنا غذاء وغايتنا تخليص البلاد فقط.

ثم قال ان رئيسنا عالم ديني فالتفت الى جثمان الشيخ عز الدين فوجدته يلبس عمامة وقفطانا وعمره يبلغ الستين سنة وهو ذو لحية بيضاء ، وكان مسلحا بمسدس كبير ، ثم جيء بالقتلى فنقلوا بسيارة الى جنين كما ان افراد الثوار وعددهم اربعة نقلوا الى نابلس تحت حراسة البوليس حيث اودعوا بالسجن وما انتشر الخبر في نابلس حتى اخذت وفود الشباب والوجهاء تفد على وكالة هذه الجريدة لتستفسر عن الخبر وتفاصيله

ثم اجتمع الشباب وقرروا ايفاد وفد منهم لحضور موكب تشييع جنازة الشهداء ، وقد اتصلوا بجنين ، فعلموا ان الجثث قد نقلت ليلا الى حيفا . و ينتظر ان يصل غدا الى حيفا وفد منهم .

المصدر : الجامعة الاسلامية ، يافا ، ٢٥ شعبان ١٣٥٤هـ ـ ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥م .

ملحق رقم «١٠»

«تعليق حكومة فلسطين على استشهاد القسام»

علقت حكومة فلسطين في تقريرها الى لجنة الانتدابات على حوادث سنة ١٩٣٥ عن ثورة القسام بما يلي :

«انتشرت في الجو اشاعات عن عصابات للارهاب تألفت بوحي من عوامل سياسية ودينية ، وفي يوم ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ ، كان جاو يش من البوليس يقف اثر سرقة في هضاب قضاء الناصرة ، فأطلق عليه اشخاص مجهولون النار فقتلوه .

وسرعان ما ادى هذا الحادث الى اكتشاف عصابة مسلحة كانت في ذلك الجوار تحت قيادة الشيخ عز الدين القسام وهو لاجيء سياسي من سوريا ذو مكانة ليست بالقليلة كرجل من رجال الدين ، وقد اشتبه به اشتباها قو يا قبل ذلك ببضع سنوات وقيل ان له ضلعا في اعمال ارهابية .

و بعد ذلك بأيام قلائل اشتبكت دورية البوليس مع احد افراد هذه العصابة و بعد ان تبادلت معه اطلاق الرصاص سقط قتيلا .

وفي يوم ٢٠ تشرين الثاني انطلقت رصاصة على حين غرة على بوليس كان يفتش في الهضاب الواقعة على بعد بضعة أميال الى الغرب من جنين فأدت هذه الرصاصة الى اكتشاف العصابة الرئيسية ، وفي المحار بة التي جرت ، قتل من افراد هذه العصابة ار بعة واسر خمسة ، ثم القي القبض على واحد آخر بعد ذلك بأيام .

وقتل كونستابل بر يطاني وجرح آخر ، وكانت العصابة مزودة تزو يدا حسنا بالاسلحة والذخائر . وحضر جنازة الشيخ عز الدين القسام في حيفا جمع غفير جدا من الخلق و بالرغم من الجهود التي بذلها كبار المسلمين في توطيد النظام وقعت مظاهرات وقذفت حجارة .

و بعثت وفاة الشيخ عز الدين بموجة قو ية الشعور في الدوائر السياسية وغيرها في البلاد ، واتفقت أراء الصحف العر بية على تسميته بالشهيد فيما كتبة من المقالات الوطنية .

المصدر : عمر ابو النصر : جهاد فلسطين العر بية ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣ .

ملحق رقم «١١»
الرد على تسمية البلاغ الرسمي
لعصابة القسام بالاشقياء ! ٢١/١١/١٩٣٥م
«حسبونا اشقياء ، أخطأوا
ليس من صانوا الحمى بالاشقياء»

بقلم الوطني الحر الاستاذ أكرم زعيتر

هل رأيت أليم الصخاب ، الجائش الفوار ، المتلاطم الامواج المواز ، المزبد المرغي الهادر ؟

هل رأيت البراكين المضطرمة المضطربة تقذف الحمم والنار ؟

هل سمعت الرعود العاصفة تجلجل ؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع ؟

هل رأيت الاتون المتسعر ؟ المتلظي ، المتأجج الوهاج ؟

ان لم يكن هذا فسل من مشى في موكب الشهداء في حيفا التي دوت صرختها اليوم في الآفاق وتصاعد زفيرها الى أجواز الفضاء ... كل ذلك من أجل عصابة أشقياء !! أستغفر الله بل عصبة شهداء .

يقول البلاغ الرسمي انها عصابة من الاشقياء وتقول الامة الحية التي مشت اليوم في موكب وداع ضحاياها : كلا . كلا . انهم ابنائي وذوادي ... انهم مهجي وشهدائي !

يقول القانون انهم عصابة اشقياء وتقول الامة التي دهتها الرزايا وتوالت عليها المحن والبلايا : ليس القانون من صنع يدي ... وانما هؤلاء الضحايا هم الذين صنعتهم يدي ، واحتضنتهم اليوم تربتي .

عصابة أشقياء في نظر البلاغ الرسمي ... اما في نظر الشعب العربي ، فسلوا عنهم الدموع المهراقة وسلوا عنهم الزفرات المتصاعدة ، بل سلوا عنهم الزغاريد تنطلق من افواه النساء والهتافات من صميم افئدة الرجال

عصابة اشقياء في البلاغ الرسمي . وعصبة الشهداء في سجل القضية .

يا صديقي ، يا صديقي الشهيد عز الدين القسام ، ليتك استطعت اليوم ان تنهض من نعشك لترى كيف رفعتك امتك وصحبتك على الاكف والهام ، لقد كان هذا اليوم يومك الاعز المحجل .

لقد سمعتك يا صديقي قبل اليوم خطيباً مفوهاً تتكىء على السيف وتهدر من على المنبر ، وسمعتك اليوم خطيبا تتكىء على الاعناق ، ولا منبر تقف عليه، ولكنك والله اليوم اخطب منك حيا .

ليت السلطة تستطيع ان تعلل هذا الاندفاع الفذ في تقديس عصابة الاشقياء .

الا ان الاشقياء منا هم الذين سترى عيونهم هذه الامة العربية في فلسطين اقلية ذليلة مهانة .

الا ان الاشقياء التعساء هم الذين يطيقون الذل و يقيمون على الهوان ، ينكسون الرؤوس و يخفضون الهامات .

اما هؤلاء فشهداء سعداء ولو قالت الحكومة المنتدبة وقال قانونها انهم عصابة اشقياء ؟

حيفا — اكرم زعيتر

المصدر : الجامعة الاسلامية ، العدد ٩٩٤

٢٦ شعبان ١٣٥٤هـ و ٢٢ تشرين ثاني سنة ١٩٣٥م .

ملحق رقم «١٢»
نص البيان الذي وزعه الحزب العربي الفلسطيني لجمع التبرعات لعائلات الشهداء

حضرة السيد الفاضل :

زرت أول البارحة عائلات الشهداء المرحومين الشيخ عز الدين القسام والشيخ يوسف الذيباوي والسيد المصري في حيفا مع بعض الاخوان فوجدت ان العائلات الثلاثة في حالة تفتت الاكباد ليس من جهة الحزن على الذين فقدوهم فقد كانوا جميعا من حيث معنو ياتهم وصبرهم على أحسن ما يكون بل لم نعتقد مطلقا ان النساء والاطفال يمكن امام مثل هذه المصيبة ان يتحلوا بالصبر و يعتصموا بقوة اكثر مما رأيناه منهم .

ولكن الحالة البائسة التي هم فيها ناشئة عن الفقر وكثرة العائلات ، فللشيخ عز الدين القسام ثلاث بنات وغلام لا يتجاوز التاسعة من العمر وله زوجة وشقيقة ووالدة مقعدة وللشيخ يوسف غلام طفل و بنتان ، الكبرى لا يزيد عمرها عن الخامسة وزوجه ، وللسيد المصري ثلاث بنات كبراهن لا تزيد عن الخامسة وامهن حامل وستضع قرب عيد الفطر القادم وله والد زوجه اعمى ولهذا بنتان كلهم يعتاشون من الفقيد .

وحالة الفقر الظاهرة التي هم فيها تدمي القلوب ، ولذلك ارى من الواجبات الاولية ان يقوم الحزب بعمل بسيط لاسعاف هذه العائلات قبل حلول العيد المبارك ، وذلك بأن يجمع كل فرع من فروع الحزب من اهل الخير والاحسان و بطريقة لا حزبية مالا ينقص عن الخمسة جنيهات تقدم لمكتب الحزب حول ٢٠ رمضان كي يتمكن من تقديمها جميعا لاماكنها .

و بالطبع نحن ننتظر من البلدان الكبرى ان تكون اكثر سخاء فوضعنا الحد الادنى وتركنا الحد الاعلى مفتوحا وكل ما زاد كان اوفى للمطلوب ، راجين بذل همتكم وعموم الاخوان في جمع مبلغ يتساوى مع شعوركم الحي وارساله قبل الموعد المضروب واشكركم سلفا .

رئيس الحزب العربي الفلسطيني
جمال الحسيني

القدس في ٢٣ / تشرين ثاني سنة ١٩٣٥

حضرة السيد الفاضل

زرت امس البارحة عائلات الشهداء المرحومين الشيخ عز الدين القسام والشيخ يوسف الزيباوي والسيد المصري في حيفا مع بعض الاخوان فوجدت ان العائلات الثلاثة في حالة تفتت الاكباد ليس من جهة الحزن على الذين فقدوهم فقد كانوا عظيما من حيث صبرهم وصبرهم على احسن ما يكون بل لم نشاهد مطلقا ان النساء والاطفال يمكن امام مثل هذه المصيبة ان يتحلوا بالصبر ويتمسكوا بقوة اكثر مما رايناه فيهم . ولكن الحالة البائسة التي هم فيها ناشئة من الفقر وكثرة العائلة فالشيخ عز الدين القسام ثلاث بنات وغلام لا يتجاوز الخامسة من العمر وله زوجة وشقيقة ووالدة مقعدة وللشيخ يوسف غلام طفل وبنتان الكبرى لا تزيد عمرها عن الخامسة وزوجة وللسيد المصري ثلاث بنات كبراهن لا تزيد عن الخامسة وامهن حامل وستضع قرب هذا الشهر القادم وله والد وزوجة اخ ولهذا فان كلهم يعتاشون من العايد . وحالة الفقر الظاهرة التي هم فيها تدمي القلوب ولذلك ارى من الواجبات الاولية ان يقوم الحزب بعمل مفيد لاصحاب هذه العائلات قبل حلول العيد المبارك وذلك بان يجمع كل فرع من فروع الحزب من اهل الخير والاحسان وبطريقة لا حزبية ما لا يقل عن الخمسة جنيهات تقدم لمكتب الحزب حول ٢٠ رمضان كي نتمكن من تقديمها حسب لاماكنها . وبالطبع وبالطبع نحن ننتظر من البلدان الكبرى ان تكون اكثر سخاء فوضعنا الحد الادنى وتركنا الحد الاعلى مفتوحا وكل ما زاد كان اولى للمطلوب راجين بذل همتكم وهمم الاخوان في جمع مبلغ يتساوى مع شعوركم الحي وارساله قبل الموعد المضروب . واشكركم سلفا .

رئيس الحزب العربي الفلسطيني

جمال الحسيني

القدس في ٢٣ تشرين ثاني سنة

١٩٣٥

ملحق رقم «١٣»
الاحتفال بتشييع القسام وصحبه الى المثوى الاخير في حيفا
٢١ / ١١ / ١٩٣٥

حوادث خطيرة في حيفا بين الجند والاهلين

كيف شيعت حيفا جثث الشهداء الطاهرة الى مقرها الاخير
رشق دائرة البوليس والمحطة بالحجارة
سقوط جرحى من الاهلين والجند

شاعت يوم امس في يافا اشاعات متضاربة حول الحالة في حيفا سببت تبلبل الافكار فوجدنا ان الواجب الصحفي يدعونا لاذاعة ما اتصل بنا من الانباء الحقيقية تهدئة للخواطر المضطربة فوزعنا الملحق التالي :

حيفا في ٢١ الجاري لمراسلنا الخاص :

باتت حيفا ليلتها قلقة ساهرة تندب شهدائها وتذكر الوضع المشؤوم الذي يولد مثل هذه النتائج الخطرة وقل من استطاع من ابنائها ان يذوق النوم اذ وردت عليها الانباء تترى عن استشهاد خطيب جامعها، الاستاذ الشيخ عز الدين القسام ، رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا واحد اقطاب الوطنيين ، وعضو حزب الاستقلال في حيفا وصحبه الابرار المؤمنين .

وصول الجثث الى حيفا ليلا

ولما وصلت الجثث ليلا الساعة العاشرة الى حيفا هرعت الجماهير الغفيرة الى بيوت اصحابها .

في الصباح الباكر اضراب عام

وفي الصباح الباكر اضربت حيفا اضرابا عاما شاملا لم يسبق له مثيل حداداً على الشهداء واكبارا لتضحيتهم . وتساوى باكبار الشهداء مسيحيو البلدة ومسلموها .

الالاف المؤلفة تنتظر الشهداء

وفي الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم كانت الاف الجماهير من الناس في الطرقات ، متصلة ببيوت الشهداء تنتظر نزولها والسير بها الى المسجد . فانزل جثمان الاستاذ الشيخ عز الدين فالسيد المصري فالشيخ يوسف عبد الله الزيباوي اما الرابع البدوي فقد اخذ اهله جثمانه قبل وصوله .

لف النعوش بالاعلام الاسلامية

وقد كبرت الجماهير وقبل البدء بالسير في الموكب تقدم الوطني المعروف الاستاذ رشيد افندي الحاج ابراهيم ولف النعش الاول بالعلم العراقي والاخر بالعلم السعودي والثالث بالعلم اليماني وصار الموكب في نظام منقطع النظير الى جامع النصر الكبير الذي اختير لاتساعه ، وقد كان مكتظا بالالوف من المصلين ، وكانت الطرقات تعج بالخلائق والشرفات ممتلئة بالنساء واسطحة البيوت فكان مشهدا عظيما رائعا لم تر حيفا مثله الا يوم توديع جثمان الملك فيصل . وفي اثناء الصلاة بالمسجد قدم وفد من نابلس ففسحت الجماهير الطريق له .

الوفد النابلسي : وكان الوفد النابلسي مؤلفا من كثيرين عرفنا منهم الاستاذ عادل زعيتر المحامي . راشد افندي ابو غزالة والاستاذ اكرم زعيتر والحاج بشير ياسين والسيد ماجد القطب والحاج فوزي الخياط وفريز الحبش .

وفد صفد : ثم أقبل وفد صفد وعلى رأسه الاستاذ صبحي بك الخضرا المحامي . وعبد الرحمن افندي النوحي .

وفد عكا : ثم أقبل وفد عكا .

خروج الجنائز : ثم خرج المصلون يحملون النعوش على أكتافهم و بعد جهد جهيد استطاعوا الخروج فيهم من المسجد الى الساحة الكبرى أمام المسجد المكتظة والبالغة الاف الخلائق .

النساء يزغردن : وكانت النساء يزغردن والشباب يهزجون بعاطفة جياشة بالشعور المتدفق المليء بالروح والوثابة وهيهات لمثلي ان يستطيع وصفها . وكانت الايدي ترتفع والصيحات ضد الاستعمار والصهيونية تشق أجواز السماء .

سير الموكب : ثم سار الموكب والهتافات تتصاعد من الحناجر وكلمة الله اكبر تدوي في الافاق ـ وفرق الكشافة ، فالجماهير ، فالعلماء ، فالنعوش فكانت مزدحمة ازدحاما لا مثيل له .

امام دائرة البوليس : وظل الموكب يتدافع ، والحماس يتزايد حتى الوصول الى دائرة البوليس .

قذف الدائرة بالحجارة : وهناك بلغ التأثر في الشعب حدا لم يستطع معه احد ان يكبح جماحه فأخذ يرسل الحجارة والطوب على نوافذ دائرة البوليس .

تحطيم النوافذ وسيارات البوليس : فحطم الباب والنوافذ وتوارى البوليس وحطمت سيارات البوليس الواقفة امام الدائرة ثم سار الموكب في طريقه حتى اخر شارع الملوك حيث النصب التذكاري للمغفور له فيصل .

بين الجمهور والجند : وهناك لمح الجمهور بعض الجنود البريطانيين فهاجمهم .

جرح شاب وطني : وأسفر هذا الاصطدام عن جرح احد الشبان العرب جرحا بليغا في رأسه وعن ثلاثة جرحى من الجند البريطانيين ، اما الجريح العربي فاحتمله الشاب الشهم السيد سميح الحاج ابراهيم الى عيادة الدكتور حمزة حيث اسعف ثم ارسل الى المستشفى وحالته تنذر بالخطر .

مهاجمة المحطة : ثم استمر الموكب متدافعا نحو المحطة ، وهناك اخذت الاحجار من الاهالي تتساقط على المحطة من كل صوب هجوما عنيفا بالحجارة والعصي فلاذوا من فيها بالفرار فتعقبتهم الجماهير وهنا حصلت بلبلة عظيمة اذ انتشر في روع الناس ان قوة من الجند البريطاني مقبلة .

الجنود يهاجم الشعب : ولم يخيب الظن اذ اقبلت حالا كتيبة من الجند بخوذها الفولاذية وعصيها فنزلت من السيارة واصطدمت بالشعب فانهال عليها الناس بالحجارة والعصي فوقع الكثيرون من الجند على

الارض ثم ولوا الادبار .

واصر الجمهور على استمرار السير وكان الهياج العصبي قد بلغ حدا مدهشا الى ان ساروا على مقربة من بيت الشهيد الاستاذ القسام .

وقبل وصولهم مرت عدة سيارات ملأى بالجند البريطاني المدجج بالسلاح الكامل لحماية البيوت اليهودية الواقعة على الطريق وفي الياجور بقرب المقبرة .

وهنا كان البرنامج ان ترسل النعوش بالسيارات بعد ان يجري التأبين ولكن كان الجو مكفهرا مضطربا اضطر معه خطباء البلاد ان يعدلوا عن القاء كلماتهم .

وعزفت الموسيقى نشيدها المحزن وتقدم البعض لوضع النعوش في السيارات لولا ان جمهورا غفيرا من الناس قد ابى الا ان تحمل النعوش على الاعناق وان يرسل الشهداء الى لحودهم مشيا على الاقدام رغم طول المسافة التي لا تقل عن ٧ كيلومترات الى بلد الشيخ .

وكانت ارادة الشعب هي الغالبة اذ ظلوا سائرين في نفس الترتيب .

بعثت اليكم بهذه الرسالة التلفونية الساعة الثالثة بعد الظهر وحيفا قائمة قاعدة للحادث الاليم والاضراب ما يزال مستمرا . والشهداء حتى الان لم يصل موكبهم الى المقر الاخير لطول المسافة .

وفد يافا : اما وفد يافا فقد تأخر عن الوصول حتى موعد هذه الرسالة .

وفود القرى : ووفد مئات الوفود من القرى المحيطة بحيفا وكلما اقبلت سيارة كانت الجماهير تهرع لعلها ترى فيها الزعماء ورؤساء الاحزاب الذين يتجاهلون في مثل هذا الموقف واجب مشاركة الامة في شعورها ، وقد وردت برقية من سماحة منشىء الجامعة الاسلامية .

بعد الصلاة : و بعد الصلاة أبنهم فضيلة الشيخ يونس افندي الخطيب قاضي مكة الاسبق بكلمات مؤثرة بدأها بآيات من القرآن الكريم فبين اجر الشهداء عند ربهم وانهم احياء عند ربهم يرزقون

الجنائز تظل محمولة على الاكتاف :

وقد تابعت السير مع هذه الجنازة الصامتة الناطقة الى ان وصلت شركة المصانع الكيميائية الامبراطورية حيث اعدت هناك سيارة لنقل جثث الشهداء ولكن الجمهور المحتشد ابى التخلي عن جثث شهدائه والا ان يتابع السير بها محمولة على الاكتاف وهكذا كان الا ان وصلت الجماهير مقبرة بلد الشيخ التي تبعد ٥ كيلومترات عن حيفا وهناك انزلت الجثث ووريت التراب وهي في حالها الطبيعية وفي ملابسها الملوثة بالدماء

مستعمرة الياجور تقفل :

وفي طريقنا الى بلد الشيخ كانت مستعمرة الياجور اليهودية مقفلة بأمر من ادارة البوليس لئلا يحدث مالا تحمد عقباه .

ثلاث ساعات ونصف :

وقد استغرق السير بالجنازة من الجامع الكبير في ساحة الجرينة الى مقبرة الياجور من الساعة ١٢ الى الساعة الثالثة والنصف وكانت خلالها الجماهير المحتشدة تهلل وتكبر .

وقد وصلت في هذه الليلة عدة وفود من جهات مختلفة للاشتراك في الجنازة التي كانت قد انتهت حين

وصولهم ومنهم السادة جمال افندي الحسيني ، عزت دروزة ، الشيخ صبري عابدين ، الشيخ حسن ابو السعود هذا عدا عن وفود البلاد الكثيرة التي جاءت صباحا للاشتراك في جنازة الشهداء .

وقد اتصل بي الان ان الجريح العربي الذي ضربه الجنود الانجليز بهراوة على رأسه ضربة قاسية نقل على اثرها الى المستشفى قد فاضت روحه في الساعة السادسة من مساء اليوم رحمه الله .

ضـــوء الموكـــب :

وقد انفردت بالتقاط بعض صور للجنازة والجماهير المحتشدة ، وكنت عازما على التقاط الصور في بلدة الشيخ لولا ان المصور الذي اتفقت معه على التقاطها قد خشي قمع المظاهرة التي وقعت قرب تمثال الملك فيصل وهرب راجعا الى محل عمله .

والراي العام العربي هنا وفي البلدان والقرى المجاورة مضطرب متألم . وقد ظلت حيفا مضربة اضرابا تاما في المساء .

المصدر : الجامعة الاسلامية ٢٦ شعبان ١٣٥٤ ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، ص ٤ .

ملحق رقم «١٤»
ذكرى مجاهدين عربيين كبيرين
الزعيم ابراهيم هنانو، والشهيد عز الدين القسام

احتفلت فلسطين امس احتفالا كبيرا في عاصمتها وفي كبريات مدنها بأحياء ذكرى الاربعين للزعيم العربي والمجاهد الخطير المرحوم ابراهيم بك هنانو زعيم سوريا الشمالية الذي جاهد في سبيل استقلالها اشرف جهاد وناضل اشد نضال، وقاتل جيش الاحتلال الفرنسي امدا طويلا بعد ان قضى الفرنسيون على استقلال سوريا وازالوا الحكم العربي الفيصلي منها، والذي ظل بعد ان انتهت ثورته العسكرية، رافعا راية الجهاد السياسي متقدما بني قومه جميعا في المطالبة بحقوق البلاد الى ان توفاه الله اليه فبكته سوريا الشمالية كما بكته سوريا الجنوبية وكما بكته الامة العربية في جميع اقطارها وامصارها، وقامت تحيي ذكراه المجيدة بمثل هذه الحفلات الرائعة التي شهدتها فلسطين امس.

و يوم الاحد المقبل الواقع في ٥ كانون الثاني الجاري تحتفل فلسطين كلها مجتمعة في مدينة حيفا بأحياء ذكرى الاربعين، للشهيد العربي الكبير صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ عز الدين القسام رئيس جميعة الشبان المسلمين بحيفا ورجل التقوى والورع والصلاح الذي خرج مجاهدا في سبيل دينه ووطنه على رأس عصبة من تلاميذه ومريديه مستنكرا للظلم صارخا في وجه العدوان الاثيم، الى ان سقط شهيدا في ساحة الشرف والمجد ولقي الله بقلب سليم هو ومن استشهد معه من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

فهاتان الذكريان التي احتفلت فلسطين امس باحياء اولاهما، وستحتفل بعد ايام قلائل بأحياء اخراهما لمن اصدق الادلة على وحدة الشعور في البلاد السورية شماليها وجنوبيها وانوف المستعمرين في الرغام، في اولاهما يحتفل ابناء فلسطين باحياء ذكرى زعيم سوريا الشمالية، وفي اخراهما يحتفل ابناء فلسطين باحياء ذكرى مجاهد من سوريا الشمالية سقط شهيدا في سبيل استقلال سوريا الجنوبية، وليس ذلك فحسب بل قاد حملة جهاد لعلها الاولى من نوعها في تاريخ الاسلام الحديث في فلسطين وسوريا والشرق العربي بأسره.

ان وفاة الزعيم هنانو تركت فراغا لا يسهل سده في ميدان النضال الوطني في سوريا وأشعرت العرب عامة ولا سيما السوريين بالحاجة الماسة الى هذا الطراز من رجال السيف والقلم بين العاملين على استقلال سوريا. كما أن حادثة الشهيد القسام ورفاقه رضي الله عنهم دلت على روح جديد جرى في الامة مجرى الدم في العروق وعلى ان البلاد لا تعدم عند الحاجة من ابنائها من يتجردون في سبيل الجهاد عن كل غال ورخيص وكل لذاذة من لذاذات الحياة و يبيعون انفسهم في سبيل ايمانهم وعقيدتهم، وانما ليست من الجمود وتحجر الشعور وموت الحس في الدرجة التي يتوهمها الخصوم او ضعفاء الايمان من ابنائها.

الا ان الامة بخير وانها لعلى هدى ونور وصراط مستقيم، والله نسأل ان يصونها من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وعبث العابثين. ورحمة الله على المجاهدين الكبيرين اللذين سقطا في ميدان الشرف وعلى من معهما من الشهداء والصالحين وسلام عليهم جميعا في جنات النعيم.

المصدر: الجامعة العربية، العدد ١٧٢٤، ٣ كانون الثاني ١٩٣٦م، ٨ شوال ١٣٥٤هـ.

القسم الثاني « أ » المراثي الشعرية

١ ـ قصيدة قتلوك لليعقوبي
٢ ـ قصيدة شهيد فلسطين للصارخ
٣ ـ قصيدة الى روح شهيد الوطن الخالد لواصف عبد الرحمن
٤ ـ قصيدة سموك زورا بالشقي للشيخ نديم الملاح
٥ ـ قصيدة يا رحمتنا للشاعر ابن خلدون
٦ ـ مرثية الشاعر فؤاد الخطيب
٧ ـ قصيدة الشهيد عز الدين القسام للشاعر صادق عرنوس
٨ ـ قصيدة ـ يا خسارة يا عز الدين ـ للشاعر الشعبي نوح ابراهيم
٩ ـ قصيدة ـ الشهيـــــد ـ للشاعر ابراهيم طوقان

القسم الثاني « أ »

ملحق رقم « ١٥ »
قتلـــــوك !!

قصيدة لحسان فلسطين اليعقوبي
ـ في شهيد العرب الشيخ عز الدين القسام

جاهدت للحسنى ، وحسبك سيرة ... ذكراك دون سواك بالاحسان
لم يخدم الاوطان غيرك عن وفا ... فيه ، وأين همو بنو الاوطان
العاملون لها بكل قواهم ... الثائرون بها على العدوان
ممن تفانوا في هوى استقلالها ... في غير ما كذب ولا بهتان
ولأنت عز الدين غير مدافع ... ولأنت وحدك صادق الايمان

* * * * * * *

قتلوك ، لا كانوا ولا كان الألى ... ولوا عليك ، وما لهم من شان
لك في الحسين(١) ومن اليه اسوة ... فيما جناه عليك ذاك الجاني
ان كان اول من اصابوا مقتلا ... منه الحسين ، فانت عندي الثاني

١ ـ ابن علي كرم الله وجهه .
المصدر الجامعة الاسلامية العدد ٩٦٦ ٢٩ شعبان ١٣٥٤ ١٩٣٥/١١/٢٥

ملحق رقم « ١٦ »
قصيدة شهيد فلسطين

أشعل النار يا شهيد فلسطين   فان الجسوم رهن الوقود
وارفع الصوت من وراء سطور   الغيب واخطب من بعد طول الهجود
انبت العز والاباء فما في   الحي الا مقيد بالحديد
هذه الارض من دمائك   حمراء تنادي احفظوا دماء الشهيد
وطريق الحياة يفتحها السيف   وليست مفروشة بالورود
طر الى الله شاكيا قوم سوء   لا يراعون غير نقض العهود
وادخل الجنة التي وعد الله بها   المتقين عند الجدود
ثم قل ما بنا ولا تخف شيئا   من شقاء الاسرى وذل العبيد
انكرتنا الشعوب حين نسينا   كيف نختال في ظلال البنود

« الصارخ »

المصدر : جريدة الجامعة الاسلامية ـ يافا
العدد ٩٩٨ الاربعاء ١ رمضان ١٣٥٤هـ ، ٢٧/١١/١٩٣٥م

ملحق رقم « ١٧ »
قصيدة الى روح شهيد الوطن الخالد
«المغفور له صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين القسام»

نفس حر عافت كؤوس الهوان وابت ان تفر يوم الرهان
زهدت في الحياة وهي هوان ومشت للخلود ، للرحمن
تحمل المصحف الشريف منارا لينير السبل للركبان
هللت للردى وسارت الى الهول تهادي تهادي الفرسان
سعدت عصبة هداها كتاب ومشت تحت راية القرآن
الف مرحى لها تسير الى الموت لانقاذ هذه الاوطان

* * * * * * *

يا شهيد البلاد يا شارة المجد لقد حزت جنة الرضوان
انت رمز الجهاد وانت فتى النهضة انت القادح النيران
لم تمت لا وربك المتعالي انت باق حي على الازمان
ستظل المنار يهدي الى الرشد و يوري عزائم الشبان

واصف عبد الرحمن ـ نابلس

المصدر : جريدة الجامعة الاسلامية ـ يافا ، العدد ٩٩٨
الاربعاء : ١ رمضان ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٥/١١/٢٧م

ملحق رقم « ١٨ »
قصيدة سموك زوراً بالشقي ...!

بقلم الاستاذ الشيخ نديم الملاح

ما كان نودك عن بلادك عاراً — بل كان مجداً باذخاً وفخارا
سموك زوراً بالشقي ولم تكن — الا بهم اشقى البرية دارا
قتلوا الفضيلة والاباء بقتلهم — لك واستذلوا قومك الاحرار
انكرت باطلهم وبغي نفوسهم — فاسترسلوا في كيدك استكبارا
كثروا عليك بمازق لو انه — ريع الخميس به لطار فرارا
فثبت بين رصاصهم مستبسلا — يترون منك وتدرك الاوتارا
ورايت كاس الموت اطيب مورداً — من عيشة ملئت اذى وصغارا

* * * * * * *

يا شيخ عز الدين ! رزؤك انه — انكى شعور نفوسنا واثارا
علمتنا كيف الذياد عن الحمى — ان راعه باغ عليه وجارا

* * * * * * *

خلصت الى الديان روحك حرة — فحباك منه في الجنان جوارا
حملت فيهم مثل اجر مجاهد — وتحملوا في ظلمك الاوزارا

نديم الملاح : عمان

المصدر : الجامعة الاسلامية ـ يافا
٦ رمضان ١٣٥٤هـ ، ٢ كانون الاول ١٩٣٥ . ص ٢

ملحق رقم «١٩»
قصيدة ـ يا رحمتنا ـ

للاديب الكبير الاستاذ «ابن خلدون»

ما بين ارضك او سمائك	آي تتيه بكبريائك
قد حاولوا غمز الاباء	وما نروا مغزى آبائك
باهوا بما وسعوه من	عدد فخاضوا في دمائك
لم يقدروك كانهم	ضلوا بيانك في بلائك
لو انصفوك لعظموك	واوسعوا لك في بنائك
قد ثرت تعلم ان ما	تبغيه صعب جد شائك
آثرت لقيا الله لما	ضقت نزعا في فضائك
وتركت بعدك امة	قد لا تباعد في لقائك
ايقظت روح التضحيا	ت وما خلاك خفي لوائك
يا رحمتا للوطن المغلو	ب ينكب بانزوائك

* * * * * * *

وسدت اقدس بقعة	وسواك ... دعني من سواك
جاورت ربك حين هم	قد جاوروا هون الارائك
كم تقت ان اسعى اشيع	عرش مجدك واعتلائك
بين المهابة والجلالة	سار ركبك والملائك
ولقد صمت فكان صمتك	فيه معنى من وفائك
ما اخترت الا ما يشر	ف في ختامك وابتدائك

المصدر : جريدة الدفاع ـ ٢ كانون الاول ١٩٣٥

ملحق رقم « ٢٠ »
مرثية الشاعر فؤاد الخطيب

اولت عمامتك العمائم كلها ... شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة ... غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت احسب قبل شخصك انه ... في برديته يضمها انسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة ... في الخلد لا عنت ولا احزان
شهداء بدر والبقيع تهللت ... فرحا وهش مرحبا رضوان

المصدر : كتاب جهاد شعب فلسطين لمسعود صالح ابو يصير ، ص ١٧٧ .

ملحق رقم « ٢١ »
الشهيد عز الدين القسام

للشاعر الاسلامي المبدع الاستاذ صادق عرنوس

من شاء فليأخذ عن القسام ... انموذج الجندي في الاسلام
وليتخذه اذا اراد تخلصا ... من نلة الموروث خير امام
ترك الكلام ووصفه لهواته ... وبضاعة الضعفاء محض كلام
او ما ترى زعماءنا قد اتخموا ... الاذان قولا وأيما اتخام
كنا نظن حقيقة ما صبروا ... فاذا به وهما من الاوهام
ضاع المراق من المداد لرسمه ... عبثا وما أفنوا من الاقلام
ملأوا الفجاج شقاشقا جوفاء لم ... تنجح سوى في فرقة وخصام
تركوا العدو يعيث في اوطانهم ... وتشاغلوا بتراشق وترامي
يا ليت عز الدين يبعث بينهم ... ويكون فيهم درسه الزامي !
حتى يبين لهم سبيل قيادة ... خرجوا بها عن واجب الاحكام
ويداوي الجرح الذي اضناهم ... جُرح الخمول بمرهم الاقدام
هذا الفدائي الجواد بنفسه ... من غير ما نزع ولا احجام
ما كنت اعرفه ولا اسمع به ... حتى تضوع طيبه من الشام
وكذلك النفس الكبيرة ان نوت ... عملا اسرته لحين تمام
لم يلهه عرض الحياة واحلا ... كلا ولم يشغف نبيل وسام
ما زال يعمل ساترا مجهوده ... كالبدر مستترا وراء غمام
حتى بدا من عصبته بدرية ... فتكشفت عن مؤثرين كرام
ما بال طاغوت البلاد اصابه ... لظهورهم ضرب من البرسام
او لم تصفهم للملا ابواق ... بعصابة ليست بذات مقام
فلمن تقاطرت الجيوش كانها ... ظفرت بجيش للعدو لهام ؟
ان يقطن عز الدين او اصحابه ... فالسر ليس بتكلم الاجسام
هيهات تنزع او تهي آثارها ... مهما استعان بمدفع وحسام
قل للشهيد وصحبه اديتم ... حق الرسالة فانهبوا بسلام

المصدر : الجامعة الاسلامية ١٥ كانون اول ١٩٣٥م ، عدد ١٠١٢

ملحق رقم « ٢٢ »

قصيدة للشاعر الشعبي «نوح ابراهيم» رفيق الشيخ الشهيد

يا خسارة يا عز الدين

عز الدين يا خسارتك — رحت فدا لامتك
مين بينكر شهامتك — يا شهيد فلسطين
عز الدين يا مرحوم — موتك درس للعموم
آه لو كنت تدوم — يا رئيس المجاهدين
ضحيت بروحك ومالك — لاجل استقلال بلادك
العدو لما جالك — والعدا منك هابت
فلسطين منين قال شافت — مثل غيرة عز الدين
اسست عصبة للجهاد — حتى تحرر البلاد
غايتها نصر او استشهاد — وجمعت رجال غيورين
جمعت رجال من الملاح — من مالك شريت سلاح
وقلت هيا للكفاح — لنصر الوطن والدين
جمعت نخبة رجال — وكنت معقد الامال
لكن الغدر يا خال — لعب دوره بالتمكين
لعبت الخيانة لعبة — وقامت وقعت النكبة
« وسال الدم للركبة » — وما كنت تسلم وتلين
كنت تصيح «الله اكبر» — كالاسد الغضنفر
لكن حكم المقدر — مشيئة رب العالمين
محلا الموت والجهاد — ولا عيشة الاستعباد
جاوبوا رجال الامجاد — نموت وتحيا فلسطين
الجسم مات والمبدأ حي — والدما ما تصير مي
معاهد الله يا خي — نموت موتة عز الدين
اقراوا الفاتحة يا اخوان — علروح شهداء الاوطان
وسجل عندك يا زمان — كل واحد منا عز الدين

المصدر: مجموعة قصائد فلسطين المجاهدة لنوح ابراهيم

ملحق رقم « ٢٣ »

الشهيـــــد

للشاعر ابراهيم طوقان

عبس الخطب فابتسم — وطغى الهول فاقتحم
رابط الجاش والنهى — ثابت القلب والقدم
لم يبالي الاذى ولم — يثنه طارىء الالم
نفسه طوع همة — وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها — بالاعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم — الى الراسخ الاشم
وهي من عنصرة الفداء — ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة لفحها — حرر الامم

* * * * * * *

سار في منهج العلى — يطرق الخلد منزلا
لا يبالي مكبلا — ناله ام مجندلا
فهو رهن بما عزم

* * * * * * *

ربما غاله الردى — وهو في السجن مرتهن
لم يشيع بدمعة — من حبيب ولا سكن
ربما ادرج التراب — سليبا من الكفن
لست تدري بطاحها — غيبته ام القنن
لا شك اين جسمه — واسمه في فم الزمن
انه كوب من الهدى — لاح في غيهب المحن
اضرم النار في القلوب — فما تالف الوهن
ورمى النور في العيون — فما تعرف الوسن

* * * * * * *

اي وجه تهللا — يرد الموت مقبلا
صعد الروح مرسلا — لحنه ينشد الملا
انا لله والوطن

المصدر : جريدة فلسطين ـ يافا ، ١٩٣٥/١١/٢٤م ، ص ٧

القسم الثاني « ب » المراثي النثرية

القسم الثاني « ب » المراثي النثرية

ملحق رقم « ٢٤ »

برزة اتقياء ، لا فجرة اشقياء .
لا تظلموا الموتى بعد ان ظلمتم الاحياء .

قد يكون للانسان عدو فيركب في عداوته كل شيء حتى رأسه ونفسه ، ولا ينقمع عنه الا بمهجته ، حتى اذا ظفر بتلك المهجة هنالك تبرد حفيظته ، و ينفثىء غيظه و يشفى صدره ، وتحسم بذلك اسباب العداوة ، ولم نسمع ان عدوا بعد ان استطاع الظفر بعدوه اسف الى تدنيس كرامته او رميه في قدس عقيدته ومبدأه . فالعدو عدو حتى اذا مات دخل في كنف الله وفي حرمة الشهادة واصبح جسمه وروحه وسيرته امانة مقدسة في عنق الحي ، حتى لو كان عدوه ، هذا هو النبل ، وهكذا يفعل النبلاء ، يحاربون اعدائهم حتى اذا سقطوا عفوا عن تدنيسهم وكرمت وجوههم ونفوسهم عن ايذائهم فهم قد ماتوا والميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، وماذا تنتظر من كريم قاتل حتى مات وجاهد حتى صرع . حتى اذا اصبح جثة هامدة بين يدي عدوه راح يصول و يجول و يرمي خصمه ونده بالبهتان والزور ، الا انه اللؤم عينه ، والنذالة نفسها .

قام الاستاذ المغفور له الشهيد التقي النقي الشيخ عز الدين القسام رضي الله عنه فنفر هو وصحبه غاضبا لربه ولدينه ولوطنه حاملا في نفسه عقيدة الايمان واضعا نصب عينيه تحرير الاوطان . قام لا سالبا ولا ناهبا ولا معتديا ولا آثما ولا لصا ولا خاربا ، بل ترك عائلته وذوي قرابته وما كان فيه من نعمة ولذاذة ، بل ترك محرابه الذي كان يؤم الناس فيه ، وترك جمعيته التي كان يرأسها ، خرج عن كل ذلك لله وللرسول ولوطنه ، طيبة بذلك نفسه ، وتبعته عصابة مؤمنة رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه .

افليس عجيبا ان تنعت الحكومة هؤلاء البررة الاتقياء فتخلع عليهم صفة الاشقياء ، ولكن الامة التي احرقت «جان دارك» والتي فعلت في الهند الاعاجيب وفي مصر والعراق وفلسطين ما لا يحصى من المناكر والافاعيل لا تتورع عن تدنيس الابطال الشهداء ظانة انها بذلك تسيء اليهم في مماتهم ، وهي انما تمكن لهم بذلك تمكينا ، وتقيمهم في مصاف الابطال الخالدين ، وتنصب منهم امثالا عليا للسالكين ، اجل ان البطل الشيخ عز الدين وصحبه خرجوا في سبيل الله مخرج الابطال وتقدموا أمتهم بالاعمال وان لكل مجتهد حظه فالمخطىء مأجور والمصيب الموفق مأجور ، وان كانت سبل العمل مختلفة ، فمن الناس من يرى نصرة امته باللسان الثرثار واليراع الخوار ومنهم من لا يرى النصر الا بالسيف البتار والحديد والنار .

«ولكل وجهة هو موليها» واذا عدت الحكومة شهداءنا واتقياءنا لخروجهم اشقياء فالامة كلها شقية ، اننا نعلن من على منبر جريدتنا هذه اننا وان خالفنا البطل الشهيد رضي الله عنه في الوسائل فنحن شركاؤه في المبدأ والغاية . فلتعدنا السياسة اشقياء ! ولتحكم فينا باسها فان لله غيرة وللحق غضبة وللدهر وللايام كبوة ، وقد لاحت التباشير ولم يبق الا اليسير .

قلنا اننا وان اختلفنا مع هؤلاء الشهداء في عدم الحاجة بعد الى وسائل العنف الا اننا نتفق واياهم كما قلنا في ان الظلم يجب دفعه والحق ينبغي رده . وانما رأينا هذا الرأي في ضرورة عدم الالتجاء الى العنف ذلك بأننا لم نيأس بعد ان ينصفنا الشعب الانجليزي بعد ان ظلمتنا حكومته ، ولئن جنى علينا الانجليز فردا او افراد ، ووزارة او وزارات فالشعب الانجليزي بمعزل عن هذا ولا نحسبه الا جاهلا لكل ما حاق بنا و بأمثالنا من الشعوب التي تظلم بأسمه .

نحن لم نيأس بعد . ومتى يئسنا «ونرجو ان لا يكون ذلك» فالو يل للظالم اذا شاع اليأس من العدل في الغرب والشرق ، الو يل ثم الو يل . هنالك اذا لم يجد المرء ما يحارب به الا اعضاءه بترها ورمى بها اعداءه وقال «بي و باعدائي يا رب» و يمينا بالله اننا نسير في هذا السبيل سوقا لا شوقا ، وكرها لا طوعا . نحن لا نضمر للانجليز المقيمين في بلادهم الا الخير ، ولكننا معذورون اذا ثرنا على جيشات الظلم وغضبنا لسطوات الباطل . وكم مرة قلنا لهؤلاء الناس نحن خير لكم واوفى عهدا ، وامضى حدا من اولئك الذين لولا حمايتكم لما كانوا ، ولا قروا .

و بعد ، فاذا يئس العرب من النصفة اصبح في كل نفس وفي كل بيت عز الدين القسام . رحمك الله يا بطلنا وفرطنا . وزعيم القافلة الاولى منا .

وعسى الامة العربية في فلسطين تخلد ذكرى هذا البطل ورفاقه الميامين ولو بالاستكثار من التسمي بأسمائهم والتوفر على درس سيرتهم وحبذا لو لبست البلاد حدادها على هؤلاء الشهداء . اننا نعلم ان لها لون غير السواد ، ولها خضباب غير الحداد ، ولكنها الذكرى ، ان الذكرى تنفع المؤمنين «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ر بهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» . وقد قلنا كنا نود لو اشتركنا في تشييع تلك الاجسام الطاهرة الى مراقد الكرامة ، ودار النعيم والمقامة ، وذلك ادنى الواجب ولكن الوقت ضاق وانا لله وانا اليه راجعون .

الفـــــاروقي

«سليمان التاجي الفاروقي / رئيس تحرير جريدة الجامعة الاسلامية»

المصدر : الجامعة الاسلامية ـ يافا ، العدد ٩٩٤ الجمعة ٢٦ شعبان ١٣٥٤هـ ـ الموافق ١٩٣٥/١١/٢٢م .

ملحق رقم « ٢٥ »
هذه عصابة الحق فمجدوها

بقلم الشيخ حسين حسونة ـ اللد

يا عز الدين : ايها الشهيد المجاهد ! يا من قضى في سبيل اخلاصه لدينه و وطنه .

يا عز الدين ، يا رمز البطولة ومثال الرجولة ، لقد القيت درسا بليغا على امتك المخلص منها والخائن والزعيم منها والصعلوك ، وشققت لهم طريق الهدى وارشدتهم الى سبيل الخلاص ان كانوا يشعرون .

يا عز الدين ! ما هذا الايمان العجيب بالحرية ! بلغت من العمر سبعين سنة وانحنى ظهرك ودق عظمك ولكن ما ضعف ايمانك ولا وهنت عزيمتك فقمت تحارب الجيوش والاساطيل في البر والبحر والفضاء ، في سبيل الله والوطن .

للــــــه انـــــت

لله انت ما اطهر قلبك وما اشرف نفسك وما اشد خوفك من الله !! تحرجت عن قتل العرب الذين كانوا في ذلك الجيش يسلطون عليكم بنادقهم و يقذفونكم بوابل من رصاصهم ، وماذا كان عليك عند الله لو فعلت ؟

يا عز الدين انت لم تكن كغيرك ممن استشهدوا في سبيل الوطن في محنة هذا الانتداب المشؤوم فان لاستشهادك ميزة خاصة ، ومنزلة عليا ، عزيز على غيرك ان ينالها ، ذلك انه لم يدفعك للموت قوة الجماهير وتحميس المتحمسين .

يا عز الدين لم تكن قوالا تنثر الكلام في كل مجتمع وتلقي الخطب في كل ناد ! عرفناك هادئا تقيا عالما عاملا ونعرفك اليوم محاربا مجاهدا اعلنت الجهاد وضربت المثل بنفسك ومالك وطلقت شهوات الدنيا فلا تشوب اخلاصك شائبة ، فانت المثل الاعلى لا يداني منزلتك في الشهادة دان .

عز الدين ايها البطل الشهيد ، بل ايها الشهيد الممتاز . لقد عز عليك وشق على نفسك الحرة ان ترى امتك تموت بنفسها وقلوبها وحريتها ومادياتها وكل مقومات حياتها . عز عليك ان تستبدل امتك بحريتها عبودية و بعزتها ذلا ، و بأبائها متخذا لهذا الاجنبي الدخيل .

عز عليك ان تهلك هذه الامة من صيحات الجبناء وندب النادبين وخطباء الكلام ، عز عليك فقمت بموعظتك البليغة ، وهدايتك الجديدة . نسأل الله ان ينتفع قومك بموعظتك و يهتدوا بهديك .

ايها الشهداء الغر الميامين عز الدين وصحب عز الدين :

انتم عصبة الحق لم ترضوا بالظلم ولم تصبروا على الضيم فأثرتم موت الكرامة ونلتم الشهادة فكنتم مع الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

اجل انتم عصبة الحق «ما انتم عصبة اشقياء» صدق الله وكذب اعداءه فلتتكلم القوة بما تشاء فان الله ليس بغافل والحق لا يموت .

صدق عز الدين واجاب نداءه صحبه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . الا فمجدوهم واقيموا الصلاة على ارواحهم وادعوا الله ان يلحقنا بهم رافعي الرأس موفوري الكرامة انه سميع مجيب .

المصدر : الجامعة الاسلامية ، العدد ٩٩٥ ، ٢٨ شعبان ١٣٥٤ ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، ص ٢ .

ملحق رقم « ٢٦ »
الشيخ عز الدين القسام وصحبه
ماتوا شهداء في سبيل الله والوطن

بقلم : الشيخ اسعد الشقيري - عكا

ان الاستاذ الشهيد المخلص لدينه ووطنه الشيخ عز الدين القسام وصحبه الكرام لم يقوموا بطلب وظيفة ومنصب وحب ظهور بل اخلصوا دينهم لله حنفاء غير مشركين به وهم شهداء بحق لانهم لم يقطعوا طريقا ولم يصدر منهم سلب ونهب او فساد في الارض بل دافعوا عن انفسهم مجاهدين فقتلوا في هذا السبيل ونالوا الحياة الابدية السرمدية بنص الاية الكريمة «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين» ومن المحقق انهم لم يقتلوا بجريمة اقترفوها ومن قال من «فلاسفة» عصرنا ان هؤلاء الشهداء القوا بأيديهم الى التهلكة فقد ضل ضلالا بعيدا لانهم قتلوا في معركة حرب دامية فلا محل لانتقادهم واسناد الغباوة والجهل اليهم وقد يسر الله للاستاذ عز الدين المطابقة بين اسمه ومسماه فأعز به الدين لانه ذكر اهل الايمان بما كان عليه الصحابة والتابعون من الثقة بالله والجهاد لاعلاء كلمة الله والاقبال على الشهادة ، ولم يكن هو وصحبه من الذين قال الله في حقهم «ولتجدنهم احرص الناس على حياة» .

على ان شهدائنا الابرار قد تمنوا الشهادة ورغبوا فيها واقبلوا عليها من تلقاء انفسهم ولو لم يقتلوا لنالوا منازل الشهداء ، فقد جاء في صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم يصبها» «اي اعطي ثوابها ولو لم يقتل» واخرج الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم «من سأل القتل في سبيل الله صادقا ثم مات اعطاه اجر شهيد» وروي عن سهل بن حنيف مرفوعا «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه» .

واعتقد ان اخواننا الشبان سيقيمون لشهدائنا حفلة رثاء وتأبين ينشرون فيها للناس فضائلهم واعمالهم وجهادهم الممتاز كما يذكرون الظلمة والجبارين بما فيه من الظلم والعدوان ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار .

المصدر : «جريدة فلسطين ، يافا : ١٩٣٥/١١/٢٤م» ، ص٣ .

ملحق رقم « ٢٧ »
الشهيد الجليل والعالم الكبير فضيلة الشيخ عز الدين القسام

بقلم محمد بدر الدين الخطيب ــ دمشق

النبـــا الصـــادع

نبأ صادع هز النفوس لا هزة الصواعق المجلجة الداو ية ، وخطف بها لا خطفة البروق والشهب والجبال تصطخب وتضطرب والبحار تمور والامواج تزبد وتشب .

لا هذا ولا ذاك بل هو نبأ صادع وأمر واقع ، هز النفوس هزاً وثار بالارواح حتى اشرفت على الغيب وهي تتوهج بالغضب وتجأر يارب يارب يارب .

عالـــم جليـــل

عالم عربي جليل وعى الشريعة واللغة العربية وكان اماما يهتدي الناس بهديه و يستريح الفقراء والبؤساء الى ارشاداته ونفحاته الى روحه الكبيرة التي كانت تلهمهم الطمأنينة والسعادة في زمن فاتت الطمأنينة وفاتت السعادة فيه كل طبقات الناس .

عالم جليل هو صاحب الفضيلة الشهيد الاجل الاكرم الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا وامام مسجد الاستقلال وخطيبه .

فـــي الجمعيـــة

كان فضيلته اثناء رئاسته لجمعية الشبان المسلمين يسهر الليل في القاء المحاضرات وترتيبها وكان يسرح كل اسبوع بفئة من الاعضاء الى القرى فيزجر و ينصح و يرشد و يعود . وقد انشأ عدة فروع للجمعية في اكثر قرى اللواء الشمالي في فلسطين وكانت هذه الفروع جماعا للقرو يين ومكانا مختارا لوحدة كلمتهم ومداولة آرائهم وتقرير دفاعهم عن انفسهم واراضيهم .

فـــي المسجـــد

وكان فضيلته يجهر في المسجد على الحلقات التي كانت تنتشر حوله بكلمة الحق يصدم بها الباطل في انفسهم واهل الباطل والسمسرة والدناءة في صفوفهم

الادنيـــاء الطغـــاة

وكـان الادنـيـاء والـطغاة والسفلة من السماسرة والخونة يشعرون بأن فضيلته يصدمهم و يشد ازر الفقراء والبـؤساء عليهم ، وكانوا يصرون بأسنانهم حقدا كلما خرج الى القرى وعرقل مشروعا من مشاريع سمسرتهم ولذلك انبعثوا يوسوسون حوله بشتى الاقاو يل والتهم ، وكانوا يدخلون دار الحكومة فيدسون و يخرجون منها الى الشعب يزعمون الغيرة و يسوقون بواسطتها التهمة الى فضيلة الاستاذ الشيخ عز الدين .

ومـن هـؤلاء الادنـيـاء مـن يـتقبل التعازي عن الشهيد اليوم بوجه ضعيف لا يندي اللهم الا ببعض الدموع الفاجرة وانفاس النجسة العاهرة .

في رضـوان اللـــه

ذلـكـم هـو الـشـهـيد الـجليل والعالم الكبير النبيل الذي ضاق ذرعا بأفاعيل السلطة في فلسطين فخرج الى الجبال واعلن الثورة وانتقل الى رضوان الله .

ذلكم هو صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين واوليائه من الشهداء .

اشقيـــاء ولصـوص

امـا انـهـم اشـقـيـاء وامـا انـهم لصوص فهذا ما ضجت الملائكة واضطرب الجن وزلزلت الاخلاق وارتكست الانسانية على ذكره وعلى السياسة التي قالته واختلقته ، والله يعلم من هم اللصوص ومن هم الاشقياء الذين يمسخون عقولهم وار واحهم و يريدون ليمسخوا الناس والبلاد .

وكان الله لهذه الانسانية ما افدح مصابها بهم و باخلاقهم ولا حول ولا قوة الا بالله .

المصدر : الجامعة العربية : الجمعة ٣ رمضان ١٣٥٤هـ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٥م ، العدد ١٧١٥

ملحق رقم « ٢٨ »

شهداء : حتى الموت لا يخضعون لجلاله ولا يرعون حرمة الشهداء الابرار

لكاتب عربي كبير معروف عند الجمهور

انعقد اجماع الناس وخاصة ، على ان حركة عصبة العالم الديني الاستاذ القسام هي «موديل جديد» في طرازها ، وانها بقطع النظر عن الاعتبارات القانونية الوضعية حركة نظيفة من ناحية انبعاثها عن ايمان مستقر في رجالها بأنهم يعلمون لوجه الدين والوطن .

واذا اردت رأي الشعب في حركتهم الموصوفة بأنها نظيفة ، فخذ من تشييع نحو ثلاثين الف نسمة لجنازة الفقيد وصاحبيه ، وخذه من نعيه على المآذن في مدينتي القدس ونابلس ومدن اخرى ، وخذه من الاسف العام على الاستاذ القسام الذي ابى ان يلوث سمعة عصبته بقرش حرام و بأي اعتداء سابل وطارق ، لكي يجعل حركته مماثلة لحركات المجاهدين في صدر الاسلام ، عارية عن لوثه الحطام ومتجهة الى غاية معينة قد طواها في صدره وصدور جماعته .

ولتقل القوانين ما شاءت في حقه وفي حق عصبته ، فانها لا تكون قوانين ان وصفته بأنه مجاهد ، او قالت عنه انه متمرد سياسي صادق النزعة ، فالقوانين قوانين دائما يكاد يجمع على ان ذاك المتمرد كان ذا فكرة ، وان فكرته ذات مقابيس وحدود ، وانه كان لا ينزع الى شيء يصيب قومه ، ولا الى مال او كسب من السابلة ، مع ان بعض المتمردين على السياسة في اورو با ذاتها يبررون لانفسهم هذا النوع بقولهم ان الحركات المقصودة بها نفع القوم لا خير ان لم تستمد من اموالهم غذاء . لكن الرجل وعصبته قد سموا بأنفسهم الى ما فوق ذلك فلم يتقاضوا من قومهم مالا ولا غذاء ولا ارهقوهم بمطلب ما . وفوق ذلك تبتلوا في الدين وعباداته فحمل كل واحد منهم نسخة من المصحف الشريف يتلون منه أيات الله ، و يسترشدون فيه بمواعظ الجهاد و يغذون ايمانهم بالحافز المثير تهو ينا للشهادة في سبيل الفكرة التي انطووا عليها وكأنهم كانوا يقصدون اليها كفاية الى الزلفى ووسيلة الى الجنة .

وسواء اقالت عنهم القوانين انهم متمردة او خوارج او اشقياء فالتاريخ سيقول ان أمتهم بأسرها حرصت على ان يكون لها من هذه الاسماء نصيب ، بمظاهر التقدير التي احاطتهم بها ، و بروائع التشييع يوم دفن جثمانهم الى المقر الابدي ، ونعيهم على السياسة ان تسميهم اشقياء ، و باحتقارهم فجور كتاب الصهيونية اذ سمتهم قطاع طريق على خلاف الواقع الذي اثبته مجرى التحقيق .

ولو عقل هؤلاء لجادوا بكلمة «مجرمين» على عصابات تهريب الاشخاص وعلى عصابات تهريب الاسلحة بينما هن لسن بالراميات الا على فكرة اجرامية ، والا الى اثارة فتنة عمم تستباح فيها الارواح .

وتهدد سلام البلد اشنع تهديد ، بل ان من شأن التافه اللئيم على شهداء العرب وما فيه من معنى حسن الشعور واللعب بالنار — انما هو اجرام بذاته لا يتعففون عنه حتى في ادق الظروف وادعاها للفطنة وحسن التقدير .

و يزيد من لؤمهم ان الشهداء هم اليوم في جوار الرحمن وفي قبضة الموت الذي يجب ان تعنو له الوجوه

وتحنى الهامات حرمة له ، فللموت جلال وهيب قد اعتاد للناس احترامهما حتى في حالات الخصام ، اذ ليس بعد الموت كره وعداء .

ولكن أنى للفجور أن يقف عند حد ، او يحترم جلال الموت ووقاره ، ومن اين للصهيونية هذا الادب والصهيونية هي الصهيونية التي نعرفها و يعرفها الناس !

اما شهداء العرب فان الله قد كتب لهم الرضوان احسن منتهى وغاية ، وحسب الشهيد القسام وعصبته انهم خرجوا من الدنيا اتقياء انقياء ، لم تعلق بأردانهم ريبة ، وما كان لهم ان يكونوا كذلك وقد وجهوا انفسهم لله والوطن في اخلاص مقطوع النظير .

و بعد : فان الموت الذي طوى الشيخ القسام وأدرجه اكفانه ، والذي هو المجاز الى حياة الخلود سيشهد بأن هذه الامة الباسلة قد ارخصت الارواح فداء حرية هذا الوطن وان كل فرد فيها قسام اذا غال الردى الشيخ القسام استاذ الشهداء .

وافجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

«عربي»

المصدر : الجامعة العربية ، الثلاثاء ٢٩ شعبان ١٣٥٤هـ ، ٢٦ تشرين الثاني ، ١٩٣٥م العدد ١٧١٤ .

ملحق رقم « ٢٩ »

نص الكلمة التي القاها السيد عبده ابو عزام في الجامع العمري الكبير في عمان بعد صلاة الجمعة في رثاء الشيخ القسام :

ايها الاخوان

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

اما بعد فقد انتقل نهار امس الى الرفيق الاعلى عالم من اجلة علماء المسلمين ومجاهد في سبيل الله ، ذكرتنا تضحيته ومغامرته بشهداء المسلمين في صدور الاسلام ، رضي الله عنهم ، وهو صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا والذي ابت عليه غيرته الدينية ، ان يصبر على الظلم و يخضع للضيم فألف هو ورفاقه الذين اربى الواحد منهم على الستين عصبة دينية استنكروا الظلم اللاحق بالمسلمين بفلسطين وغير فلسطين ، واصطدموا مع قوات البوليس في جوار يعبد وهو اعرف الناس بأن عصبته القليلة لا تغني مع كثرة جنود الاستعمار ولكنه اراد بعمله و باستشهاده وعلى الصورة التي استشهد فيها ان يضرب المثل الاعلى لكل مسلم وعربي وان على المسلم الحقيقي ان يؤدي هذا الغرض ذاته وليس للظفر بالنتائج التي تترتب على القيام بهذا الغرض الديني . واني بهذه المناسبة ادعوكم للقيام بصلاة الغائب عن روحه وروح رفقائه المجاهدين البررة الاطهار ، و يرحمكم الله و يتغمدنا جميعا برحمته ورضوانه والسلام عليكم .

المصدر : الجامعة الاسلامية ـ يافا ١٩٣٥/١١/٢٦م

ملحق رقم «٣٠»
زفـرة محرقــة ودمعــة داميــة
مــن فــؤاد حزين مكلــوم

بقلم المخلص الحزين

يـا و يـح نـفسي كـلـمـا هـجـعـت — عـيـنـي الـم خـيـال اخـوتـيـه
تـبـكـي لـهـم اسـمـاء مـعـولـة — وتـقـول لـيـل وارزتـيـه
تـالـلـه ابـرح في مـقـدمـة — تـهـدي الـجـيـوش على شـكـتـيـه
حـتـى افـجـعـهـم بـاخـوتـهـم — واسـوق نـسـوتـهـم بـنـسـوتـيـه

* اللــــه اكبـــــر !! *

نضو عبادة ، وطلح سهر ، اوفى على الستين فبيضت عمته السنون شيخ واحنى عوده الكبر ، وغضن جبينه عنت المستعمر وعسفه

لا كالشيوخ من برديه اسد
شيخ نزير وهمة ابية طموح !...
لكنه عامر القلب بالايمان
شيخ منعم النفس بالتقوى واليقين .

آلمه ان يرى امته تتقاذفها الايدي الغاشمة وتطوح بها الاهواء الجائرة ، وتأخذها المصائب تترى من جهاتها الاربع وتبيت الدسائس وتحاك لها الحبائك و يراد بها الشر الذي لا شر وراءه ثم لا تحرك ساكنا ولا ترد عاديا ، مرنت على الظلم ، واستمرأت طعم الذل والخضوع .

واحفظه ان يرى شذاذ الافاق وصعاليك الارض وشعب الذلة والمسكنة يقذفنا بهم البحر يتملأون علينا السهل والجبل يخرجون الامن من ارضه يمرحوا فيها على مرأى منا ومسمع ثم ليس الا كلام غش وثرثرة لا تفيد واحزاب متناحرة ومشتتة طرائق بددا .

كان اماما ورئيسا للمسلمين في بلده ، يهديهم سبل الرشاد و يسدد خطاهم الى الصراط و يجأر من فوق المنابر داعيا الى الاتحاد والجهاد ونبذ التشاق والتشاد ثم اصبح بعد «عزا» للدين وخادما لفلسطين يذود عنها لا بلسانه و بيانه فحسب بل بماله واهله و بنيه .... وحياته .

نفر من عصبته من صحبه الاوفياء الابرار المخلصين اخذوا على عواتقهم القيام بأمر عظيم وخطر جسيم و باعوا نفوسهم رخيصة بيع السماح ، ومضوا قديما غير هيابين من الحق ولا وجلين يحدوهم امل و يغمرهم رجاء مستقلبن حتى بالتضحية في سبيل الله ومستخفين بكل وعيد من وعيد الله . فخرجت ارواحهم الى بارئها آمنة مطمئنة رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه .

اي فقيدنــا العزيــز !!!

لقد والله ادمى العيون ومزق القلوب مصابنا فيك يا عماه ... واوشك البركان يتأجج في الصدور ان يفور ، واوشكت النفوس التي تمسكها على مكروهها ان تشمس وتثور .

ولكن : اطاب النفس انك مت موتا تمنته البواقي والخوالي .

المصدر : الجامعة الاسلامية
«١» رمضان ١٣٥٤هـ ، ٢٧ تشرين ثاني ١٩٣٥م ص ٢

ملحق رقم « ٣١ »

ايها الشهيد الخالد

حياك الله

خاض المعارك باسما لم يثنه   وقع الرصاص ولا حراب عدائه

إذهب انك من الكرام البررة . ناداك الوطن فاجبت واستبسلت واستشهدت حاربت بسلاح ايمانك ، قاتلت بمبدأ نبلك وشرفك . ناداك الوطن فاسرعت للذود عن حياضه .

قاتلت واستشهدت باسم الله والوطن . اذهب فقد ذهبت ضحية المبدأ . ضحية الوطن وسيستقبلك الشهداء مفتري الثغور و بقلوب ملؤها الحب والاخلاص .

غادرنا شهيد الوطن غادرنا والابتسامة ملء شفتيه والنور الالهي في عينيه ، لقد ترك في قلو بنا مثال الرجولة الحقة وذكرى البطولة الصادقة .

هناك ايها الشهيد على صخرة الفردوس ، قف وقفتك المعهودة بالامس ، واخطب بجماهيرك الذين تركتهم يتعطشون الى لذيذ خطابك و بلاغة حديثك ، وانظر اليهم بعينين مبللتين بالدموع اسفا لفراقنا ، وحزينا لعدم استطاعتك انقاذنا .

يا لك من نبيل قذفت بك امواج الشرق للموقعة الفاصلة فسلمت بروحك لها فداء لوطنك وقومك ان الله يريدك ان تموت هذه الميتة ، اتعلم لماذا ؟ لانه تعالى قد احبك فأختارك ، ايها الشهيد ! هل عانقت الموت وفي نفسك حب الحياة ؟ ام ودعت الحياة وفيك شوق لان تموت شهيداً ؟؟ هو هذا لقد مت شهيد الواجب والاخلاص وسيكرمك اخوانك و يبكونك دما بدل الدمع .

سيمجدك قومك و يحفرون على صفحات قلو بهم ذكراك . و بهذا يكونون قد اكرموك ورفعوا شانك .

ايها الشهيد ! ثق اننا ماضون في سبيل الحق والعدل ، والله على ما نقول شهيد وليحيا الوطن .

لطفي ريال

المصدر : جريدة الدفاع ٢٨ـ١١ـ١٩٣٥م

ملحق رقم « ٣٢ »
خذوا العبرة من استشهاد القسام

ضرب الاستاذ القسام «اكرم الله نزله» هو وصحبه المؤمنون ابلغ مثل في التضحية الخالصة ، حرك في قلوب الامة عوامل اليقظة واستفز النفوس الخاملة التي تعتمد على الوسائل الرخيصة في نشدان الغايات الغالية ، ولقد توفرت صحافتها الحرة على تمجيد هذا العمل ونبهت المسؤولين من رجال الانجليز للاعتبار به نذيرا للسخط العام ورمز للمستقبل الخطير الذي ينتظرهم في هذه البلاد اذا ظلوا على بغيهم وعدوانهم .

كل ذلك قيل واوفى على الغاية بيد ان الحقيقة البالغة في جهاد القسام وتضحيته هو وصحبه الابرار ما زالت في معزل عن الاعتبار بها والاهتداء بهديها ، ما الذي دفع هذه النفوس للاستماتة في سبيل وطنها وهي تعلم ان العدو الذي تقابله قوي شديد ، ولم تكن تقدر هذه العاقبة العاجلة ، نعم انها كانت تعرف ذلك كله وتقدره التقدير كله ولكن الامر الذي لم يخطر لهؤلاء المؤمنين على بال ان البعض سيرميهم بالتهور ، وإلقائهم بانفسهم الى التهلكة ، ولو كان هذا البعض في منزلتهم من الايمان وصدق العقيدة لأمسكوا عن قولهم ولعلموا ان هذه الدرجة من الايمان اذا بلغها المرء لا تكون الحياة في نظره الا كلمتان هما : «الواجب والتضحية» وانه لا يرى في بذل نفسه من اجل عقيدته لذة لا تقاس بها لذة في هذه الحياة الفانية ، والى هذه اللذة الخالدة يشير الرسول صلى الله عليه وسلم «والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل» ، ولقد أعاد القسام الى اذهاننا الرواية عن ابطال الايمان الذين خلوا من قبلنا واتوا بالمعجزات الباهرات ، واذا اردنا ان نحصي ذلك في تاريخ الاسلام لما وسعنا القول ، فلنجتزء بعضها مما يناسب المقام :

١ ــ قال «انس» رضي الله عنه : غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله : غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لأن اشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء «اي المسلمين» وابرء اليك مما صنع هؤلاء «اي المشركين» ثم تقدم فاستقبله سعد ابن معاذ فقال ياسعد بن معاذ الجنة ورب النصر اني لأجد ريحها دون أحد ، قال سعد فما استطعت يارسول الله ما أصنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح .

٢ ــ لما كان المسلمون يحاصرون القسطنطينية لاول مرة ، اقتحم رجل صفوف الكفار حتى أصبح بينهم وحده ، فصاح الناس «يلقي بيده الى التهلكة» فقام ابو ايوب الانصاري فقال : ايها الناس انكم تقولون هذه الاية وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله تعالى قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو قمنا في اموالنا واصلحنا ما ضاع منها ، فانزل الله تعالى على بنيه ما يرد علينا ما قلنا «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين» وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الجهاد .

لقد علم الاستاذ القسام ان المسلم بغير جهاد وتضحية لا يعتبر مسلم صحيح الايمان ، وان الايمان مراتب بقدر درجات الايمان ، ولكنه اذا بلغ المرتبة العليا في ايمانه لم يرض الا ان يكون في الدرجة العليا من الجهاد ، وان يبذل ماله ونفسه مرضاة لربه الذي يقول : انما المؤمنين الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اؤلئك هم الصادقون .

وكأني بالشيخ يريد ان يعلم الامة كيف تكون التضحية حينما يكون الايمان صادقا و يريد ان يجعل من ذلك قدوة مأثورة لكل من تحدث نفسه بخدمة وطنه ، فليس للعامل في هذا السبيل الا أن يتعهد نواة الايمان في صدرة ، حتى اذا استوى الغرس واستغلظ على سوقه ، اتى بأزكى الجني وأطيب الثمار ، وأنظر ان شئت في تاريخ البطولة واستقرىء اسفارها الخالدة ، هل ترى الا الايمان متمثلا فيها ، وهل ترى البطولة الا متمثلة فيه .

حلمي الادريسي

المصدر : الجامعة الاسلامية ٢٨/١١/١٩٣٥م

ملحق رقم « ٣٣ »
الشيخ عز الدين القسام
المجاهد والشهيد الفلسطيني الخالد

لعل القراء لا يزالون يذكرون اولئك النفر الذين ارداهم رصاص الانجليز في جبال جنين و يذكرون هذه المعركة الاخيرة التي سقطوا فيها و بينهم ذلك الرجل عز الدين القسام الذي جاءه رسول القوة يطلب اليه ورفاقه الاستسلام فأجابه — وهو يعلم حرج الموقف ، و يعلم انه في منخفض من الارض جعلهم عرضة لرصاص الجنود وللموت المحتم : «هذا جهاد في سبيل الله والوطن ومن كان هذا جهاده لا يستسلم لغير الله» ثم التفت الى رفاقه وقال : «موتوا شهداء» ، فماتوا ومات معهم الا من شذ به الاجل منهم عن موطن الشهادة هناك فمضى ليتلقاها غدا في غيابة السجن أو على اعواد المشانق ، والذي ابى ورفاقه ان يلقوا الله وعليهم دم لعربي — مهما يكن شانه ، فلم يوجهوا رمية الى غير عدوهم .

دعني أسألك أيها القارىء العربي :

«ماذا أفدت من مقتل هؤلاء الضحايا»؟؟

وليسمح لي أرباب القلم من العرب وخاصة في سوريا أن أسألهم : ماذا فعلتم وماذا أعددتم لابلاغ رسالة هؤلاء الشهداء التي زهقت في سبيلها أرواحهم البريئة .

لقد قال عنهم البلاغ الانجليزي في فلسطين : انهم من اللصوص السلاب فقامت فلسطين الشهيدة بواجبها من استنكار هذه التهمة بتلك الغضبة البائسة التي قذفت حمها حيفا ... فأين غضبتكم انتم واين استنكاركم ؟! بل ماذا فعلتم لتعريف هؤلاء الشهداء — على الاقل — الى الامة التي استشهدوا في سبيلها ؟

يروي لنا التاريخ الجّهاد في الحقبة الصليبية الاولى شيخا من ابناء جبله وكانت في حوزة الافرنج كغيرها من بلدان الساحل ، كان ذا حظوة وقدر لدى حكام المدينة من الفرنجة ، بيد انه كان الى جانب ذلك ابيا يرى الموت في حكم اخيه خيرا من الحياة في ظل الاجنبي فلما بلغه نزول صلاح الدين ابن ايوب بازاء حصن الاكراد قدم عليه وما زال حتى عاد به الى «حكومة اللاذقية» لاستخدامها وما زال في مقدمة مجاهديه حتى تم له ما اراد من تحرير بلاده .

والشيخ عز الدين القسام هذا الذي انبتته «جبلة» هو النسخة الثانية لذلك الشيخ الابي الاول ، هو هو نفسه بروحه وايمانه ، بأنفته وجرأته ، فقد كان عالما مثله قضى زهاء عشر سنوات في الازهر ، يتلقى لباب العلم حتى ملأت نفسه حقيقة الاسلام فأخرجته شخصية قو ية العزم قو ية الايمان والاخلاص لله والحق ، لا يفتر عن الجهاد بلسانه و يده ، يجهر بالاستنكار لكل بدعة في الدين ولكل توقح على الحق ، وما برح هذا شأنه في العهد التركي ، فلما كان الاحتلال الفرنسي خرج — ولعله اكره على الخروج — الى فلسطين يواصل جهاده في مكافحة الاستعمار المزدوج ، غير انه مل اخيرا هذه البلاد الانجليزية وهذا اللون من ألوان الجهاد الاعزل امام الحديد والنار ، فأسر في نفسه عزيمة العمل ، ولما سئل ان يخطب في حفلة لجعمية الشبان المسلمين في حيفا لم يزد على هذه الكلمة «جاء دور العمل فلنعمل» فكان ابلغ خطاب فسرت حقيقته المبهمة اخيرا عن الثورة العملية ، وهذه الميتة الابية .

ذلك هو الشهيد عز الدين القسام وهذا بعض حياته ، وحسبك به دليلا على شخصيات رفاقه الذين لقوا الله على ما لقيه من ايمان وتضحية في سبيل وجهه «الذي صلح عليه امر الدنيا والاخرة» وأخيرا هل يجد شباب العرب والمسلمين في هذا الشيخ الشهيد ورفاقه اسوة لهم فيما تستحقه فلسطين السليبة من تضحياتهم في سبيلها ؟

****

أجل أيها الشيخ الجليل عز الدين وعز الدنيا لقد كان جهادك ورفاقك لله والوطن فلم تستسلموا لغير الله ولم تأبهوا بالموت ـ الذي لا بد منه ـ في سبيل لقائه راضيا .

فهنيئا لك هذا الظفر بالامنية التي طالما تطلبتها حتى حصلت دعوتك الممتازة الى الله ـ كلما فتحت الحديث عن شخصية مجاهدة من الصحابة ـ هذه الكلمة الصغيرة الكبيرة : «ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك»

وهنيئا لك واخوانك هذه الخاتمة التي سبقكم اليها الامام القندلاوي يوم سقط شهيدا في دفاع الفرنجة عن ابواب دمشق ... ورزقنا الله حظكم و يسر لنا سبيلكم لقد بلغت رسالتك ولكن «هل يذكر الا القوم المؤمنون» .

طرطوس : محمد مجذوب

نشرت في جريدة الجامعة العربية الصادرة في القدس بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٣٥م ٢٤ رمضان ١٣٥٤هـ.

ملحق رقم « ٣٤ »

الكلمة التي ارسلها جميل مردم بك السكرتير العام لمكتب الكتلة الوطنية في دمشق الى الجمعية الاسلامية في حيفا لتتلى في حفلة تابين الشيخ القسام :

ضرب الشيخ المجاهد عز الدين القسام واخوانه الابرار رجال عصبة المجاهدين مثلا عاليا في التضحية والاخلاص لله وللوطن ، رأوا ما حل بشطر سوريا الجنوبي من اخطار حاقت بالعرب وتهددتهم بالفناء والدمار ليحل اليهود محلهم في الارض التي روى ثراها الاجداد والشهداء بدمائهم الحمراء وافتدوها بأرواحهم الغالية ونفوسهم الكريمة وشاهدوا ما جرته السياسة التي تحمي هذا الوطن الصهيوني من الجرائر على بني قومهم فتداعوا الى الشهادة والموت في سبيل الله وفي سبيل الوطن فما تهاونوا ولا تواكلوا وساروا على اسم الله يبذلون النفس والنفيس او تعود الى الوطن حريته وتصان ارضه ، و يعز بنوه وتعلو كلمة العروبة كل كلمة .

حشد الظالمون للفتك بهذه العصبة المؤمنة الصابرة القليلة العدد كل ما لديهم من قوى في السماء والغبراء والبوا عليها جندهم فصابر المجاهدون وصبروا فما كلت لهم عزيمة ، ولا وهنت لهم عقيدة ، وظلوا يناضلون قائلين «لا نسلم او نلقى وجه الله» هذا هو مثال تضحية شيوخ هذه الامة يقدمونه الى ابنائها والى شبابها بل انه نذير الخطر بما صار اليه العرب في شتى اقطارهم وفي هذا الشطر من سوريا من سوء المصير ، انه لمثال كريم على قوة عوامل الحياة في هذه النهضة العربية الحديثة وعلى مبلغ ما في نفوس ابنائها من ايمان بقوة حقهم وما اعد العرب من تضحية لتحقيق امانيهم .

لقد ظل شهيدنا القسام حياته ثائرا في سبيل الله والحرية فهو ما دقت الساعة الرهيبة في سورية الشمالية ودعا داعي الحرية ابناءها حتى كان في مقدمة الصفوف وما هاب في اللقاء الحتوف ، اولئك هم جنود الحرية ورجالها ما يزالون في نضالهم وجهادهم حتى تنجلي غياهب الظلم و ينجاب ليل العبودية البهيم وتشرق أنوار الحرية ساطعة او يقضون في سبيلها ناعمين هانئين فاذا عز على الكتلة الوطنية في شمال سورية ان يصاب العرب هذا المصاب الفادح في الشهيد القسام وفي اخوانه الابرار فانها لترى في هذه المصيبة حلقة جديدة من سلسلة الالام وحافزا للعرب قو يا لمواصلة الجهاد في سبيل امانيهم و بلوغ اهدافهم في الحرية والاستقلال وان كل بذل في سبيل هؤلاء الشهداء ومن سبقهم من شهداء العروبة والحرية لقليل امام ما قدموه بين يدي الوطن لقد بذلوا ارواحهم على مذبحة ، والجود بالروح اقصى غاية الجود .

ان المصاب بالقسام واخوانه الابرار لمصاب العروبة في شتى اقطارها وامصارها فلأرواحهم الطاهرة جنة عرضها السموات والارض وللعروبة جميل الصبر اما العزاء فيومه يوم تحقيق الامال و بلوغ ذرى الاستقلال .

ايها العرب لقد عرف القسام واخوانه طريق العمل المثمر وهو التضحية فلتكن التضحية شعارنا جميعا ليعود للعروبة عزها الاقبل ولتتمتع البلاد بحريتها واستقلالها فتضمد جراح هذا الوطن التي ما برحت تمبح النجيع .

جميل مردم بك

المصدر : الجامعة العربية العدد ١٧٢٧ ، الجمعة ٣ كانون الثاني ١٩٣٦م

ملحق رقم « ٣٥ »

نص كلمة ابراهيم الشنطي رئيس تحرير جريدة «الدفاع ـ يافا» . القيت في حفل تأبين الشيخ القسام بحيفا في ٥ـ١ـ١٩٣٦م .

هب رجلا ومضى شهيداً

يا اول عابر مجاز الحق هذا عهدنا

وقالوا : لو تريث القسام ، لو شاور . وذهب بعضهم اكثر فقال لو اطاع . جواب الله على هؤلاء الناقدين : «الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا ، قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين»*

فلمن لا يقف وقفة القسام ان يسكت على الاقل

في يعبد لنا ثأر . لنا حسين . لنا كربلاء !

في يعبد لنا جامعة . لنا اساتذة . لنا شهداء !

ايها الناقدون ـ كفى انتقاداً

ايها القاعدون ـ حسب اقتعاداً

اشرف الممات ـ ما اقتحم المذل الظالم

وارذل الحياة ـ ان تكون المذعن المسالم

لو لم يستشهد القسام على ذلك الوجه ، لما زحفت البلاد الى سكنه . رحم الله شهيد يعبد . أينا يتحدث بالشجاعة بعد الشيخ الشجاع ؟

أينا يقول بالتضحية بعد الذي شرى و باع ! سخفت الحياة ، وذلت الرجولة ، وتلك يعبد لمن قال : انا فتى في الرجال .

طال حسابنا مع الانجليز . منذ أول الاحتلال ، ونحن ندفع الثمن ، عداً ونقداً ، كوارث ومحن . الام تسعة عشر عاما ضاقت بها جسومنا ، فمتى التصفية ؟

سطوا على الوطن فانتقصوا من اطرافه . وجعلوا لذلك تشريعا احلته فطرة خبيثة . ولما اعياهم سلطان الحق ، لجأوا الى خداع المنطق .

وقالوا : «مقدرة البلاد على الاستيعاب» .

وسطا الانجليز على رجولتنا ، فرموا البلاد بنظام تعليمي يحرم فتيانها تربية الجيش والعسكرية . فنشا من نشأ من ابنائكم اجساما لا ارواحا ، يا ذل الوطن عندما يموت الجيل الذي خاض حروب اليمن ، وشناق قلعة ، وقناة السويس !.

أيها السادة ! في وقعة اليرموك ، حيث توحشت النفوس ، وطاحت الرؤوس وفر الفارس المعلم ، قبل الجبان المعدم ، اقبل فتى على امه يقول لها : «هذا السيف قصير يا اماه ، لو استبدله بأطول منه» ، هل تدرون ما كان الجواب ؟ قالت له «تقدم خطوة فيطول» وقيل لاخرى : «هذا ابنك استشهد ، فنادت قولوا لاخيه يحل محله !»

* «ال عمران ١٦٨»

ما ابعد الفارق ، تلك الشؤون العادية اصبحت معجزات اليوم فينا ، وخوارق هذه الروح . هذا الخلق . هذه التربية ، اماتها الانكليز فينا . حضرنا بلدا سكانه من نساء !

ايها السادة : واقام الاستعمار عليكم عقلاء اقطاعيين ، انكليز اكثر من الانجليز . هؤلاء مشوا بكم في طريق الجبن . اولئك هم اخوان : «ولولا العقلاء لوقع مالا تحمد عقباه»! لقد اشرقت الشمس ، وولى ليل الشعوذة والتدجيل . وهذا جيش الامة وتعبئتها لمن شاء ان ينتسب ، وللذين يريدون مستأجرة الانكليز ان يكونوا هناك ! .

ايها السادة : وجددوا «المدة» خمس سنوات . فماذا في الانتظار غير التهو يد والرق ، والانهيار؟ لنشرع في محاسبة الانكليز ... هذا وطن لنا ونحن اصحابه ، فما دخل الانكليز قبل اليهود في مصيره !

و يقول الضعفاء القاعدون : وأين لكم ما لبريطانيا من معدات ؟ رضينا ان نسلك ما سلكت ارلنده ، ومصر ، والهند ، والولايات المتحدة قبل استقلالها ، ... ، ذلك اجدى من موتنا كقطعان السائمة مشردين في الافاق .

قرأت لكاتب اجنبي مرة : ان الحسين ما ثار في ظنه انتصار على اعدائه . من اجل ذلك سار في جمع من العقائد والغلمان والاطفال ، صحبه الى كربلاء . وما كان معه فرسان بني هاشم . و يقول الكاتب : اراد الحسين نفسه ضحية تهز الحجاز وتثير بلاد التوحيد ، فتدك اساس البيت الحاكم . هذا رأي . ومثل حادث شهيد يعبد .

لم يتصد للانكليز و يحارب مئتين في خمسين من اتباعه وفي ظنه النصر . ولكنه اراد ان يستشهده فكرة ، بل ثارا وطنيا ، فلا تغمض عين عربية قبل ان تطمئن الى اخذه .

عبرت حجاز الموت ـــــ لنمشي وراءك !
وشربتها وشرعت ـــــ تستحث ابناءك

ونشرتها على العالمين ، رسالة الفكر ، والقلب ، واليقين . في ارجاء يعبد تصايحت ! «الله اكبر ، لن نستسلم هذا جهاد في سبيل الله والبلاد . يا رفاقي الصلحاء موتوا شهداء !»

لك علينا ان نفي بالعهد ، وان نضاحك اللحد . و يا اول عابر مجاز الحق : اما الصدر واما القبر !

المصدر جريدة الدفاع ـ يافا . التاريخ الثلاثاء ١٢ شوال ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٦/١/٧

ملحق رقم « ٣٦ »

كلمة نائب «حماة» الدكتور توفيق الشيشكلي التي ارسلت باسم مدينة «حماة» لتتلى في تابين الشهيد القسام .

ما عمر البشر الا حلقة من سلسلة تاريخ هذا الكون المليء بأنواع الحوادث وشتى الامور من عظيم وتافه وكبير ومفيد وسار ومكدر فمنهم من سهلت له الاقدار ان يتربع على عرش الملذات واسرف بالترف والرفاة فعاش مجهولا وقضى نحبه غير مبكي عليه ، ومنهم من عانده القضاء والقى في طريقه العثرات ، وحال دون وصوله الى بغيته بالسهولة المتوخاة فصمد وكافح واحتمل انواع الشدائد وتلقى سهام المصائب بصدره الرحب وخط الظفر بنفسه بثباته واقدامه فكان من الفائزين . ومنهم من سهل الله لهم سبل العيش ، وحازوا مكانة رفيعة بين اقرانهم ، ولكن نفوسهم الكبيرة ابت عليهم ان يروا بني قومهم اذلاء مهاجمين في عقر دارهم يتحكم بهم الاغيار و يسومونهم سوء العذاب ، و يبيعونهم بيع السلعة الكاسدة ، فقاموا وامتشقوا الحسام وسارعوا الى ميدان الجهاد ، ولسان حالهم يردد قول الله «وسارعوا الى مغفرة من ر بكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين» ولم تشأ هممهم احتمال الذل والاذى وهم على بينة بأن «العزة لله ولرسوله وللمؤمنين» وهم يؤمنون بقوله جل شأنه «ان ينصركم الله فلا غالب لكم» ، وقد اصلوا العدو ناراً حامية فكتب الله لهم الشهادة ، والشهداء «احياء عند ر بهم يرزقون» ومن هذه الفئة الصالحة شهيدنا البار الاستاذ المجاهد عز الدين القسام الذي احيى بعمله عهداً مطو يا سبقه اليه السلف الصالح وتقاعس الاخلاف عن السير على سننه فاستعمرت بلادهم واصبحوا اذلاء في ديارهم ولولا تفرق الكلمة وكثرة الاحزاب وتخاذل القوم وتحاسدهم لكتب للقسام الظفر كما كتب السلامة لصاحب الغار عليه الصلاة والسلام ، ومع هذا فلا ندامة ولا خوف ولا وجل فالنصر حليف العرب ما دامت كلمتهم متحدة وما داموا جادين في جهادهم مقتفين اثر الشهيد القسام وصحبه الكرام الذين خلدوا في عصرنا الحاضر خير امثولة يتحدث بها بين الانام .

فيا سكان سوريا الجنو بية و يا سدنة المسجد الاقصى سلاحا وفيرا وعزاء ان حماة مدينة ابي الفداء الملك العظيم الذي جاهد في سبيل الله وكان له ولجيشه شرف . اخراج جيش صليبي من دياركم المقدسة تشاطر الاسى وتشارك في احزانكم وترجو لكم الظفر العاجل وهي جد مغتبطة باتحادكم وقد قيل «باتحاد الكلمة تقوى العظمة» وما مات حق وراءه مطالب والعاقبة للمتقين .

حماة في ٤ شوال سنة ١٣٥٤هـ ـ ٣ كانون الثاني ١٩٣٥م

باسم حماة نائبها
الدكتور شيشكلي

المصدر : جريدة الجامعة العربية العدد ١٧٢٥ ، الثلاثاء : ٧ كانون الثاني ١٩٣٥م .

ملحق رقم « ٣٧ »
خطاب جمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني في حفل تأبين القسام

القسام ... القسام ... اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في اجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم و يتلى في صفحات تاريخها الخالدة : فيملأ نفس القارىء اكبارا واعجابا . اسم سوف نقرأه في تاريخ جهادنا الوطني نحن وابناؤنا من بعدنا فيأخذنا الخجل منه في صحيفة ، و يأخذنا الغضب والاستنكار له في صحيفة ، ونشعر باللوعة والحسرة عليه في صحيفة ، ذلك ان القسام وصحبه قاموا بالثورة عدها الناس جهادا وعدها الغاصب لصوصية وسيعدها التاريخ تحديا لنا جميعا .

أما الغضب والاستنكار فهو من تلك التهمة الرسمية الجوفاء الهزيلة التي تقول بأن الشيخ وصحبه لصوص ، قطاع طرق وطلاب منافع ، الشيخ وصحبه يخرجون على الظلم وكل منهم في يد ايمانه ، وفي يد حسامه ، فتحيط قوة السلطة بهم فيقفون لها وهي عشرات اضعافهم فتدعوهم الى الاستسلام فيصيحون هذا جهاد لا استسلام فيه ولا رجوع ، فأما موت بعزة وأما فوز مبين . يقولون هذا و يتساقطون و بعد ذلك تقول السلطة انهم لصوص وقطاع طرق ، فأين يكون المجد عندئذ اين يكون الشرف ،؟ ثم تفتشهم السلطة فماذا تجد معهم ؟ تجد معهم سلاحا اشهروه في وجه الظلم ودرهيمات لم يدع بها احد فهي عرق الجبين وهي المال الحلال وهي المجهود تبلور في ذهبات جمعوها بالدرهم والدانق لا ليسدوا به رمق اولئك الذين تركوهم ولا كافل لهم ولا معين ولا لاشباع شهوة بل لاعلاء شأن الايمان لتثبيت المبدأ لاحقاق الحق . ثم وجدت معهم ، مع هذا وذاك الكتاب ، ذلك الشيء الذي لا يسرق بل اذا سرق فسرقته حلال لانه يدعو الى ايقاف اللصوصية وقطع الطرق ، الى السلم والسلام تحت رايات العزة لا تحت سياط المذلة تجد هذا وتقول انهم لصوص وقطاع طرق ! وعلى ذلك يمكننا نحن ايضا ان نقول ان كرومو يل رافع لواء نهضتهم ومؤسس مجد ديمقراطيتهم هو لص وقاطع طرق ، و واشنطن محرر اميركا و وطنها الاعظم هو لص وقاطع طريق ، ولينين وموسوليني ومصطفى كمال كل هؤلاء الذين ثاروا على الظلم كما ثار القسام وصحبه هم ايضا قطاع طرق ولصوص ، لانه لا فرق بين هؤلاء وشهدائنا اليوم الا في المظاهر الخارجية ، اما المبدأ والايمان والنية والقلب فكانت واحدة فالقسام وصحبه ثاروا على الظلم وكرومو يل و واشنطن ولينين ومصطفى وموسوليني ثاروا على الظلم مدفوعين بمبادئهم وايمانهم .

ولكن هل كانت ثورة القسام كالثورات يمكننا ان نعتز بها كثورة ولا نشعر بشيء من الخجل عند التفكير فيها ؟ نعتز بها ولا تأخذنا حمرة الخجل ؟ نفخر بها كثورة ونتحسر عليها كمؤودة.لا لم تكن هذه الثورة كذلك بل كانت ثورة على الشباب ، على القاعدين أمثالنا جميعا ، فالقسام شيخ في الستين صنعته تلاوة آي الذكر الحكيم ، سلاحه تفسير الاحاديث والسنة و بيان الواجبات الدينية للناس ، مكانه المحراب . هذا الشيخ يرى هؤلاء الشباب المفتولي السواعد الملتهبي الرؤوس ، المملوئين نشاطا ، الطالبين حياة يقعدون قعدة الشيوخ على ان لا يتلو آية ، و يستعملون سلاح العلماء على ان لا يعرفوا سنة أو حديثا و يجلسون مجالس التدريس ولا يتوجهون الى محراب فيصيحوا بهم اتريدون ان تزاحمونا في هذا الميدان وميدانكم خال من كل فارس ؟ ها نحن نخرج على ارجلنا الضعيفة فاقعدوا انتم على ارجلكم القوية ! ها نحن نقوم لنعمل وسواعدكم اعدت للعمل لا سواعدنا فقولوا والسنتنا اعدت للقول لا السنتكم ولا يقولن بعد اليوم انسان ان الشباب يعملون وان

الشباب يجاهدون وان الشباب يجدون ولا يقولن وطني انه مخلص وانه مجاهد .

ونحن يا سادتي اذا اخذنا نفكر فيهم ونقلب الفكر في عملهم لا نرى الا وجوههم يضيؤها نور الايمان ورؤوسهم تعلوها اكاليل المجد ولا نستمع الا الى اصواتهم تصيح بنا لا ايمان الا بهذا نشعر بالخجل وتضاؤل النفوس وتبكيت الضمائر .

ولكن ثورة القسام لم تكن على هذا فقط، بل كانت ثورة علينا جميعا ، شبانا وشيوخا وكهولا ، اذ يقول كل واحد منا في قلبي ايمان وفي نفسي اخلاص وعزيمة ولكني مثقل وورائي عائلة كبيرة اخاف ان خرجت ان يتخطفهم الذل والعار والموت ، وليس لدي ما يدفع عنه عوادي الزمان ... ، يصنع القسام وصحبه هذا فيثورون عليه و يخرجون ... يخرجون عمن ؟ يخرجون عن اعشاش فيها قطع من اللحم كأفراخ العصافير ينتظر كلا منها معيله ، ليسقط في منقاره ما يسد به جوعه و يروي عطشه ، يذهبون الى ملك الاعشاش فيحيط بهم قاطنوها و يطلبون منهم الخبز فيفاجئوهم بعزمهم على الخروج ، فيقول هؤلاء وعلى من تتركونا ولا معين لنا ولا كافل ؟ فيجيبون : على الله ! فتذرف الدموع وتتصاعد الايات وهنا حرج الساعة ودقة الموقف ، الدموع الدموع ، دموع لحمك ودمك ، دموع من اختلطت نفسه بنفسك ، يأثر فيك أنت الرجل اكثر من السيوف ، فيندفع القسام وصحبه من تلك الاعشاش لتثبيت المبدأ واحقاق الحق واعلاء شأن الايمان ونحن اذ نرى منهم ذلك لا يسعنا الا ان نشعر بتبكيت الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الايمان .

ثم نخرج يا سادتي نتلمس اي نبث نور الايمان وفي اية بيئة ترعرع ومن اي ماء روى ، فنمشي الى بيت الشيخ يوسف الزيباوي في قطعة واطئة بطرف هذه المدينة قد غرق بالوحل وتكدست فيه بيوت بل اخصاص من التنك المخرق الذي تلعب فيه الرياح فلا هي بالبيوت تقي صاحبها عواد الطبيعة ولا هي بالاخصاص تقيم عاديات الناس ، وانت فيها لا صيفك صيف ولا شتاؤك شتاء ، وأنت فيها في دفع جيوش الذباب مشغول في نفسك عن التفكير في الاخلاص والايمان الذي يتوق لك ان تفكر فيه من مكان هادىءوسكون شامل ... من هذه الاخصاص ، من هذه الوحال ، من هذا الفقر المدقع من هذا البؤس ؟ خرج نور الايمان واضاء نور الصدق والاخلاص بقبس منه تجلى في نفس الشيخ يوسف الزيباوي .

عند هذا وقفنا مدهوشين بل مشدوهين فصحنا : سبحانك ربنا تعطي وتمسك تهب هؤلاء كل الايمان وتحرمنا من بعضه ، وكلنا شعرنا بأنا نسيء بهذا ، نحن نخادع به الحقيقة ونتملص من مجابهتها فان الله قد افاض بالايمان على الناس فلا ينقصه يوما ولا يزيده يوما اخر ولا يجود به وقت ولا يبخل به في وقت اخر ، بل اطلقه فياضا ينير ظلمات النفوس و يدفع صاحبه بكهر بائيته الى العمل والجد حتى يرى الالم فيه لذة والتعب راحة والكدر صفاء .

هذا ما كان عليه القسام وهذا ما خرج من اجله ، خرج يصيح بنا : الايمان نور والتضحية لذة فمن آمن وعمل ونجا ومن لم يؤمن قعد وهلك ، فهل لنا ان نتزود من هذا الايمان ونتقدم لهذه التضحية فنعمل وننجو ؟

المصدر : الجامعة العربية ، ١٢ شوال ١٣٥٤هـ ، ٧ كانون ثاني ١٩٣٦م ، العدد ١٧٢٥

ملحق رقم « ٣٨ »
احب من الناس المجانين

بقلم : عيسى السفري

هـــو مجنـــون !

كلـمـة سـمـعـتـهـا يوم ان استشهد شيخنا الجليل ، عز الدين القسام ... سألت نفسي ، ما عساه ان يكون جنون القسام ؟

اهو جنون عادي ، ام هو جنون من نوع آخر ؟!...

درست تاريخ هذا الجنون ، بحثت عن اسبابه وعلله ، فوجدت انه لم يكن جنونا بالمعنى المقصود من الكلمة . وانما كان جنونا بالوطنية ، غابت معانيه عمن ردد هذه الكلمة في ذلك اليوم .

قالوا انه مجنون !

أما انا ففكرت قليلا ، ثم عدت الى نفسي وقلت :

اذا كان من فيه هذا النوع من الجنون ، يدعى مجنونا ، فلست احب من الناس الا المجانين ؟!

****

طالعت سير الابطال ، وتاريخ العظماء ، وقصص الاباء ، واخبار الفاتحين ، ومجازفات الرواد ، ورسالات الانبياء والمرسلين !

قابلت بين اعمالهم كلها ، فوجدتها متفقة في المبدأ ، متشابهة في الغاية . قرأت فيها :

الجنـــون في البطولـــة !

الجنـــون في العظمـــة !

الجنـــون في الفـــن !

الجنـــون في الفتوحات !

الجنـــون في المجازفات !

الجنـــون في العقائد والرسالات !

قرأت هذا ، ثم عدت الى شهيدنا القسام .

فحصت جنونه على ضوء ما مر من انواع الجنون ، فوجدته نوعا اخر من انواعه ...

جنـــون في التضحية !

فقلت حينئذ في نفسي :

اذا كان من فيه هذا النوع من الجنون ، يدعى مجنونا ، فلست احب من الناس الا المجانين ؟!...

****

كثيرون من الرواد ، جازفوا بحياتهم في سبيل الزيادة والاستكشاف . فقال الجبناء ، عباد العقل :
انهـــم مجانيـــن !...
وهل من عنده مسكة من العقل ، يجازف بحياته ؟...
اما انا ، فقد وصلت من هذا الجنون المجازف ، الى النتائج التالية :
اكتشاف بحار واسعة لم يجر فيها شراع !...
وعثور على اقاليم شاسعة ، لم تطأها قدم انسان !...
واهتداء الى شعوب منوعة ، لم تكن تحسب في عداد سكان الارض !
تحققت هذا كله ، وانعمت النظر في اقوال العقلاء !
ثم رجعت الى نفسي وقلت :
اذا كان من فيه هذا النوع من الجنون المجازف ، يدعى مجنونا ، فلست احب من الناس الا المجانين ؟...

* * * * * * *

نحن اليوم ، نؤمن برسالات الانبياء ، ودعوات المرسلين !
نقدسهم ونجلهم !
أما العقلاء معاصروهم ، فقد اضطهدوهم وهزأوا بهم !
لم يعف لسانهم عن القول :
انهم مجانين « مهستررون » !...
ولو قدر لنا ان نتقهقر الى زمنهم ، لكنا ايضا عقلاء ، من اصحاب هذا الرأي !...
كانت نتيجة هذا الجنون الهستيري ، هداية الضالين من البشر ، واخراج الناس من الظلمات الى النور !
لما تأكدت هذا وتفهمته ، سفهت رأي العقلاء !
ثم رجعت الى نفسي ، وقلت :
اذا كان من فيه هذا النوع من الجنون ، يدعى مجنون ، فلست احب من الناس الا المجانين ؟...

* * * * * * *

وأخيـــــرا !
بعد ان استعرضت المجانين ، وفحصت انواع جنونهم ، تيقنت انه لولا وجود مغامرين في الحياة ، مثل هؤلاء المجانين ، في كل امة من الامم ، وفي كل عصر من العصور ، يسيرون في اعمالهم في الحياة بوحي الشعور ، لا بوحي العقل ، لما كان هنالك شيء يقال له دين ، او ادب ، او سياسة ، او علم ، او وطن ، او اجتماع !...
فـــاذا كـــان الجنـــون :
الخروج على المألوف من التقاليد البالية ، والعادات الضارة !
او الثورة على الظلم والاستبداد !
او التضحية في سبيل نفع البشر !

او خدمة الفن والاجتماع !
او السمو فوق مستوى المجموع !
او البحث عن المثل العليا في الحياة !"
فنعم الجنوّن هو !
ان على عاتق هؤلاء ، تقوم البشرية اليوم ، وتنعم في اديانها ، وآدابها ، وحرياتها ، واختراعاتها واكتشافاتها !؟

****

فاذا كنت أيها القارىء ، لا تؤمن بصحة ما اقول !
واذا كنت لا تزال تشكك في الامر الواقع !
واذا كنت تود الوقوف حيث ولدتك امك !
فاسمح لي بأن اطلق عليك لفظة «عاقل»
أما انا ، فدعني اردد القول :
اذا كانت هذه الانواع من الجنون ، تؤدي الى مثل هذه النتائج ، فلست احب من الناس الا المجانين !؟...

المصدر كتاب رسالتي لعيسى السفري ، يافا ، ١٩٣٦ ص ٩٨ ــ ١٠٣

الهـــوامش

المقدمة :

١ ــ الكيالي ، د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦٣ .
٢ ــ علوش ، ناجي : المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ ، بيروت ، دون تاريخ ، ص ٣٦ .

الفصل الاول :

١ ــ جريدة الجامعة الاسلامية ، يافا ، ٢٥و٢٦/١١/١٩٣٥ العدد ٩٩٧ ، صفحات لامعة من تاريخ الشهيد الشيخ عز الدين القسام ، بقلم امين سعيد .
٢ ــ المصدر نفسه ، ايضا خلف ، علي حسين : تجربة عز الدين القسام السورية ١٨٨٢ــ١٩٢١، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ١٢٤ ، آذار ١٩٨٢ ، ص ١٨ .
٣ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩
٤ ــ جريدة الجامعة الاسلامية ، مقال امين سعيد ، وسيشار اليه فيما يلي بسعيد ، امين ــ مقالة الجامعة الاسلامية .
٥ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨
٦ ــ المصدر نفسه
٧ ــ اسماعيل ، د. عز الدين وآخرون : عز الدين القسام ، دار العودة ، بيروت ، دون تاريخ ، ص ١٣
٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٥ .
٩ ــ سعيد ، امين : مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
١٠ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩
١١ ــ سعيد ، امين : مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
١٢ ــ مجذوب ، محمد : الشيخ عز الدين القسام المجاهد والشهيد الفلسطيني الخالد ، جريدة الجامعة العربية ــ القدس ، ٢٠ كانون الاول ١٩٣٥ .
١٣ ــ بورات ، يهوشع : الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٢٩ــ١٩٣٩) باللغة الانجليزية ، لندن ، فرانكاس للنشر ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٣ .
١٤ ــ الكيالي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٠ ، عن جملة المنار المجلد الرابع سنة ١٩٠٢ ، ص ٨٠١ ــ ٨٠٢ .
١٥ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ ــ٢١ ، عن رواية محمد عز الدين القسام ، و «محمد اديب» فخر الدين القسام وعبد الملك مصطفى القسام .
١٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٢١
١٧ ــ اسماعيل ، د. عز الدين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧ــ٢٨ .
١٨ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ ، عن زهير المارديني : الف يوم مع الحاج امين ، دار العرفان ، ١٩٧٧ ، ص ٨٢ .
١٩ ــ سعيد ، امين : مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
٢٠ ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ ، عن زهير المارديني ص ٨٢
٢١ ــ سعيد ، امين : مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
٢٢ ــ اسماعيل ، د. عز الدين ، ص ٢١
٢٣ ــ المصدر نفسه .
٢٤ ــ لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ، دون تاريخ ، ص ٣٦٦ .
٢٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

٢٦ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ـ٢٢ ، عن رواية عبد المالك مصطفى القسام .
٢٧ـ لوتسكي : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٨
٢٨ـ المصدر السابق ، ص ٣٦٩
٢٩ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ ، عن زهير المارديني ص ٨٢
٣٠ـ لوتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧١
٣١ـ الحكيم ، يوسف : سوريا والعهد الفيصلي ، دار النهار ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٥
٣٢ـ المصدر السابق ، ص ٣٢
٣٣ـ المصدر السابق ص ٥٢
٣٤ـ السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ، ١٩٣٦ الكتاب الاول ، ص ٥
٣٥ـ الحكيم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥ ، ٩٧
٣٦ـ المصدر السابق ، ص ١٠٥
٣٧ـ المصدر السابق ، ص ١٨٣
٣٨ـ ذكر يوسف الحكيم وهو الوزير النصراني في حكومة فيصل ، في مذكراته «سوريا والعهد الفيصلي» ص ٢٠٢ ، ان الملك فيصل حدثه ، اثناء تجوالهما بعد ان هرب فيصل ووزرائه من دمشق في اعقاب ميسلون ، عن المراحل التي مرت بها القضية العربية كما راها فيصل وكانت كالتالي : (١) المطالبة بوحدة العرب واستقلالهم ولم يتحقق المطلب لصعوبته (٢) المطالبة بوحدة سوريا واستقلالها تبعا لارادة الحليفتين (بريطانيا وفرنسا) ، ولم يتحقق المطلب ايضا ، فتنازل الى المطلب الثالث (٣) قبول انتداب امريكا او بريطانيا (٤) التفاهم مع فرنسا حسب مبدأ خذ وطالب ، وهذا بعد انذار الجنرال غورو ، الذي وافق عليه فيصل تنازلا عن مطلبه السابق واخذا بالراي الجديد .
٣٩ـ المصدر السابق ص ١٩٠
٤٠ـ العياشي ، غالب : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب الى الانقلاب ١٩١٨ـ١٩٤٥ ، دمشق ، ١٩٥٤ ، ص ١٣٥،١٣٦ .
٤١ـ الحكيم ، يوسف : مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٦ ، ١٦٧
٤٢ـ اسماعيل ، د. عز الدين : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤
٤٣ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ ، نقلا عن عبد المالك مصطفى القسام
٤٤ـ سعيد ، امين : مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره . وحول انضمامه للبيطار انظر : المصري : ابراهيم السيد عيسى : مجمع الاثار العربية ، مكتبة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦ ، ملحق اضافي بين الصفحات ١٥٠ـ١٥١ من الجزء الاول .
٤٥ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ ، عن ادهم الجندي : تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي ، دمشق ، مطبعة الاتحاد : ١٩٦٠ ، ص ٢٦ .
٤٦ـ سعيد ، امين : ثورات العرب في القرن العشرين ، دار الهلال ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ١١٧ .
٤٧ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ ، عن ادهم الجندي ، ص ٢٤ .
٤٨ـ اسماعيل ، د. عز الدين : مصدر سابق ، ص ٣٦
٤٩ـ خلف ، ص ٣٢
٥٠ـ خيرية فخر الدين القسام ، مقابلة شخصية اجريت معها في قرية بلعا قضاء طولكرم بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢٧ .
٥١ـ سعيد ، امين مقالة الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
٥٢ـ المصدر نفسه
٥٣ـ خلف ، ص ٢٢
٥٤ـ الحكيم ، يوسف : مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٧
٥٥ـ خلف ، ص ٣١
٥٦ـ الحكيم ، يوسف ، ص ١٦٧
٥٧ـ سعيد ، امين : ثورات العرب ، مصدرسبق ذكره ، ص ٧٢ـ٧٤ .
٥٨ـ الحكيم ، يوسف ، ص ١٦٧ .
٥٩ـ انظر هامش (٥٧)

٦٠ــسعيد ، امين : مقالة المجاهد الحقيقي ابراهيم هنانو ، جريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٥ .
٦١ــالزركلي ، خير الدين : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ج١ ، ص ٤١ــ٤٢ .
٦٢ــالسراج ، سامي : سيرة ابراهيم هنانو ، الجامعة الاسلامية ــيافا ، ١٩٣٥/١١/٢٦ .
٦٣ــسعيد ، امين : المجاهد الحقيقي ابراهيم هنانو ، جريدة الجامعة الاسلامية ، يافا ، ١٩٣٥/١١/٢٥ .
٦٤ــالزركلي : الاعلام ، ج١ ، ص٤٢ .
٦٥ــخلف ، ص ٣١
٦٦ــالاعلام ، ج١ ، ص٤٢
٦٧ــجريدة فلسطين ــيافا ١٩٣٥/١١/٢٢
٦٨ــالاعلام «للزركلي» ج٣ ، ص٩٣
٦٩ــخلف ، ص ٢٣ ، عن عبد اللطيف يونس : ثورة الشيخ صالح العلي ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ص ٢٨
٧٠ــالاعلام ، ج٣ ص٩٣
٧١ــالعياشي ، غالب : مصدر سبق ذكره ص١٨٢
٧٢ــالحكيم ، يوسف : مصدر سبق ذكره ص ١٦٧
٧٣ــسعيد ، امين : ثورات العرب ، مصدر سبق ذكره ص٧٣
٧٤ــالاعلام (للزركلي) ، ج٣ ، ص٩٣
٧٥ــسعيد ، امين : الجامعة الاسلامية ــمقالة المجاهد الحقيقي ، ٣٥/١٧/٢٥
٧٦ــخلف ، ص٢٧
٧٧ــخلف ، ص٢٧ عن عبد اللطيف يونس ، ص (١٢٣ــ١٢٩)
٧٨ــخلف ، ص٢٧ عن عبد اللطيف يونس ، ص ٥٩
٧٩ــخلف ، ص٢٨
٨٠ــخلف ، ص٢٧ ، عن عبد اللطيف يونس ، ص١٠٦
٨١ــخلف ، ص٢٧
٨٢ــمن هذه المصادر : الحوت ، بيان نو يهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ــ١٩٤٨ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٣١٩ .
٨٣ــسعيد ، امين : مقالة المجاهد الحقيقي ، الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره .
٨٤ــالعياشي ، غالب : مصدر سبق ذكره ، ص١٩٣ ، ١٩٤ .
٨٥ــالحكيم ، يوسف : مصدر سبق ذكره ، ص١٦٧
٨٦ــالعياشي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٤
٨٧ــخلف ، ص ٢٧ ، عن سليمان محمود السبعاوي ، تاريخ النضال الشعبي في الاقليم السوري ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٥
٨٨ــخلف ص ٢٧ ، عن عبد اللطيف يونس ، ص١٨٧
٨٩ــسعيد ، امين : صفحات لامعة من حياة الشهيد القسام ، مصدر سبق ذكره .
٩٠ــالمصدر نفسه .
٩١ــالاعلام للزركلي ، ج٦ ، ص ٢٦٧
٩٢ــالمصدر نفسه ، ايضا امين سعيد في الجامعة الاسلامية ٣٥/١١/٢٥
٩٣ــخلف ، ص٢٨ عن ادهم الجندي ، تاريخ الثورات ، ص١٨
٩٤ــخلف ، ص٣٢ عن ادهم الجندي ، تاريخ الثورات ، ص٢٥
٩٥ــياسين : صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص٣٣ ، و بيان الحوت القيادات والمؤسسات السياسية ، ص٣٢٢ .

الفصـل الثانـي :

١ ـ الاعـلام للزركلي ، مصدر سبق ذكره ، ج٦ ص٢٦٧ وامين سعيد في الجامعة الاسلامية (صفحات لامعة) ١٩٣٥/١١/٢٥ وامين سعيد في ثورات العرب ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٧ ، وابراهيم المصري ، مصدر سبق ذكره ، ملحق بين صفحات ١٥٠، ١٥١ .

٢ ـ المصدر نفسه

٣ ـ خلف ، ص٣٢ والقصة الواردة هنا منقولة عن خلف ، الذي اعتمد على رواية عبد المالك مصطفى القسام (ابن اخ عز الدين القسام) ومحمد عز الدين القسام (ابن الشهيد) .

٤ ـ المصدر نفسه

٥ ـ المصدر نفسه

٦ ـ امين سعيد ـ مقالة صفحات لامعة ، مصدر سبق ذكره

٧ ـ خيرية القسام ، مصدر سبق ذكره

٨ ـ خلف ، ص٣٢

٩ ـ الكيالي ، د. عبد الوهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩٣

١٠ ـ خلف ، ص٣٢، ٣٣ .

١١ ـ نو يهض ، عجاج : رجال من فلسطين ، منشورات الارض المحتلة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٨١ .

١٢ ـ هيرست ، ديفد : البندقية وغصن الزيتون (باللغة الانجليزية) ، فابر اند فابر ، لندن ، ص٧٥ .

١٣ ـ جريدة الدفاع ، يافا ، الخميس ٧ شوال ١٣٥٤ ، ١٩٣٦/١/٢

١٤ ـ النحال ، د. محمد سلامة : سياسة الانتداب البريطاني حول اراضي فلسطين العربية ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨١ ، ص٣٢ـ٣٣ ، عن دورين انغرامز : اوراق فلسطين ١٩١٧ـ١٩٢٢ ، دار النهار ١٩٧٢ ، ص٤٤ـ٤٩ .

١٥ ـ هيكل ، يوسف : فلسطين قبل و بعد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧١ ص١١٦ـ١١٧ .

١٦ ـ الحوت ، بيان : مصدر سبق ذكره ، ص٢٨١

١٧ ـ علوش ، المقاومة العربية ، ص١٥

١٨ ـ عبوشي ، واصف : العربي المصري ، مكتب الابحاث ، جامعة بير زيت ، ١٩٧٩ ، ص٨٧ .

١٩ ـ البحيري ، د. صلاح الدين : ارض فلسطين والاردن ، المنظمة العربية للتربية والعلوم جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٦٢ .

٢٠ ـ سمبسون ، هوب : تقرير حول الزراعة ، الهجرة والاستيطان في فلسطين ، مطبعة دار الايتام بالقدس ، دون تاريخ ، ص٩٥

٢١ ـ هيكل ، يوسف : القضية الفلسطينية ـ تحليل ونقد ، وكالة ابو عرفة ـ القدس ١٩٨٦ ، ص٩٩ .

٢٢ ـ عبوشي ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٨ .

٢٣ ـ كنفاني ، غسان : ثورة ١٩٣٦ـ١٩٣٩ ، وكالة ابو عرفة القدس ، دون تاريخ ص٤٢ .

٢٤ ـ هيكل ، القضية الفلسطينية تحليل ونقد ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٠

٢٥ ـ الكيالي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٧ .

٢٦ ـ الدجاني ، المحامي حسن صدقي : تفصيل ظلامة فلسطين ، القدس ، الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م ، ص٤٤ .

٢٧ ـ ياسين ، عبد القادر : عز الدين القسام بين جمهورية فرحات و بؤرة غيفارا ، مجلة قضايا عربية ، تشرين الثاني ١٩٧٩ ، السنة السادسة ، العدد السابع ، ص١٨٨ .

٢٨ ـ خلف ، علي حسين : تجربة عز الدين القسام ـ مدرسة جامع الاستقلال (١٩٢٢ـ١٩٣٥) ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ١٢٦ ، ايار ١٩٨٢ .

٢٩ ـ ابو النصر ، عمر : جهاد فلسطين العربية ، بيروت ، د.د.ن ، آب ١٩٣٦ ، ص٢٧٠ .

٣٠ ـ خليل ، ابراهيم الشيخ : رسالة من مجاهد قديم ، مجلة شؤون فلسطينية العدد السابع ، شباط ١٩٧٢ ، ص٢٦٧ .

٣١ ـ امين سعيد ، مقالة الجامعة الاسلامية «صفحات لامعة» ، مصدر سبق ذكره .

٣٢ـ خلف ، تجربة عز الدين القسام ـ مدرسة جامع الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٦ .
٣٣ـ المصدر نفسه .
٣٤ـ المصدر السابق ، ص٨٧ .
٣٥ـ ارشيف قسم احياء التراث الاسلامي ـ دائرة الاوقاف الاسلامية بالقدس ، ملف جامع الاستقلال ٨٧/٨٠ و ٥/٢٨/٣ .
٣٦ـ خلف ، مدرسة جامع الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٨ .
٣٧ـ الكرمي ، عبد الغني : مقال : المرحوم الشيخ عز الدين القسام ، اجتهد ومات في سبيل فكرته ، جريدة فلسطين ـ يافا ، الجمعة ١٩٣٥/١١/٢٢ ، الصفحة الاولى
٣٨ـ خلف ، مدرسة جامع الاستقلال ، ص٨٩ .
٣٩ـ المصدر نفسه .
٤٠ـ جرادات ، حسين درويش ، مقابلة شخصية اجريت معه في سيلة الحارثية قضاء جنين بتاريخ ١٩٨٣/٥/٥ ، كان وقتها من المترددين على مسجد الاستقلال وسمع خطب ودروس القسام .
٤١ـ مقالة امين سعيد في الجامعة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره ، يقول ان القسام بقي في فلسطين خمسة عشر عاما دون ان يعرف احد انه محكوم بالاعدام في سوريا نتيجة لدوره في ثورتها الاولى .
٤٢ـ الحوت ، القيادات والمؤسسات ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٢٢ .
٤٣ـ مجلة الرابطة العربية ـ القاهرة ، العدد ١٦،١٧ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص٢٤ .
٤٤ـ خلة ، د. كامل : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ـ١٩٣٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٤ ، ص٣٧٥ عن حديث لابي ابراهيم الكبير في مجلة الثورة الفلسطينية ، العدد ١٩ ، ١٩٦٩/٩/١٥ ، ص٢٤ .
٤٥ـ الشقيري ، احمد : اربعون عاما في الحياة العربية والدولية ، بيروت ، دار النهار ١٩٦٩ ، ص١٤٥ .
٤٦ـ الخطيب ، محمد بدر الدين : الشهيد الجليل والعالم الكبير فضيلة الشيخ عز الدين القسام ، جريدة الجامعة العربية ، القدس ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، العدد ١٧١٥ .
٤٧ـ خلف ، مدرسة جامع الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٩ .
٤٨ـ الكرمي ، عبد الغني ، مصدر سبق ذكره .
٤٩ـ ابو خليل ، شوقي : الاسلام وحركات التحرر العربية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠ ص١٨٢،١٨٣ .
٥٠ـ الارشيف الصهيوني ـ القدس ، ملف (س ٢٥ ،٤١٢٧) ، اخبار الدائرة العربية ، من ش.ز ٣٥/٢/١٣ .
٥١ـ المصدر نفسه .
٥٢ـ قاسم ، د. عبد الستار : الشيخ المجاهد عز الدين القسام ، دار الامة ، بيروت ، ايلول ١٩٨٤ ، ص٣١ـ٣٢ .
٥٣ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٩ .
٥٤ـ المصدر نفسه .
٥٥ـ المجذوب ، محمد : جريدة الجامعة العربية ، مصدر سبق ذكره .
٥٦ـ ياسين ، صبحي : مصدر سبق ذكره ، ص٣١
٥٧ـ خلف ، مدرسة الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٤ .
٥٨ـ جريدة الدفاع ـ يافا ، مقالة جمعية الشبان المسيحية بقلم حسان بن يعرب ، ٢٥ شوال ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٦/١/٢٠ العدد ٥١٠

٥٩ـ الجامعة الاسلامية ـ يافا ، ١٩٣٦/١٢/٨ .
٦٠ـ المصدر نفسه ، ١٩٣٦/١٢/٤
٦١ـ جريدة الدفاع ـ يافا ، ١٩٣٦/١/٢٠
٦٢ـ المصدر السابق ١٩٣٦/١/٢١
٦٣ـ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٤
٦٤ـ جريدة الدفاع ، مقال «يوم عظيم للشهداء الكرام في حيفا» بقلم عجاج نويهض ، العدد ٤٩٧ ، ١٠ شوال ١٣٥٤ ، ١٩٣٦/١/٥ ، ص١ .

٦٥ــخلف ، مدرسة الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٦ .

٦٦ــالمصدر السابق ، ص٩٧

٦٧ــالارشيف الصهيوني ــالقدس ، ملف (س ٢٥/٤٢٢٤) احداث تشرين الثاني في البلاد ــا. كوهين ، بالعبرية .

٦٨ــجريدة الجامعة العربية ــالقدس : القدس ٨٦٩ ، ١٩٣٢/٧/٢١ ، ١٧ ربيع الاول ١٣٥١هــ، السنة السادسة ، تفاصيل جلسات مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين الرابع بعكا . ، وعدد ٨٧٠ ١٩٣٢/٧/٢٢ .

٦٩ــ بوراث ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣٤

٧٠ــجريدة اليرموك ــحيفا ، ١٩٢٥/٦/٦ .

٧١ــالشايب ، يوسف سالم : مقابلة شخصية اجريت معه في عصيرة الشمالية / نابلس بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٤ .

٧٢ــالخطيب ، محمد بدر الدين : الشهيد الجليل والعالم الكبير فضيلة الشيخ عز الدين القسام ، جريدة الجامعة العربية ، الجمعة ٣ رمضان ١٣٥٤هــ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، العدد ١٧١٥ .

٧٣ــياسين ، الثورة العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠

٧٤ــارشيف قسم احياء التراث الاسلامي ، ملف مانونو حيفا ٩٥/١٠/٤ و ٥/٣٠/٣ .

٧٥ــخلف ، مدرسة الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٠

٧٦ــجرادات ، محمد : البعد الاجتماعي لثورة ٣٦ــ٣٩ في سيلة الحارثية قضاء جنين ، بحث غير منشور .

٧٧ــخلف ، مصدر سابق ، ص٩٢

٧٨ــالارشيف الصهيوني ، تقارير من حيفا ، ملف رقم (س ٢٥/٤١٢٧) ، ١٩٣٥/١/٢٤.

٧٩ــمقابلات مع عدد من شيوخ يعبد بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢ ، منهم الحاج لطفي طه ، علي ابو صريصر ، وابراهيم حسين الخضر .

٨٠ــياسين ، صبحي : مصدر سبق ذكره ، ص٣١

٨١ــخليل ، ابراهيم الشيخ : مصدر سبق ذكره ، ص٢٦٨

٨٢ــجرادات ، حسين درويش : مصدر سبق ذكره .

٨٣ــجريدة فلسطين ــيافا ، العدد ٢٢٥ ــ٣١٠٩ ، ١٩٣٥/١١/٢٢ .

٨٤ــخلف ، مدرسة الاستقلال ، مصدر سابق ، ص٩٠

٨٥ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س ٢٥/١٠٤٩٩) رسالة من تسفي شابيرا الى المحامي شوهم فنكلشتاين ، ١٩٣٦/١٠/٢٨ ، بالعبرية .

٨٦ــخلف ، مصدر سبق ذكره ، نقلا عن لسان حسن شبلاق عضو الهيئة المسؤولة عن الحجارة .

٨٧ــسعيد ، امين : ماذا في فلسطين ، مقال منشور في مجلة الرابطة العربية ، القاهرة ، العدد ٩٦ ، ١٩٣٨/٤/٢٠ ، ص١٤ .

٨٨ــالاحمد ، سامي : مقابلة شخصية اجريت معه في جنين بتاريخ ١٩٨٥/٤/٩ ، وهو من معاصري القسام ومن المشاركين في ثورة ٣٦ــ٣٩ .

واكد هذه الحقيقة الدكتور عبد الستار قاسم نقلا عن احمد السعدي ابن عمومة فرحان وفريدة ابنة الشيخ فرحان . انظر كتاب عبد الستار ص٥٥ .

٨٩ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س ٢٥/٤٢٢٤) احداث تشرين الثاني في البلاد ، مصدر سبق ذكره .

٩٠ــقاسم ، د. عبد الستار : مصدر سبق ذكره ص٥٥ .

٩١ــجريدة فلسطين ــيافا ١٩٣٥/١١/٢٣ ، وذكرت الجريدة ان اسمه حسين الباير ، والصحيح حسن .

٩٢ــخلف ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٢ .

٩٣ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س ٢٥/٤٢٢٤) ، احداث تشرين الثاني ، مصدر سبق ذكره .

٩٤ــالمصدر السابق .

٩٥ــالمصدر السابق .

٩٦ــخلة ، د. كامل : مصدر سبق ذكره ، ص٣٧٨ .

٩٧ــالمصدر السابق .

٩٨ــالمصدر السابق .

٩٩ــالمصدر السابق .

١٠٠ــالحوت ، بيان : مصدر سبق ذكره ، ص٣٢٣ .

١٠١ــالهندي ، سعيد يوسف الهندي ، مقابلة اجريت معه في مدينة غزة بتاريخ ١٥/٤/١٩٨٥ .

١٠٢ــخلف ، مصدر سبق ذكره ص٩٢ ، عن عبد المالك مصطفى القسام .

١٠٣ــاحداث تشرين الثاني ملف (س ٢٥/٤٢٢٤) ، مصدر سبق ذكره

١٠٤ــالشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٥

١٠٥ــخلة ، كامل : مصدر سبق ذكره ص٣٧٦ عن الثورة الفلسطينية ع١٩ ــ١٥/٩/١٩٦٩ ، ص ٢٤ــ٢٩ .

١٠٦ــالحوت ، بيان نو يهض : مصدر سبق ذكره ، ص٢١٩ .

١٠٧ــالمصدر السابق ، ص٢٢٢ .

١٠٨ــحجازي ، عرفات : فلسطين ــ ارض البطولات ، دون دار نشر ، دون تاريخ ، ص٥٤ .

١٠٩ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٧٦ ، عن الثورة الفلسطينية العدد ١٩ .

١١٠ــياسين ، صبحي : مصدر سبق ذكره ، ص٣٣ــ٣٤ .

١١١ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س٢٥ ــ٤٢٢٤) ، مصدر سبق ذكره .

١١٢ــالخطيب ، نمر : احداث النكبة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧

١١٣ــخلف ، حسين : مصدر سبق ذكره ، ص٩٣ .

١١٤ــالمصدر نفسه

١١٥ــالمصدر السابق ، ص٩٧

١١٦ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س٢٥ ــ٣٥٥٨) ، تقرير من حيفا ، ٣/٥/١٩٣٢ .

١١٧ــارشيف الدولة ــالقدس ، (القتل في ياجور ، ملف (733/224) ، ١٩٣٢ .

١١٨ــاشار لحادثة الياجور ، عجاج نو يهض في رجال من فلسطين ص١١٣ . و يهوشع بورات في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩ــ١٩٣٩ ، ص١٣٤ .

١١٩ــبورات ، يهوشع : مصدر سبق ذكره ، ص١٣٤ ، وهو يعتقد ان القسام لم يكن رئيسا عن المنظمة العسكرية السرية في هذه الفترة ، وهذا الرأي لا يؤيده اي مصدر تاريخي موثوق ، وليس له اي اساس .

ايضا حول الحادث انظر ملف (س٢٥/٤٢٢٤) في الارشيف الصهيوني) وهذا المصدر لم يذكر سوى تاريخ الحادثة واسم اليهودي الجريح .

كذلك ذكر صبحي ياسين : الثورة العربية ، ص٣٨ ، عن ان فرقة صفورية القسامية كانت تطلق النار على من تجد من اليهود في مستوطنات مرج ابن عامر (نهلال اكبرها) ، والحادثة هذه تتوافق مع ما ذكره ياسين ، اذ انه يحدد هذاالنشاط في عام ٩٣٢ قبل الحادثة الثانية في نهلال ، دون ان يوفق من ذكر تفاصيل محددة .

١٢٠ــحول بلفوريا وكفار هاسيديم انظر هامش(١١٩) ، المصدر ان الاول والثاني رسالة من تسفي شابيرا الى فنكلشتيان وانظر ملف (س ٢٥ / ١٠٤٤٩)

١٢١ــالارشيف الصهيوني ، ملف (س٢٥/٤٢٢٤) مصدر سبق ذكره . وهذا المصدر لا يذكر ان القساميين هم منفذو العملية ، ولكن هذا الامر ثبت لاحقا بعد ان وجد انفراد عصبة القسام بالاعمال المسلحة ضد المستوطنات اليهودية في شمال فلسطين .

١٢٢ــالحوت ، مصدر سابق ، ص٣٢٥ .

١٢٣ــياسين ، الثورة العربية ، ص٣٧ ــ٣٨

١٢٤ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧٨

١٢٥ــالحوت ، ص ٣٢٤ ، عن جريدة الجامعة العربية ٢٩/١٢/١٩٣٢

١٢٦ــخلة ، ص ٣٧٨

١٢٧ــالمصدر السابق ص ٣٧٨ــ٣٧٩

١٢٨ــالارشيف الصهيوني ، رسالة تسفي شابيرا الى فنكلشتاين ، مصدر سبق ذكره .

١٢٩ــصحيفة دافار ، ملحق المساء ٢١/١١/١٩٣٥ . اعادت نشر التفاصيل عن التحقيقات بعد استشهاد القسام ، وذكرت انه كان من بين المتهمين بتدبير القتل .

١٣٠ــ هامش (١٢٨) ، ايضا د. خلة : ص ٢٧٩ . وهو يخطيء بذكر ان الغلاييني حكم عشر سنوات .
١٣١ــ صحيفة دافار ، ملحق المساء ١٩٣٥/١١/٢١
١٣٢ــ المصدر نفسه
١٣٣ــ المصدر نفسه
١٣٤ــ الارشيف الصهيوني ، احداث تشرين الثاني ، مصدر سبق ذكره
١٣٥ــ الشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٤
١٣٦ــ خلف : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩
١٣٧ــ الارشيف الصهيوني ، ملف (س ٤١٢٧/٢٥) ، تقارير من حيفا ، ١٩٣٥/٢/١٤
١٣٨ــ ياسين ، صبحي : استراتيجية العمل لتحرير فلسطين ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٥ .
١٣٩ــ المصدر نفسه ، ص ٧٧ــ٧٨ .
١٤٠ــ ياسين ، صبحي : الثورة العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢ . و يقول انه استمد هذه المعلومة من اخوان الشهيد القسام .
١٤١ــ جونسون ، نلس : الاسلام والسياسة في الحركة الوطنية الفلسطينية «بالانجليزية» ، كيغان بول انترناشيونال ، لندن ١٩٨٢ ، ص ٣١
١٤٢ــ ابو النصر : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٠ .
١٤٣ــ جرادات ، حسين : مصدر سبق ذكره .
١٤٤ــ الارشيف الصهيوني ، «ملف س ٤٢٢٤/٢٥» احداث تشرين الثاني .
١٤٥ــ المصدر نفسه
١٤٦ــ الشايب : مصدر سبق ذكره
١٤٧ــ هامش «١٤٤»
١٤٨ــ خلف : مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢
١٤٩ــ الشايب : مصدر سبق ذكره
١٥٠ــ العابور ، حسن ابو صالح : مقابلة شخصية اجريت معه في منزله بقرية بيتونيا قضاء رام الله ، بتاريخ ١٩٨٥/٣/١٧ وهو من مواليد ١٩١٥ ، وعمل في البوليس العربي من ١٩٣٥ الى ١٩٤٨ .
١٥١ــ هذه المعلومات ذكرها لي السيد عصام العباسي ، احد ابناء مدينة حيفا .
١٥٢ــ مجلة الرابطة العربية ، العدد ١٢ ، ١٩٣٦/٨/١٢ ، مقال : رحلة الى فلسطين ولقاء مع الشهيد القسام ، ص ١٦ . المقال لمحمد صبيح .
١٥٣ــ جريدة الجامعة الاسلامية ، العدد ٩٩٥ ، ١٩٣٥/١١/٢٢ .
١٥٤ــ جريدة الجامعة الاسلامية ، ١٩٣٥/١١/٢٦
١٥٥ــ الارشيف الصهيوني ، ملف «س ٤٢٢٤/٢٥» ، مصدر سبق ذكره .
١٥٦ــ حجازي ، عرفات : مصدر سبق ذكره ، ص ٥١
١٥٧ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢
١٥٨ــ الشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩
١٥٩ــ الرابطة العربية ، العدد ٢٤ ، ١٩٣٦/١١/٤ ، ص ٢٢
١٦٠ــ جريدة فلسطين ، ١٩٣٥/١١/٢٢ ، ص ١
١٦١ــ خلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١
١٦٢ــ الارشيف الصهيوني ، «ملف س ٤٢٢٤/٢٥» ، وعجاج نو يهض في رجال من فلسطين ، ص ١٠٨ .
١٦٣ــ شؤون فلسطينية العدد ٧ ، ص ٢٦٧
١٦٤ــ مجلة الرابطة العربية ، العدد ٩٦ ، ١٩٣٨/٤/٢٠ ص ١٤ ــ ١٥
١٦٥ــ الحوت ، بيان : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٢
١٦٦ــ جريدة اليرموك ، حيفا ، العدد ٦٤ ، ص ٢
١٦٧ــ المصدر نفسه ص ١

١٦٨ــجريدة الكرمل ، حيفا ، ١٩٢٥/٦/٦ ، ص ٢
١٦٩ــالقصاب ، محمد كامل والقسام ، محمد عز الدين : النقد والبيان ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٢٥م . ص ٢ــ٣
١٧٠ــالمصدر نفسه
١٧١ــالمصدر السابق ص ١٠
١٧٢ــخلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١
١٧٣ــجريدة الجامعة العربية ١٩٣٥/١٢/٢٠ ، الشيخ عز الدين القسام ، بقلم محمد المجذوب .
١٧٤ــالحوت ، بيان : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢
١٧٥ــانظر هامش ١٧٣
١٧٦ــقاسم ، د. عبد الستار : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧.
١٧٧ــخلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ عن صحيفة الكرمل الجديد ١٩٣٥/١١/٣٠
١٧٨ــنو يهض ، عجاج : رجال من فلسطين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٧
١٧٩ــالشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٨
١٨٠ــالارشيف الصهيوني : ملف «س ٤١٢٧/٢٥» ــاخبار الدائرة العربية ، تقارير من حيفا ١٩٣٥/١/١٩
١٨١ــالمصدر السابق ، ١٩٣٥/١/٢٥
١٨٢ــمجلة الرابطة العربية ، العدد ١٧ ، ١٦/سبتمبر ١٩٣٦
١٨٣ــهامش ١٨٠ ، ١٩٣٥/١/٢٦
١٨٤ــالارشيف الصهيوني : احداث تشرين الثاني ، مصدر سبق ذكره
١٨٥ــنو يهض ، رجال من فلسطين ، ص ٢٢٨ــ٢٣٦
١٨٦ــجريدة الدفاع ، القدس ، العدد ٤٩٧ ، ١٩٣٥/١/٥ ــ ١٠ شوال ١٣٥٤
١٨٧ــالشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩
١٨٨ــالبدوي ، عربي : مقابلة شخصية اجريت معه في منزله بقرية قبلان قضاء نابلس بتاريخ ١٩٨٤/٤/١
١٨٩ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧٢ــ٣٧٣
١٩٠ــالمصدر السابق ، ص ٣٧٣ .
١٩١ــزعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ــيوميات اكرم زعيتر ١٩٣٥ــ١٩٣٩ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٧ . سيشار لهذا المرجع لاحقا باليوميات .
١٩٢ــانظر هامش ١٨٤
١٩٣ــجريدة الاهرام ــالقاهرة ، ١٩٣٥/١١/٢٣
١٩٤ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٠ــ٣٨١ ، عن الثورة الفلسطينية ع ١٩ ص ٢٧ــ٢٨ .
١٩٥ــهامش «١٨٤» .
١٩٦ــالرابطة العربية ، مقال بقلم عبد الله مخلص : الشيخ القسام وصحبه ــمصري يبذل دمه وماله في سبيل فلسطين ، العدد ٢٤ ، ١٩٣٦/١١/٤
١٩٧ــالبدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره .
١٩٨ــجريدة الجامعة العربية : ٨ شوال ١٣٥٤ ، الجمعة ٣ كانون الثاني ١٩٣٦ ، بيان من اللجنة الفرعية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني بحيفا . ص ٤
١٩٩ــالرابطة العربية ، العدد ١٧ ، ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ . ص ٢٤
٢٠٠ــالشايب ، يوسف سالم : مصدر سبق ذكره .
٢٠١ــانظر هامش ١٩٩
٢٠٢ــنو يهض : رجال من فلسطين ، ص ١١٤
٢٠٣ــصبحي : الثورة العربية ، ص ٣٧ ، وحجازي : فلسطين ارض البطولات ، ص ٥٧
٢٠٤ــالارشيف الصهيوني ملف «س ٤٢٢٤/٢٥»
٢٠٥ــالرابطة العربية ، العدد ١٧ ، ص ٢٤
٢٠٦ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨١

٢٠٧ـ جريدة الجامعة الاسلامية ، يافا ، ١٩٣٥/١١/٢١

٢٠٨ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره .

٢٠٩ـ ياسين ، صبحي : استراتيجية العمل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢

٢١٠ـ خلة ، مصدر سبق ذكره ، ٢٨٣

٢١١ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره

٢١٢ـ الاحمد ، سامي : مصدر سبق ذكره . و ينبغي ان نذكر هنا ان رواية الاحمد هذه لم تؤيدها اي مصادر اخرى لا مدونة ولا شفوية ، لذا فهي غير ثابتة بشكل قاطع .

٢١٣ـ ملف «س ٤٢٢٤/٢٥» من الارشيف الصهيوني : مصدر سبق ذكره

٢١٤ـ من شابيرا الى فنكلشتاين ، ملف س ١٠٤٩٩/٢٥ . سبق ذكره .

٢١٥ـ د. خلة : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٢ ، عن الثورة الفلسطينية ص ٢٨ ع ١٩ .

٢١٦ـ العابور ، حسن ابو صالح : مصدر سبق ذكره .

٢١٧ـ جريدة فلسطين ـ يافا ، ١٩٣٥/١١/٢١

٢١٨ـ المصدر السابق ، ١٩٣٥/١١/١٣ . ص ٦

٢١٩ـ المصدر السابق ، ١٩٣٥/١١/١٩ . ص ٥

٢٢٠ـ الارشيف الصهيوني : احداث تشرين الثاني «ملف س ٤٢٢٤/٢٥»

٢٢١ـ المصدر نفسه

٢٢٢ـ المصدر نفسه

٢٢٣ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره

٢٢٤ـ جريدة فلسطين ـ يافا ، ١٩٣٥/١١/١٩ . ص ٥

٢٢٥ـ المصدر نفسه .

٢٢٦ـ الارشيف الصهيوني : س ٤٢٢٤/٢٥ ، مصدر سبق ذكره .

٢٢٧ـ المصدر نفسه .

٢٢٨ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره

٢٢٩ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٠ .

٢٣٠ـ المصدر نفسه

٢٣١ـ المصدر نفسه

٢٣٢ـ الارشيف الصهيوني : ملف س ٤٢٢٤/٢٥ مصدر سبق ذكره .

٢٣٣ـ المصدر نفسه .

٢٣٤ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢

٢٣٥ـ صحيفة البالستاين بوست «بالانجليزية» العدد ٢٨٩١ ، ١٩٣٥/١١/٢١

٢٣٦ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .

٢٣٧ـ جريدة فلسطين ـ يافا : ١٩٣٥/١١/٢٠

٢٣٨ـ هامش ٢٣٦

٢٣٩ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٦

٢٤٠ـ جريدة الجامعة العربية ـ القدس : ٣ كانون الاول ١٩٣٥ ، العدد ١٧١٦

٢٤١ـ احداث تشرين الثاني

٢٤٢ـ من شابيرا الى فنكلشتاين ، مصدر سبق ذكره

٢٤٣ـ المصدر نفسه

٢٤٤ـ احداث تشرين الثاني ، ايضا جريدة دافار اليهودية ١٩٣٥/١١/٢١ ، ص ١

٢٤٥ـ المصدر السابق .

٢٤٦ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره

٢٤٧ـ جريدة فلسطين ـ يافا : ١٩٣٥/١١/٢١

٢٤٨ـ المصدر نفسه

٢٤٩ـ احداث تشرين الثاني «الارشيف الصهيوني ، ملف س ٤٢٢٤/٢٥» .

٢٥٠ـ زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ـ١٩٣٩ ـ يوميات اكرم زعيتر ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨

٢٥١ـ جريدة البالستاين بوست «بالانجليزية» : العدد ٢٨٩٣ ، ١٩٣٥/١١/٢٤

٢٥٢ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكره .

٢٥٣ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٦ ، ص٥ كيف قتل شهيد قرية يعبد

٢٥٤ـ النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، نابلس ، ١٩٧٥ ، ج٣ ، ص٢١٥ .

٢٥٥ـ الاحمد . سامي : مصدر سبق ذكره

٢٥٦ـ النمر ، احسان : مصدر سبق ذكره ، ص٢٣٦

٢٥٧ـ الاحمد ، سامي

٢٥٨ـ جريدة دافار ، ملحق المساء : ١٩٣٥/١١/٢١

٢٥٩ـ جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢١

٢٦٠ـ من شابيرا الى فنكلشتاين : مصدر سبق ذكره

٢٦١ـ المصدر نفسه

٢٦٢ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره . ايضا الرابطة العربية ، العدد ١٧ ، ١٩٣٦/٩/١٦ ، ص ٢٤

٢٦٣ـ عبد الله مخلص في الرابطة العربية ، عدد ٢٤ ، ١٩٣٦/١١/٤ ، ص ٢٢ .

٢٦٤ـ جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٣

٢٦٥ـ بوراث ، يهوشع : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ .

٢٦٦ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢١

٢٦٧ـ جريدة الجامعة الاسلامية ، العدد «١٠٠٠» ، ٣ رمضان ١٣٥٤ ، ١٩٣٥/١١/٢٩

٢٦٨ـ المصدر السابق ، ١٩٣٥/١١/٢٨ . ص ٥ لوحة الله .

٢٦٩ـ المصدر نفسه .

٢٧٠ـ الرابطة العربية ، العدد ٢٤ ، ١٩٣٦/١١/٤ ، ص ٢٢

٢٧١ـ ابو النصر ، عمر : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٤ـ٢٧٥

٢٧٢ـ امين سعيد في الرابطة العربية ، الجزء ٩٦ ، ١٩٣٨/٤/٢٠ . ص ١٤

٢٧٣ـ العابور ، حسن : مصدر سبق ذكره .

٢٧٤ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره

٢٧٥ـ زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨

٢٧٦ـ المصدر السابق ص ٢٩

٢٧٧ـ مجلة شؤون عربية : مقابلة مع اكرم زعيتر ـ اجراها عبد القادر ياسين ، العدد العاشر ، كانون الاول ١٩٨١ ، ص ٢١٧ـ٢١٩

٢٧٨ـ زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية «اليوميات» ، ص ٢٩ .

٢٧٩ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره

٢٨٠ـ المصدر نفسه

٢٨١ـ جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٢ ، ص ٥

٢٨٢ـ زعيتر ، الحركة الوطنية «اليوميات» ، ص ٣١

٢٨٣ـ المصدر السابق ص ٣٢

٢٨٤ـ جريدة دافار : ملحق المساء ١٩٣٥/١١/٢١

٢٨٥ـ جريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٧ . هل من شهيد جديد بقلم اكرم زعيتر . ص ٤ .

٢٨٦ـ زعيتر ، اليوميات ، ص ٣٢

٢٨٧ــالمصدر نفسه
٢٨٨ــالبالستاين بوست : العدد ٢٨٩٣ ، ١٩٣٥/١١/٢٤
٢٨٩ــالمصدر نفسه
٢٩٠ــالمصدر السابق : ١٩٣٥/١١/٢٥ ، العدد ٢٨٩٤
٢٩١ــجريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٢ . رسالة جنين .
٢٩٢ــجريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٧
٢٩٣ــالمصدر السابق . ١٩٣٥/١١/٢٢
٢٩٤ــفلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٣
٢٩٥ــالجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٢
٢٩٦ــالمصدر نفسه
٢٩٧ــفلسطين ١٩٣٥/١١/٢٧
٢٩٨ــالاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٢
٢٩٩ــالمصدر نفسه
٣٠٠ــالمصدر السابق ١٩٣٥/١١/٢٤
٣٠١ــالمصدر نفسه
٣٠٢ــفلسطين ١٩٣٥/١١/٢٦
٣٠٣ــالاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٤
٣٠٤ــالمصدر السابق ١٩٣٥/١١/٢٧
٣٠٥ــالمصدر السابق ١٩٣٥/١٢/١
٣٠٦ــالمصدر نفسه .
٣٠٧ــفلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٦ . ص٥
٣٠٨ــالاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٤
٣٠٩ــالاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٥
٣١٠ــالاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٦
٣١١ــفلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٣
٣١٢ــالاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٤
٣١٣ــفلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٣
٣١٤ــالاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٤
٣١٥ــبالامكان متابعة عملية جمع التبرعات من خلال مراجعة صحف الدفاع ، الجامعة الاسلامية وفلسطين حتى اواخر تشرين الثاني ١٩٣٥ وحتى منتصف شباط١٩٣٦
٣١٦ــجريدة الدفاع : ١٠ ذي القعدة ١٣٥٤هــ، ١٩٣٦/٢/٣ . ص ٥
٣١٧ــجريدة فلسطين : ١٩٣٥/١٢/١٢
٣١٨ــجريدة الجامعة العربية ١٩٣٥/١٢/٢٤ العدد ١٧٢٢ . ص ٣
٣١٩ــالدفاع : ٦ شوال ، ١٩٣٦/١/١ العدد ٤٩٤ . ص ١
٣٢٠ــجريدة فلسطين ١٩٣٥/١٢/٢٩ ص ٢
٣٢١ــزعيتر ، اليوميات ، ص ٣٨،٣٧،٣٦ .
٣٢٣ــالمصدر السابق ، ص ٨٦ .
٣٢٤ــجريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٢
٣٢٥ــجريدة فلسطين ١٩٣٥/١٢/٢٦
٣٢٦ــالجامعة الاسلامية : ١٩٣٦/١/١
٣٢٧ــالمصدر نفسه

٣٢٨ــ جريدة الجامعة العربية العدد ١٧١٧ ، ١٩٣٥/١١/٦
٣٢٩ــ جريدة الدفاع : ١٩٣٦/١/١
٣٣٠ــ الجامعة الاسلامية : ١٩٣٦/١/١
٣٣١ــ جريدة الدفاع : ١١ شوال ١٣٥٤هــ ، ١٩٣٦/١/٦ العدد ٤٩٨
٣٣٢ــ المصدر نفسه
٣٣٣ــ المصدر نفسه
٣٣٤ــ المصدر نفسه
٣٣٥ــ المصدر نفسه
٣٣٦ــ المصدر نفسه
٣٣٧ــ المصدر نفسه
٣٣٨ــ زعيتر : اليوميات ، ص ٤٢
٣٣٩ــ المصدر نفسه
٣٤٠ــ جريدة الجامعة العربية : ١٢ شوال ١٣٥٤ ، ١٩٣٦/١/٧ ، العدد ١٧٢٥ .
٣٤١ــ جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٤ ، ٢٨ شعبان ١٣٥٤هــ
٣٤٢ــ جريدة البالستاين بوست : ١٩٣٥/١١/٢٤ . العدد ٢٨٩٣
٣٤٣ــ من ذلك . تعليق الصحف اليهودية على مقال افتتاحي نشرة عبد الغني الكرمي في صحيفة فلسطين ، وقد نشرت فلسطين في ١١/٣٠ خبر ترجمة الصحف اليهودية لمقال الكرمي وتعليقها عليه بلهجة وقحة .
٣٤٤ــ الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١٢/١ ، ٥ رمضان ١٣٥٤هــ
٣٤٥ــ نقلته عنها جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١٢/١
٣٤٦ــ المصدر نفسه
٣٤٧ــ الاسلامية ١٥ رمضان ١٣٥٤ ، ١٩٣٥/١٢/١١ ، ص ٦
٣٤٨ــ نقلته عنها دافار في ملحق المساء ١٩٣٥/١١/٢٤
٣٤٩ــ الاسلامية : ٣ رمضان ١١/٢٩
٣٥٠ــ الدفاع : العدد ٥٠٥ ، ١٩ شوال ، ١٩٣٦/١/١٤
٣٥١ــ الدفاع : ١٩٣٦/١/١٢
٣٥٢ــ عن العلاقة انظر احداث تشرين الثاني ، وعن المنظمة واعضائها انظر جريدة فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٠
٣٥٣ــ من شابيرا الى فنكلشتاين : مصدر سبق ذكره
٣٥٤ــ ياسين : الثورة العربية ، ص ٣٤
٣٥٥ــ د. خلة : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٣
٣٥٦ــ زعيتر : اليوميات ، ص ٢٨٧ــ٢٨٨
٣٥٧ــ دافار : ١٩٣٥/١١/٢٧ ، ص ٢

الفصل الثالث

١ ــ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره
٢ ــ جريدة فلسطين ــ يافا : ١٩٣٥/١١/٢٣ . ص ٥
٣ ــ جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٢ . ص ٥
٤ ــ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٢
٥ ــ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١١/٢٣
٦ ــ جريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٥/١١/٢٦
٧ ــ جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٧

٨ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره
٩ ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١٢/٥
١٠ ـ جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١٢/١
١١ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره
١٢ ـ جريدة الدفاع : العدد ٥٠٠ ، ١٣ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٩٣٦/١/٨
١٣ ـ المصدر نفسه
١٤ ـ المصدر السابق ١٩٣٦/١/١٠
١٥ ـ جريدة فلسطين : ١٩٣٥/١٢/٧
١٦ ـ المصدر السابق : ١٩٣٥/١١/٢٦
١٧ ـ المصدر السابق : ١٩٣٥/١١/٢٨ . نقلا عن جريدة هابوكر اليهودية . ولم يذكر اسم الشخص
١٨ ـ المصدر السابق : ١٩٣٥/١١/٣٠
١٩ ـ جريدة الدفاع : ١٩٣٦/١/١٤
٢٠ ـ المصدر نفسه
٢١ ـ فلسطين ١٩٣٥/١١/٢٩
٢٢ ـ الاسلامية : ١٩٣٥/١٢/٥
٢٣ ـ المصدر السابق : ١٩٣٥/١٢/٩
٢٤ ـ فلسطين ١٩٣٥/١٢/١٣ ، نقلا عن دافار
٢٥ ـ المصدر السابق ١٩٣٥/١٢/١٢
٢٦ ـ دروزة : عزة : القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، دون تاريخ ، ج ١ ، ص ١٢١ .
٢٧ ـ ابو النصر ، عمر : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧١
٢٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤
٢٩ ـ انظر هامش «١٨٣» من الفصل الثاني ، ايضا صبحي ياسين : الثورة العربية ، ص ٦٧
٣٠ ـ بوراث ، يهوشع : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ، عن «تقرير عن ابو ابراهيم الكبير ، ١٩٣٨/١٢/٢ ، ارشيف الهاجاناه ، ملف المخابرات رقم ٢/٨ .
٣١ ـ جريدة الدفاع : ٢٥ محرم ١٣٥٥هـ ، ١٧ نيسان ١٩٣٦ ، العدد ٥٨١ ، ص ٦
٣٢ ـ زعيتر ، اكرم : اليوميات ، ص ٥٥ ـ ٥٦
٣٣ ـ الدفاع : ١٧ نيسان ١٩٣٦
٣٤ ـ الدفاع : ١٩٣٦/٤/١٨
٣٥ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ٣٠
٣٦ ـ زعيتر ، اليوميات ، ص ٥٦
٣٧ ـ جريدة الدفاع : ١٩٣٦/٤/١٧
٣٨ ـ زعيتر ، اليوميات ص ٥٥ ، ٥٦
٣٩ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ٦٧ ـ ٦٨
٤٠ ـ المصدر نفسه
٤١ ـ المصدر السابق ص ٧٢
٤٢ ـ مجلة الهلال ـ القاهرة : العدد السادس ، حزيران «يونيه» ١٩٨٥ ص ٤٧
٤٣ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .
٤٤ ـ هذا ما تذكره المصادر العربية مثل الطاهر ، محمد علي : اوراق مجموعة ـ كتاب احمر عن فظائع الانجليز في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب ـ مكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي بمصر ، دون تاريخ . ص٣٥٤ . ونشرة فلسطين الصادرة عن الهيئة العربية العليا ـ العدد السابع ، بيروت ، ٢١ ربيع الاول ١٣٨١هـ ، اول ايلول «سبتمبر» ١٩٦١م ، ص ١٥ ، اما المصادر اليهودية فتقول انه ولد عام ١٨٨٥ . «انظر احداث تشرين الثاني ـ ملف س ٤٢٢٤/٢٥» الارشيف الصهيوني .

٤٥ـ نشرة فلسطين العدد السابع ، ص ١٥ .

٤٦ـ راجع الهامش (٨٩) من الفصل الثاني .

٤٧ـ نشرة فلسطين ، العدد السابع ، ايلول ١٩٦١ ، ص ١٥

٤٨ـ الارشيف الصهيوني : ملف «س ١٠٤٩٩/٢٥» ، معلومات عن العصابات في البلاد ونشاطاتها رقم ٢ ، دون تاريخ . باللغة الانجليزية .

٤٩ـ المصدر نفسه

٥٠ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ١٣٠ـ١٣١

٥١ـ السفري ، عيسى : مصدر سبق ذكره ، الكتاب الثاني ص ١٧٠

٥٢ـ وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ـ من اوراق اكرم زعيتر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥٩

٥٣ـ خلف : مدرسة الاستقلال ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩

٥٤ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٢٢٦

٥٥ـ السفري : مصدر سبق ذكره ، الكتاب الثاني ص ٧١

٥٦ـ ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧١ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ . وصبحي ياسين : الثورة العربية ص ١٢١

٥٧ـ الحوت ، بيان نو يهض : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧٥ـ٣٧٦

٥٨ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٣٣٩

٥٩ـ بوراث يهوشع : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٧ . بناء على تقارير ووثائق بريطانية ، وعلى تقرير من حيفا للوكالة اليهودية ٣٧/١١/٢٥ من وثائق الارشيف الصهيوني «س ٣٢٩٢/٢٥» .

٦٠ـ زعيتر ، اليوميات ، ص ٣٣٩

٦١ـ المصدر السابق ، ص ٣٤٠

٦٢ـ حول المحكمة انظر : زعيتر : اليوميات ، ص ٣٤٠ ، الطاهر ، محمد علي : اوراق مجموعة ، ص ٣٥٤ ، والحوت ، بيان نو يهض : القيادات والمؤسسات ، ص ٣٧٧

٦٣ـ المصدر نفسه مع شذوذ الحوت عن التاريخ الصحيح .

٦٤ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٣٤٠ـ٣٤١

٦٥ـ المصدر السابق ، ص ٣٤٠

٦٦ـ المصدر نفسه

٦٧ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ١٤٣ـ١٤٤ .

٦٨ـ زعيتر ، اكرم : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ـ١٩٣٩ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٠٤ . وهو يعتمد على معلومات من ابو ابراهيم الكبير ومن مشاهداته هو .

٦٩ ـ نشرة فلسطين : الهيئة العربية العليا العددان ٦٥،٦٦،تموز وآب ١٩٦٦ ص ٥٩

٧٠ ـ ياسين الثورة العربية ، ص ٧٢

٧١ ـ زعيتر: اليوميات ١ص ٣٤٠ .

٧٢ ـ المصدر السابق ص ٣٧٤

٧٣ ـ المصدر السابق : ص ٣٦٣

٧٤ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ١٠ .

٧٥ ـ حول المعركة وتفاصيلها راجع المصدر السابق ص ١٨٢ـ ١٨٣ .

٧٦ ـ ابو بصير : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٥ .

٧٧ ـ نشرة فلسطين : الهيئة العربية العليا ، العدد (٤٤)، تشرين الاول ١٩٦٤ ، ص ١٦ .

٧٨ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٤٥٢ .

٧٩ ـ كلا المصدرين السابقين .

٨٠ ـ انظر المصدر رقم (٧٧)

٨١ ـ المصدر نفسه
٨٢ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص١٦٩ .
٨٣ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٤٥٢ ،ونشرة فلسطين ، ص١٧ .
٨٤ ـ راجع كل من : زعيتر : اليوميات ص ٥١٥ ـ ٥١٦ نشرة فلسطين العدد (٤٤): ص ١٧. وصبحي ياسين (الثورة العربية): ص ١٩٤ـ ١٩٥.
٨٥ ـ الاحمد ، سامي : مصدر سبق ذكره .
٨٦ ـ انظر المصدر (٢٣)من الفصل الثالث .
٨٧ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ٦٨ .
٨٨ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٤٠٥.
٨٩ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .
٩٠ ـ جريدة فلسطين : ٢٦ /١١/١٩٣٥. ص٥ .
٩١ ـ قاسم ، د. عبد الستار : مصدر سبق ذكره ، ص٦٧ .
٩٢ ـ الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١٢/٢ ، ٦ رمضان ١٣٥٤هـ.
٩٤ ـ جريدة الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١٢/٣ ، ٧ رمضان ١٣٥٤هـ. العدد ١٠٠٣ وجريدة فلسطين ١٩٣٥/١٢/٤ .
٩٥ ـ قاسم ، د. عبد الستار : مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧ .
٩٦ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٥٠٧ .
٩٧ ـ زعيتر : وثائق الحركة الوطنية ، مصدر سبق ، ص ٤٠٤ .
٩٨ ـ ياسين : الثورة العربية : ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
٩٩ ـ المصدر السابق : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
١٠٠ ـ زعيتر : وثائق الحركة الوطنية ، ص٤٠٥ .
١٠١ ـ المصدر نفسه .
١٠٢ ـ بويصير : مصدر سبق ذكره ، ٣٨٣ .
١٠٣ ـ زعيتر : وثائق الحركة الوطنية ، ص ٤٠٥ .
١٠٤ ـ المصدر نفسه .
١٠٥ ـ المصدر نفسه .
١٠٦ ـ المصدر نفسه .
١٠٧ ـ المصدر نفسه .
١٠٨ ـ المصدر نفسه .
١٠٩ ـ المصدر نفسه .
١١٠ ـ المصدر نفسه .
١١١ ـ المصدر نفسه .
١١٢ ـ المصدر نفسه .
١١٣ ـ المصدر نفسه .
١١٤ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص١١١.
١١٥ ـ زعيتر : وثائق الحركة الوطنية ، ص ٤٠٥ .
١١٦ ـ المصدر نفسه .
١١٧ ـ المصدر نفسه .
١١٨ ـ ياسين : الثورة العربية ، ص ٨٣ .
١١٩ ـ جرادات ، حسين درويش : مصدر سبق ذكره .
١٢٠ ـ جريدة الفجر ـ القدس : ١٩٨٤/٤/١٩. ص٧ .
١٢١ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .

١٢٢ ـ جريدة الاهرام ـ القاهرة : ١٩٣٥/١١/٢٣ ص ٧.
١٢٣ ـ جريدة الدفاع ١٩٣٥/١٢/١٨ .
١٢٤ ـ البدوي ، عربي : مصدر سبق ذكرة .
١٢٥ ـ جريدة الدفاع : ١٨ شوال ١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٦/١/١٢ ، العدد ٥٠٣.
١٢٦ ـ الشقيري ، احمد : مصدر سبق ذكرة ، ص ١٤٧
١٢٧ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٢١٥ .
١٢٨ ـ الشقيري : ص ١٤٧ .
١٢٩ ـ الدفاع : ١٩٣٦/١/١٢.
١٣٠ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٢١٥ .
١٣١ ـ المصدر نفسه .
١٣٢ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .
١٣٣ ـ المصدر نفسه.
١٣٤ ـ غنيم ، عادل حسن : ثورة الشيخ عز الدين القسام ، مجلة شؤون فلسطين ، العدد السادس ، كانون الثاني ١٩٧٢ .
١٣٥ ـ ابو يصير ، صالح : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.
١٣٦ ـ شوهم شابيرا الى فنكلشتاين : مصدر سبق ذكره.
١٣٧ ـ ذاكرة مشتركة لدى فخريه خير الدين القسام ، و يوسف سالم الشايب
١٣٨ ـ المصدر نفسه .
١٣٩ ـ الحوت ، بيان نو يهض : مصدر سبق ذكره ص ٤٠٦
١٤٠ ـ زعيتر ، اليوميات ، ص ١٤٨ .
١٤١ ـ السفري ، عيسى : فلسطين العربية .
١٤٢ ـ زعيتر اليوميات ، ص ١٤٨
١٤٣ ـ ابو يصير ص٢٢٣ والسفري الكتاب الثاني ص ٨٥ وزعيتر (اليوميات) ص ٢٠٢ .
١٤٤ ـ زعيتر : اليوميات ، ص ٢٦٩ .
١٤٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .
١٤٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٢
١٤٧ ـ اسماعيل ، د. عز الدين : مصدر سبق ذكره ، ص ٩٣
١٤٨ ـ الرابطة العربية ، الجزء ٩٦ ، ١٩٣٨/٤/٢٠ ، ص ١٥
١٤٩ ـ زعيتر ، اليوميات ، ص ٢٨٧
١٥٠ ـ نفس مصدر (١٤٨)
١٥١ ـ نفس مصدر (١٤٩)
١٥٢ ـ المصدر السابق ص ٢٨٨ .
١٥٤ ـ ابو يصير : ص ٢٣٤ عن جريدة الشباب ١٩٣٧/٤/٢١.
١٥٥ ـ زعيتر ، اليوميات ص ٢٨٨ .
١٥٦ ـ احداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .
١٥٧ ـ راجع بيان تأسيس حزب الاستقلال وقانونه في وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ـ اوراق اكرم زعيتر ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١

١٥٨ ـ دروزة ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، دون تاريخ ، ج٣ ، ص ٩٨ .
١٥٩ ـ عن نشاطات الحزب انظر : شبيب ، سميح : حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ، مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص(٦٣ ـ ٨١).
١٦٠ ـ الجامعة الاسلامية : ١٩٣٥/١١/٢٢.
١٦١ ـ دروزة ، عزة : القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، دون تاريخ ، ج١ ، ص١٢٠ .

١٦٢ــالكيالي : مصدر سبق ذكره ، ص٢٩٢
١٦٣ــدو يهش : مصدر سبق ذكره ،ص ١١٨
١٦٤ــياسين : الثورة العربية ،ص ٣٤
١٦٥ــمجلة العربي ــالكويت : حول المقاومة الفلسطينة تعليق لابراهيم الشيخ خليل ، العدد ٣١٥ ، شباط ١٩٨٥م ، ص٩٥.
١٦٦ــاحداث تشرين الثاني : مصدر سبق ذكره .
١٦٧ــخلف : مدرسة الاستقلال ، ص٩٨ .
١٦٨ــمجلة شؤون فلسطينية العدد ٢٥ ايلول ١٩٧٣ ، تعقيب بقلم اميل الغوري ، ص١٦٤
١٦٩ــالمصدر السابق ، ص١٦٥.
١٧٠ــالغوري ، اميل فلسطين عبر ستين عاما ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص٢٥٠ ، والمصدر السابق ص١٦٤.
١٧١ شؤون فلسطينية العدد ٢٥ ، ص١٦٥ وفلسطين عبر ستين عاما ، ص٢٥٢
١٧٢ــالغوري : فلسطين عبر ، ص٢٤٣.
١٧٣ــالمصدر نفسه.
١٧٤ــالمصدر السابق ص٢٤٨ .
١٧٥ــالمصدر السابق ، ص٢٥٠ . ونشرة فلسطين الصادرة عن الهيئة العربية العليا ، العدد ٣ ، ١٥ آذار ١٩٦١، ص ١٠
١٧٦ــياسين : الثورة العربية ، ص٣٢.
١٧٧ــنشرة فلسطين العدد (٣)، ص١٠
١٧٨ــالمصدر نفسه.
١٧٩ــالمصدر السابق ،ص٢٥ ــ٢٦.
١٨٠ــجبارة ، د. تيسير : سماحة مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ١٩٢١ ــ١٩٣٧ ، نسخة مخطوطة موجودة في مكتبة جمعية الدراسات العربية بالقدس ، ص٢١٥. وهو يستند في هذه النقطه لاوراق عبدالله ابو مخلص المحفوظة في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية .
١٨١ــياسين : الثورة العربية ، ص ٣٢ .
١٨٢ــمن شابيرا الى فنكلشتاين : مصدر سبق ذكره .
١٨٣ــالارشيف الصهيوني ملف (س ٢٥/٣٥٥٨) تقرير من حيفا ١٩٣٢/٥/٣ .
١٨٤ــقاسم ، د. عبد الستار : مصدر سبق ذكره ،ص ٨٥ .
١٨٥ــالجامعةالاسلاميه : ١٩٣٥/١١/٢٢ .
١٨٦ــالغوري : فلسطين عبر ،ص٢٤٣
١٨٧ــالمصدر السابق ، ص ٢٥٢
١٨٨ــالمصدر السابق ، ص٢٤٩ ، ص٢٥٠
١٨٩ــالحوت ، بيان : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨٥
١٩٠ــالمصدر نفسه .
١٩١ــمجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٥ ، ص ١٦٥ .
١٩٢ــمجلة شؤون عربية ، كانون الاول ١٩٨٤ ، العدد ٤٠ : ثورة ١٩٣٦ ــ١٩٣٩ في فلسطين ، دكتور عبد القادر ياسين ، ص ٢٤٣
١٩٣ــالارشيف الصهيوني ملف «س٢٥/٦٩٦٤» تقرير من حيفا بواسطة و ج «اخبار المكتب العربي» ١٩٣٤/١١/١٤
١٩٤ــخلف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨
١٩٥ــارشيف قسم احياء التراث الاسلامي ، ملف جامع الاستقلال ٨٠/٨٧ر٣/٢٨/٥
١٩٦ــالمصدر نفسه
١٩٧ــالمصدر نفسه
١٩٨ــخلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٠

١٩٩ــ مجلة شؤون فلسطينية ، العدد السابع ص ٢٦٩
٢٠٠ــ المصدر نفسه
٢٠١ــ خلف : مدرسة الاستقلال مصدر سبق ذكره ص ١٠٠
٢٠٢ــ المصدر السابق ، ص ١٠١
٢٠٣ــ زعيتر اليوميات ، ص ٣٤١ .

المراجـــع

المراجـــــع

أ ـ كتب باللغة العربية

١ ـ ابراهيم ، نوح : قصائد فلسطين المجاهدة ، دون مكان ، دون تاريخ .

٢ ـ ابو خليل ، شوقي : الاسلام وحركات التحرر العربية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠

٣ ـ ابو النصر ، عمر : جهاد فلسطين العربية ، بيروت ١٩٣٦ .

٤ ـ ابو بصير ، صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧١ .

٥ ـ اسماعيل ، د. عز الدين وآخرون : عز الدين القسام ، دار العودة ، بيروت ، دون تاريخ .

٦ ـ البحيري ، د. صلاح الدين : ارض فلسطين والاردن ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٤ .

٧ ـ الحكيم ، يوسف : سوريا في العهد الفيصلي ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٢ .

٨ ـ الحوت ، د. بيان نو يهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٨٠ .

٩ ـ الخطيب ، نمر : أحداث النكبة أو نكبة فلسطين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ .

١٠ ـ خلة ، د. كامل محمود : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١١ ـ الدجاني ، المحامي حسن صدقي : تفصيل ظلامة فلسطين ، القدس ، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م .

١٢ ـ دروزة ، عزة : القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، دون تاريخ .

١٣ ـ الزركلي ، خير الدين : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ .

١٤ ـ زعيتر ، أكرم : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٥ ـ زعيتر ، أكرم : يوميات أكرم زعيتر ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٦ ـ سمبسون ، هوب : تقرير حول الزراعة ، الهجرة والاستيطان في فلسطين ، دار الايتام الاسلامية ، القدس ، دون تاريخ .

١٧ ـ سعيد ، أمين : ثورات العرب في القرن العشرين ، دار الهلال ، القاهرة دون تاريخ .

١٨ ـ السفري ، عيسى : رسالتي ، مكتبة فلسطين الجديدة ، يافا ، الطبعة الاول ١٩٣٧ .

١٩ ـ السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ، ١٩٣٦ .

٢٠ ـ شبيب ، سميح : حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ، مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢١ ـ الشقيري ، احمد : اربعون عاما في الحياة العربية والدولية ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢٢ ـ الطاهر ، محمد علي : اوراق مجموعة ـ كتاب احمر عن فظائع الانجليز في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب ـ مكتب الاستعلامات الفلسطيني ، القاهرة ، دون تاريخ .

٢٣ ـ عبوشي ، واصف : العربي العصري ، مكتب الابحاث ـ جامعة بير زيت ، ١٩٧٩ .

٢٤ ـ عرفات ، حجازي : فلسطين ـ ارض البطولات ، دون دار نشر ، دون تاريخ .

٢٥ ـ علوش ، ناجي : المقاومة العربية في فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٦ ـ العياشي ، غالب : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب الى الانقلاب ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ ، دمشق ، ١٩٥٤ .

٢٧ ـ الغوري ، اميل : فلسطين عبر ستين عاما ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٢٨ ـ قاسم ، د. عبد الستار : الشيخ المجاهد عز الدين القسام ، دار الامة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٩ ـ القصاب ، محمد كامل والقسام ، محمد عز الدين : النقد والبيان في دفع اوهام خزيران ، ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٢٥ .

٣٠ـ كنفاني ، غسان : ثورة ٣٦ـ٣٩ ، وكالة ابو عرفة ، القدس ، دون تاريخ .

٣١ـ الكيالي ، د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣٢ـ لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ، دون تاريخ .

٣٣ـ المصري : ابراهيم السيد عيسى : مجمع الاثار العربية ، مكتبة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦ .

٣٤ـ النحال ، د. محمد سلامة : سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ .

٣٥ـ النمر : احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، نابلس ، ١٩٧٥ ،ج٣

٣٦ـ نويهض : عجاج : رجال من فلسطين ، منشورات الارض المحتلة ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٧ـ هيكل ، يوسف : فلسطين قبل وبعد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧١

٣٨ـ هيكل ، يوسف : القضية الفلسطينية ـ تحليل ونقد ، يافا ، ١٩٣٦

٣٩ـ ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٤٠ـ ياسين ، صبحي : استراتيجية العمل لتحرير فلسطين ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ب ـ كتب باللغة الانجليزية :

1— Hirst , David :
The Gun And The Olive Branch , Faber and Faber , London .

2— Johnson , Nels : Islam and the Politics of Meaning In The Palestine Nationalism , Kegan Paul International London 1982

3. Porath , Y . : Palestinian National Movement 1929— 1939 , Frankcass , London , 1974 .

ج ـ مجلات وصحف باللغة العربية :

١ ـ مجلة شؤون فلسطينية ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، الاعداد «٦،٧،٢٥،١٢٤،١٣٦» .

٢ ـ مجلة قضايا عربية ، العدد السابع ، ألسنة السادسة ، تشرين الثاني ١٩٧٩ .

٣ ـ نشرة فلسطين الصادرة عن الهيئة العربية العليا ، بيروت الاعداد : «٣،٧،٤،٤٤،٦٥ـ٦٦» .

٤ ـ مجلة الرابطة العربية ، القاهرة . الاعداد : «١٢،١٧،٢٤،٩٦» .

٥ ـ مجلة شؤون عربية ، العدد العاشر .

٦ ـ مجلة العربي ـ الكويت ، العدد «٢١٥» .

٧ ـ جريدة الجامعة الاسلامية ـ يافا .

٨ ـ جريدة الجامعة العربية ـ القدس .

٩ ـ جريدة فلسطين ـ يافا .

١٠ـ جريدة الدفاع ـ يافا .

١١ـ جريدة اليرموك ـ حيفا .

١٢ـ جريدة الكرمل ـ حيفا .

١٣ـ جريدة الاهرام ـ القاهرة .

١٤ـ جريدة الفجر ـ القدس .

د ـ صحف ومجلات باللغة الانجليزية

1– Journal of Palestine Studies, Spring 1977.

2– The Palestine Post, Jerusalem, 1935– 1936

هـ ـ صحف باللغة العبرية

١ ـ جريدة دافار.
٢ ـ جريدة هارتس.

و ـ مراجع غير منشورة

١ ـ وثائق الارشيف الصهيوني ـ القدس
٢ ـ وثائق ارشيف الدولة ـ القدس
٣ ـ وثائق ارشيف قسم احياء التراث الاسلامي ـ القدس
٤ ـ وثائق جمعية الدراسات العربية ـ القدس
٥ ـ اطروحة الدكتوراة لتيسير جبارة : سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني، ١٩٢١ ـ ١٩٣٧م، نسخة مخطوطة موجودة في مكتبة جمعية الدراسات العربية بالقدس.
٦ ـ البعد الاجتماعي لثورة ٣٦ ـ ٣٩، بحث غير منشور، محمد جرادات ـ جامعة بير زيت.
٧ ـ مقابلات شخصية اجريت مع :
أ ـ الحاج لطفي طه ابو بكر ـ يعبد، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢
ب ـ علي ابو صريصر ـ يعبد، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢
ج ـ ابراهيم حسين خضر ـ يعبد، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٣
د ـ الحاج علي محمد خليل ـ يعبد، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٣
هـ ـ علي الحاج جابر ـ يعبد، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٤
و ـ حسين درويش جرادات ـ سيلة الحارثية، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٤
ز ـ فايز الحاج محمد ـ سيلة الحارثية، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٤
ح ـ يوسف سالم الشايب ـ عصيرة الشمالية، بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٤
ط ـ الشيخ عربي بدوي ـ قبلان، بتاريخ ١٩٨٤/٤/١
ي ـ خيرية فخر الدين القسام ـ بلعا، بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢٧
ق ـ سامي الاحمد ـ جنين، بتاريخ ١٩٨٥/٤/٩
ل ـ حسن ابو صالح العابور ـ بيتونيا، بتاريخ ١٩٨٥/٣/١٧
م ـ سعيد يوسف الهندي ـ غزة

تم بحمد الله

الاعـــــلام

« أ »

« ب »

« ت »

« ج »

« ح »

« خ »

« د »

« ذ »

« ر »

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

« ع »

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

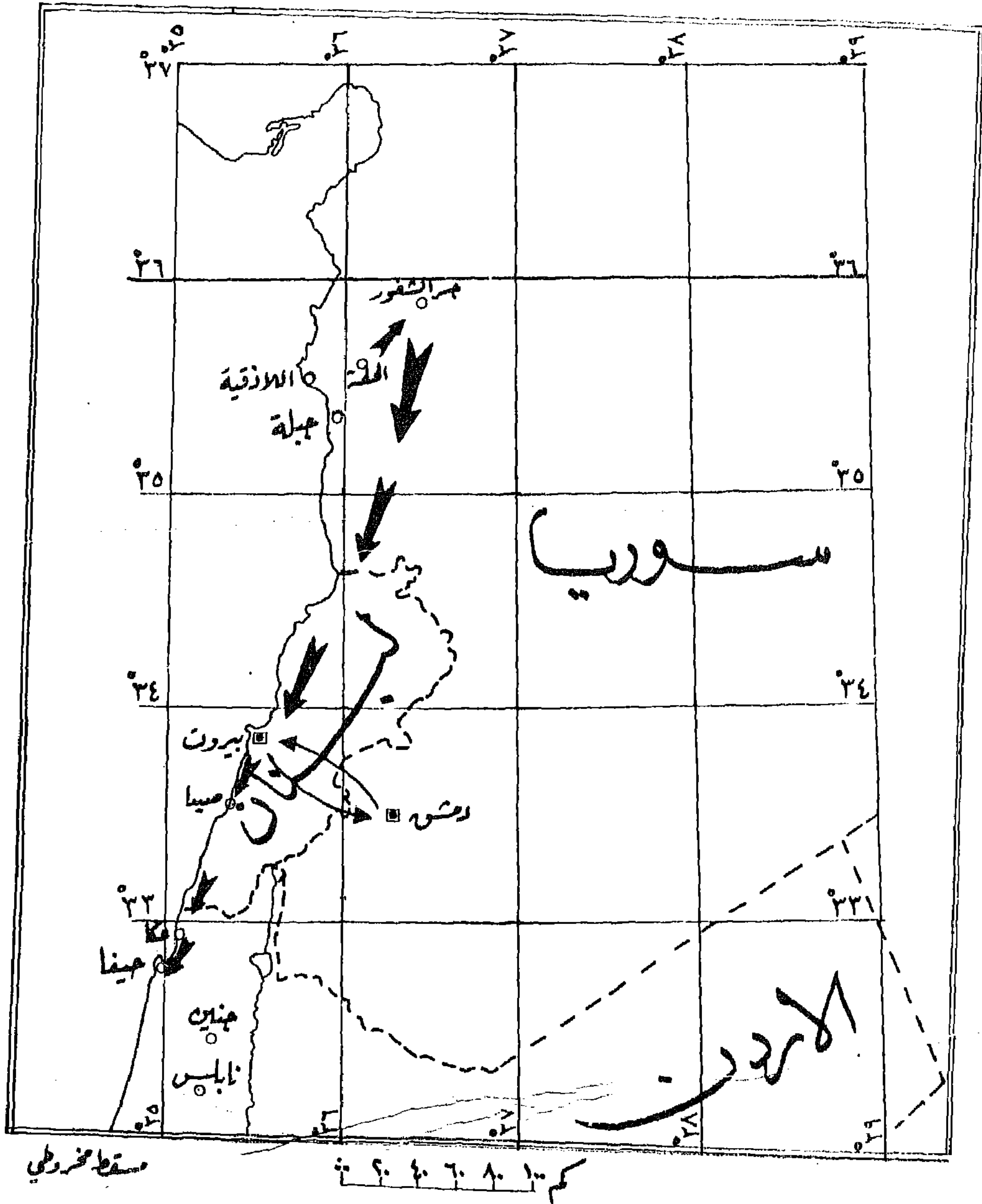
« ن »

« هـ »

« و »

« ي »

خارطة رقم (١) خط سير القسام من سوريا الى فلسطين ١٩٢٠



الشمال

عكا

حيفا

البحر الأبيض المتوسط

بلد الشيخ

الناصرة

العفولة

جنين

يعبد

خارطة رقم (٢)

منطقة نشاط القسام وخط سيره من حيفا الى يعبد

رسم : خليل التفكجي

فهــرس الكتـــاب



عربي بدوي



حليم بسطة



حسن البابير



نمر السعدي



محمود سالم المخزومي



القائد محمد الصالح الحمد ، الملقب بأبي خالد استشهد سنة ١٩٣٨



محمد كامل بن أحمد القصاب



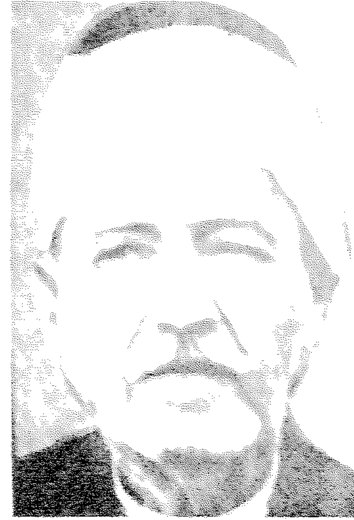
فرحان السعدي



القائد الشهيد الشيخ عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى . الملقب بأبي عبد الله (١٩٣٨)



يوسف أبو درة وحوله أركان حربه



صالح العلي



شاعر الثورة ومنشدها الشهيد نوح ابراهيم
استشهد سنة ١٩٣[illegible]



قبر الشهيد القسام

الوعي والثورة

كان الشامي القادم من جبلة يرسم لفلسطين خارطة جديدة ضد التحولات وضد المرحلة.

كان وهو يتواصل ويتكامل من جبلة الى يعبد، ضد الغرب... يعلو صوته - يغسل أرواح الناس المسلوبة.

ضد الغرب يرفع بندقيته الى صدور عساكرهم.

القسام يوم متجاوز ولحظة مشرقة في أيام صعبة.. ومضة خاطفة ولكنها خصبة وولود، مسكونة بكل الرموز القادرة على بعث الثورة وتحقيق ديمومتها.

. والدراسة بين أيدينا محاولة لاكتشاف كلمة السر - عز الدين القسام - وفك رموزها... إنها محاولة صعبة... فالقسام ذهب في خوابي الماء... امتزج بكل طمي فلسطين، فأنّى لنا أن نلملمه؟!

ولكنها محاولة تستحق السفر... محاولة البحث عن ملامح عز الدين الثوري.



دار الشروق للنشر والتوزيع
ص.ب ٩٢٦٤٦٣ - عمّان - الأردن